أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني "بولس وعبدالله بن سبأ" أنموذجاً

إعداد

هاني علي عايد البلوي

المشرف

الدكتور محمد نبيل العمري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة

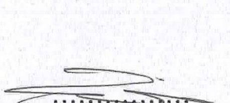
كلية الدراسات العليا

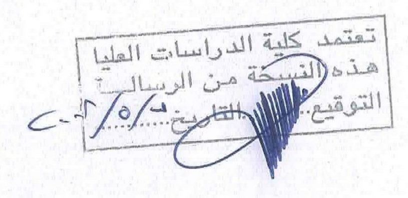
الجامعة الأردنية

نيسان، ٢٠٠٨م

لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة / الأطروحة (أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني "بولس وعبدالله بن سبأ" أنموذجا) وأجيزت بتاريخ ٢٣/٤/٢٠٠٨م

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد نبيل العمري (مشرفا) استاذ عقيدة ـــ أصول الدين	....
الدكتور محمد أحمد الخطيب، عضواً استاذ عقيدة ـــ أصول الدين	
الدكتور راجح عبد الحميد الكردي، عضواً استاذ عقيدة ـــ أصول الدين	
الدكتور محمد أحمد ملكاوي استاذ عقيدة ـــ (جامعة اليرموك)	



الإهداء

إلى من رعاني في صغري وتمنى يوماً أن يرى ثمرة ما تعب من أجله، إلى روح أبي الطاهرة، تغمده الله بواسع رحمته.

إلى من سهرت وتعبت وأضنت نفسها الليل مع النهار لأجلي، إلى أمي أطال الله في عمرها على الخير، وأمدها بوافر الصحة والعافية.

إلى أخي الأكبر أبي راكان، وبقية أخوتي أبي سعود وأبي محمد وعايد، وأخواتي.

إلى قرة عيني ومهجة قلبي، إبنتي ريماس.

إلى كل من يبحث عن الحقيقة، ويريد تقصيها من مكامنها، أتمنى أن يجد ولو جزءاً يسيراً منها.

شكر وتقدير

لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان، إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد نبيل العمري، الذي غمرني بعطفه وفضله وعلمه وتواضعه، أسأل الله تعالى أن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يجزيه عني وعن المسلمين خير الجزاء.

كما يسعدني أن أتقدم بشكر خاص وخالص للدكتور محمد أحمد الخطيب، رئيس قسم أصول الدين، على ما قدمه لي ولزملائي في قسم العقيدة خاصة، وللمسلمين عامة.

وأشكر أستاذي العلامة الدكتور راجح الكردي.

كما أشكر الدكتور محمد ملكاوي الذي استفدت من كتابته كثيراً دون أن ألتقي به ولو مرة واحدة، كيف وهاأنذا أسعد بلقائه.

كما أشكر كل من أسدى إلي نصائحه وتوجيهاته من زملائي، وأخص بالذكر راجح السباتين، وحسني القرارعة، وعبدالله الحواس، وإلى مدير مدرستي وزملائي المدرسين.

فهرس المحتويات

أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني "بولس وعبدالله بن سبأ" أنموذجاً

إعداد

هاني علي عايد البلوي

المشرف

الدكتور محمد نبيل العمري

مُلخَّص

لقد كان عداء اليهود للأديان واضحاً أشد الوضوح، ومحاولاتهم للتحريف فيه لا حصر لها، وتاريخ اليهود حافل باضطهاد مختلف الدول والشعوب والأديان، وقائم على السعي لهدمها وتدميرها وتحريفها لكي لا تكون القائمة إلا لهم، وقد أوضحت هذه الدراسة الأنموذج الأول: "بولس" اليهودي وما انتهت إليه دعوته، وبين ما دعا إليه عيسى ـ عليه السلام ـ، وأن المعتقدات والأحكام الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة ليست من تعاليم المسيح عليه السلام، وإنما وضعها بولس، فإلى بولس ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن. لا شك أن عداوة بولس للنصرانية نابعة من أصوله اليهودية التي دفعته للتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربه على النصرانية بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل، وإفساد معالمها وطمس مظارها ومسخها.

كذلك في دراسة الأنموذج الثاني: عبدالله بن سبأ، الذي كان سبباً في بداية افتراق المسلمين، وظهور الفرق الغالية بعقائدها المبطنة وأفكارها المضطربة، من القول بالولاية والوصية والرجعة وغير ذلك، قاصداً بذلك هدم المبادئ الإسلامية وشق صف المسلمين، كما هو حال المسلمين في وقتنا الحاضر، وافتراقهم إلى سنة وشيعة.

ثم عقدت الدراسة مقارنة بين "بولس" و"عبدالله بن سبأ" في كثير من الجوانب، وأتت على كثير من القواسم المشتركة بينهما.

ثم عرضت الدراسة بعد ذلك عدة شخصيات وفرق وحركات يهودية هدامة، تسمت في كثير من الأحيان بأسماء غير حقيقية، كان هدفها الأول والأخير، هدم الأديان والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا)) (الكهف: 1) وأشهد أن لا إله إلا الله الحي القيوم الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وبعد،،،

فقد كانت دعوة الرسل جميعاً منذ أن خلق الله الكون، الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، ومن أجل هذا خلق الله الإنس والجن. وقامت جميع الديانات السماوية على أساسٍ واحدٍ في أصلها هو وحدانية الله عز وجل، غير أن هذه الأساس لم يسلم على حاله، فظهر من غيَّر وبدل فيه، فدخل فيه الكثير من عقائد التألية لغير الله، كان من أهمها وأكثرها خطورة ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ عقيدة التثليث عند النصارى، وتأليه "على بن أبي طالب" رضي الله عنه عند غلاة الشيعة.

ورأيت أن محور الخلل في هاتين العقيدتين يرجع إلى رجلين هما "بولس" الذي كان له دور بارز في شق الكنيسة وتدمير التوحيد في عقائدها، و"عبدالله بن سبأ" الذي كانت له البذرة الأولى في شق صف المسلمين إلى سنة وعلوية ومن ثم إلى سنة وشيعة. وقد ظهرا في الساحة فجأة، بل أظهر كل منهما ارتباطه بدين جديد فجأة، والقاسم المشترك بينهما أن أصلهما واحد يعود إلى اليهودية التي لا يخفى على أحد نظرتها للأنبياء والأديان، وتغلغل الحقد في قلوب معتنقيها على الشعوب جميعاً.

وإن ما يهمني في هذا البحث هو الحديث عن هذين الرجلين وأثر كل واحد منهما في معتقده الذي انتقل إليه واعتنقه وغير مسيرته في قلوب أتباعه، ولقد كانت البحوث في هذا الشأن مقتصرة على أحدهما دون الآخر ولم تكن هناك سوى بعض الإشارات البسيطة التي ذكرت أو ألمحت إلى وجود تقارب بين فكرة كل منهما[1]. فأحببت أن أبين في دراسة مستقلة

---

[1] انظر: شلبي، أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1997م، ص 113.

ومقارنة كل ما يتعلق بهما من نقاط التقاء وافتراق وما أحدثاه من شق في صفوف الديانتين، النصرانية والإسلام.

أسباب اختيار هذا الموضوع:

ويمكن حصر أسباب اختياري لهذا الموضوع فيما يلي:

1. إظهار الأصول اليهودية التي تبين حقيقة الحقد الدفين عند اليهود ومحاربتهم الأديان التي أساسها التوحيد، وبيان أثرها في تحريف الأديان.
2. إن هذه الدراسة المقارنة بين بولس وعبدالله بن سبأ تعد دراسة رائدة في مجالها لم يتطرق ـ أحد فيما أعلم ـ للبحث فيها على هذا النحو.
3. إن ظهور كلا الرجلين في الفكر المسيحي والإسلامي ودعوة كل منهما كانت سبباً في انحراف كثير من النصارى والمسلمين عن الدين الذي جاء به كل من عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، فبولس دعا إلى تأليه عيسى عليه السلام وعبدالله ابن سبأ دعا إلى تأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
4. إن كليهما قام بالتحريف فبولس حرف النص والألفاظ في الإنجيل، وعبدالله بن سبأ لم يستطع تحريف النص القرآني المحفوظ فذهب إلى التحريف في فهم النص وتأويله تأويلاً مخالفاً لأفهام المسلمين.

كل هذا وغيره كان باعثاً لاختياري موضوعاً بهذه الأهمية فأحببت أن أكتب فيه محللاً وناقداً ومقارناً.

الجهود والدراسات السابقة:

لقد وجدت عدة دراسات من خلال البحث والاستقصاء سأستعرضها تباعاً وأبين ما احتوت عليه تلك الدراسات وما سيجد لدي من المواضيع التي لم تطرح من قبل هي كما يلي:

1. "شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية"[1] ـ للدكتور / محمد ملكاوي الذي كان ملماً ومعتدلاً فيما تناوله، وذكر فيها كثيراً مما يتعلق بشخصية بولس وأصوله وبيئته، وتحدث عن الأثر الكبير الذي أحدثه بولس في العقائد النصرانية من التحريف وإدخال

---

[1] ملكاوي، محمد أحمد، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية، الرياض، دار الإسراء، ط1، 1992م.

كثير من العقائد الوثنية فيها، إلا أن هذه الدراسة لم تتناول أثر اليهود في تحريف الأديان وأصول بولس اليهودية التي يرجع إليها، ولم يكن هناك رابط يربط بين شخصية بولس وغيره من الشخصيات اليهودية التي ظهرت بعده، وكانت تشكل استمرارية في تحريف الفكر الديني كما فعل عبدالله بن سبأ وغيره.

2. "موقف بولس من تعاليم المسيح" كتبها: "عماد الدين الشنطي"[1] التي تكونت من أربعة فصول تحدث فيها بداية عن شخصية المسيح عيسى عليه السلام وتعاليمه، ثم ذكر ما يتعلق ببولس وشخصيته وبيئته، وبعد ذلك تحدث عن تعاليم بولس والعوامل التي أدت إلى انتصار تلك التعاليم، وأخيراً ذكر عقيدة التثليث ودور بولس فيها، والواضح من خلال ما عرضته عن هذه الدراسة أنها لم تبتعد كثيراً في الطرح عن سابقتها وإن اختلفت في بعض جزئياتها، إلا أنها لم تشر أيضاً إلى أثر اليهود في تحريف الأديان، ولم تعن بالمقارنة بين ما قام به بولس وغيره من اليهود الذين لعبوا دوراً مهما في تحريف الأديان.

3. "نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس ـ دراسة مقارنة في أسفار العهد الجديد"[2] تقدم بها الدارس / "علي بن عتيق الحربي" وتحدثت هذه الدراسة عن عيسى عليه السلام وكيف كانت النصرانية على التوحيد قبل دخول التحريف إليها ودخول العقائد الوثنية فيها، وبعد ذلك استعرض شخصية بولس الذي أدخل كثيراً من العقائد والتشريعات المحرفة، وكيف قام بإدخال النصوص المحرفة على أسفار العهد الجديد، وكانت الدراسة في مجملها تعرض وتقارن بين تلك النصوص المحرفة لما في الكتاب المقدس الصحيح، ومع كون هذه الدراسة دراسة مقارنة إلا أنها خصصت لما يتعلق بأسفار العهد الجديد، ولكنهالم تذكر علاقة بولس باليهودية والدوافع التي أدت به إلى القيام بتحريف النصرانية ككل، ولم تذكر علاقة المتأخرين من

---

[1] الشنطي، عماد الدين عبدالله، موقف بولس من تعاليم عيسى عليه السلام، إشراف: بهجت الحباشنة، رسالة ماجستير غير منشورة، 1997م، جامعة آل البيت، الأردن.

[2] الحربي، علي بن عتيق، نصرانية عيسى عليه السلام ونصرانية بولس، دراسة مقارنة في أسفار العهد الجديد، رسالة ماجستير غير منشورة، 1407 هـ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.

اليهود بمبادئ التحريف في الأديان الأخرى وعلاقتهم ببولس وربط هذه الشخصيات ببعضها البعض.

4. "عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام"[1] للدكتور / "سليمان بن حمد العودة" وهي مكونة من خمسة فصول تحدث فيها بداية عن ظهور عبدالله بن سبأ بين المسلمين وأثره في أحداث الفتنة في خلافة عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، ورصد المؤامرات التي كان يحيكها ضد الإسلام ثم تحدث عن السبئية طائفةً واعتقاداً، إلا أن هذه الدراسة كسابقاتها لم تختلف إلا في متعلقها، فالدراسات التي أتى ذكرها سابقاً ذكرت مؤامرات ضد النصرانية، ولكنها هنا مؤامرات حيكت ضد الإسلام، إلا أن هذه المؤامرات جذورها واحدة وهم اليهود ومقصدهم هو التحريف في جميع الأديان، ولم تذكر هذه الدراسة التحريفات التي قام بها عبدالله بن سبأ من تأليه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والتحريف في العقائد، ولم يكن هناك ربط بين ما قام به عبدالله بن سبأ وبولس اللذين اشتركا في أصولهما اليهودية، فكان عبدالله بن سبأ وغيره يمثل استمرارية لبولس.

5. "تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة"[2] للأستاذ الدكتور "محمد محزون" الذي افرد فيه باباً كاملاً تحدث فيه عن عبدالله بن سبأ والأثر الكبير الذي أحدثه في شق صف المسلمين، وعرض لمخطط السبئية ودورهم الرئيسي في إذكاء نار الفتنة، ونتائج الفتنة السياسية والعقدية السلبية، ومواقف الفرق التي ظهرت بسبب الفتنة، وهذه الدراسة تناولت أيضاً عوامل تحريف التاريخ الإسلامي والفتنة في زمن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأهم أسبابها، إلا أنها لم تذكر أثر اليهودية في تحريف الفكر الديني وإدخال العقائد المحرفة في الأديان واشتراك عبدالله ابن سبأ في أصوله اليهودية مع بولس وغيرهم من الشخصيات اليهودية التي كانت تنقم

---

[1] العودة، سليمان بن حمد، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، دار طيبة، الرياض، ط5، 2006م.

[2] محزون، محمد، تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، ط1، 2005م، دار السلام، القاهرة.

على الأديان الأخرى، وإن كانت هذه الدراسة هي أفضل من استعرض موضوع الفتنة ودقة تفاصيلها.

إذاً أستطيع القول إن ما أريد طرحه في هذه الدراسة فيه جدة وإفادة وزيادة على ما ذكر في بابه، مما سأبينه من خلال جوانب لم تذكر من قبل، وأثر اليهود في تحريف الفكر الديني ومحاولة هدم بنيان التوحيد والعقائد والتشريعات، بالإضافة إلى طرح أنموذجين كان لهما أكبر الأثر في خلخلة هذه الجوانب هما: بولس وعبدالله بن سبأ ودراسة مقارنة في التحريفات التي قام بها كل منهما، راجياً أن يضيف جهدي إلى جهود السابقين شيئاً جديداً أو نقلةً نوعيةً في مجال مقارنة الأديان.

منهجية البحث:

سوف أسلك في هذا البحث منهجاً يتمثل في عدة نقاط:

1. استخدام المنهجين الاستقرائي والتحليلي في هذه الدراسة.
2. القيام بدراسة شخصية كل من "بولس" و"عبدالله بن سبأ" والوقوف على أهم ملامحها من خلال مصادرها الأصلية سواء فيما يتعلق ببولس من العهد الجديد وخاصة أعمال الرسل، أو ما يتعلق بعبدالله بن سبأ بالاستناد في ذلك إلى روايات المتقدمين، وثنايا الكتب التي رصدت أحداث التاريخ الإسلامي، كتاريخ الإمام الطبري وغيرها متحرياً الدقة في ذلك.
3. الاستعانة ببعض شروحات المفسرين المتعلقة بالموضوع والعمل على تخريج الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع أيضاً.
4. توثيق النصوص من مصادرها قدر المستطاع إلا حين يعييني العثور عليها فأشير إلى الكتاب الذي اقتبست منه وسأتحرى المصداقية والأمانة العلمية في ذلك.
5. القيام بترتيب المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها أبجدياً حسب المؤلفين، ذاكراً مكان الطبع وسنته إن وجد ذلك.
6. الاعتماد في أخذ النصوص من التوراة والإنجيل على نسخة الحياة الطبعة الثالثة عام (1988م) والتي تم جمعها في (جي. سي، سنتر) بالقاهرة، وأردت التنبيه على ذلك لتعدد النسخ واختلاف بعضها عن بعض.

7. إن هذه الدراسة تعتمد بالدرجة الأولى على الدراسة المقارنة بين كل من "بولس" و"عبدالله ابن سبأ" وطرحهما كأنموذجين للدراسة باعتبارهما أبرز من حرف في الأديان من اليهود.
8. البعد عن الميل العاطفي والمذهبي والبحث عن مكامن الحق أينما وجدت.

خطة البحث:

يقع هذا البحث في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، أتت كما يلي:

ـ الفصل الأول: اليهود والتحريف وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مقدمات تمهيدية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريفات:

(الدين ـ التحريف ـ اليهود).

المطلب الثاني:

استغلال اليهود للتحريف وتدمير الديانات الأخرى، وجعلها في طوع اليهودية.

المبحث الثاني: اليهود في التاريخ والتغيرات التي أصابت الديانة اليهودية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اليهود في التاريخ.

المطلب الثاني: التغيرات التي أصابت الديانة اليهودية وأوهمت اليهود بأنهم شعب الله المختار.

ـ الفصل الثاني: بولس وتحريف النصرانية:

المبحث الأول: التعريف بشخص بولس وأهميته.

المبحث الثاني: تأثير اليهودية في النصرانية وظهور شخصية بولس وأفكاره.

المبحث الثالث: دخول بولس إلى النصرانية وأثره فيها.

المبحث الرابع: النصرانية قبل بولس وبعده.

الفصل الثالث: عبدالله بن سبأ والمسلمين.

المبحث الأول: التعريف بشخص عبدالله بن سبأ وأهميته ومناقشة الآراء حول وجوده.

المبحث الثاني: الوضع السياسي زمن عثمان بن عفان ودور ابن سبأ فيه وأثره في مختلف العصور الإسلامية اللاحقة حتى الوقت الحاضر.

الفصل الأول

" اليهود والتحريف"

ـ المبحث الأول: مقدمات تمهيدية.

وفيه مطلبان:

ـ المطلب الأول: تعريفات:

(الدين ـ التحريف ـ اليهود)

ـ المطلب الثاني:

إستغلال اليهود للتحريف وتدمير الديانات الأخرى، وجعلها في طوع اليهودية.

المبحث الأول

مقدمات تمهيدية

إن الفكرة هي أخطر قوة تتحكم في العالم، بل إن أقدر الناس على التحكم في القوى المادية في الأرض أقدرهم على تزويد العقول بالأفكار التي يريدها، وقد أدرك أعداء الإسلام هذه الحقيقة، فأخذوا يحركون جيوش الغزو الفكري من كل مكان للقضاء على الإسلام، وكان من أهم الذين خططوا لهذا الغزو الفكري يهود، بغية القضاء على الإسلام وإخراج أهله منه، وكما عمل اليهود منذ القرن الأول الميلادي على إفساد الرسالة الربانية التي أنزلها الله على عيسى ـ عليه السلام ـ وذلك بالتلاعب بأصولها الاعتقادية وأحكامها التطبيقية، عملوا منذ القرن الأول الهجري على إفساد الإسلام وأظهروا له العداء الشديد، ولكنهم لم ينجحوا في التلاعب فيه وتغيير شيء من أصوله، لأن الله تكفل بحفظ كتابه من التحريف والتبديل.

ولقد كان لليهود مقدرة كبيرة على تزييف الوقائع واختلاقها، وعلى تحريف الحقائق عن مواضعها، وكأنها سجية في تركيبهم الخلقي والنفسي، وهم العدو الأول لكل بني الإنسانية، لا فرق عندهم بين مسلم أو نصراني أو وثني، فالكل عندهم سواء، حيث يعتبرون أنفسهم عنصراً ممتازاً خلق للحكم والسيادة والملك، وكل الناس بعد ذلك مجرد خدم وعبيد خلقهم الله خصيصاً لخدمة الشعب المختار "اليهود" حيث يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية على سبيل الاستحقاق الذاتي لها والتكريم لهم، أما الغوييم (أي سائر الأمم غير اليهود) فقد خلقوا من طينة حيوانية، ونفوسهم شيطانية نجسة، وأن الله خلقهم ليخدموا اليهود، ومنحهم الصورة البشرية لا على سبيل الاستحقاق الذاتي ولكن ليأنس بذلك أسيادهم ويسهل عليهم تسخيرهم[1].

واليهود في ذلك لم يأتوا بجديد فهم قد حرفوا كتبهم الدينية بما يحقق حقدهم على البشر وروحهم الشريرة وزعمهم أنهم شعب الله المختار.

---

[1] أنظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ترجمة د. يوسف حنا نصر الله، تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا، دار العلوم، بيروت ط2، 1968، ص 60، 68، 69، وانظر: براناييتس، الأب آي بي، فضح التلمود، تعاليم الحاخامين السرية، إعداد: زهدي الفاتح، دار النفائس، بيـروت، ط5، 2003، ص 92. وانظر: الميدانـي، عبد الرحمن حسن حبنكة، مكائد يهودية عبر التاريخ، دار القلم، دمشق، ط7، 2002م، ص 9 – 13.

والنصوص الواردة في العهد القديم التي توضح مكانة "الغوييم" وكيفية التعامل معهم كثيرة جداً نذكر منها مثلاً: أن الرب يوصي اليهود بطرد الغوييم من بينهم لاستحالة العيش المشترك، فيقول: "إن لم تطردوا أهل الأرض من أمامكم، يصبح الباقون منهم أشواكاً في عيونكم ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم في الأرض التي أنتم مقيمون فيها، عندئذ أنزل بكم ما أنا مزمع أن أنزله بهم"[1].

ويؤمن اليهود بأن الرب اختار شعبه من بين الشعوب واصطفاهم على قلتهم، أما الشعوب الأخرى على كثرتها سخط عليها الرب وأحل سفك دمها، وخاطبها: "اقتربوا أيها الأمم للاستماع، اصغوا أيها الشعوب لتسمع الأرض وملؤها، المسكونة وكل ما يخرج منها، لأن الرب ساخط على كل الشعوب، وغضبه منصب على جميع أجنادهم. قضى عليهم بالفناء، وأسلمهم إلى الذبح، فتطرح قتلاهم وينتشر نتن جيفهم في الفضاء، وتفيض الجبال بدمائهم"[2].

وحدد الرب في نظرهم مهام الغوييم تجاه أسيادهم اليهود، الذين نالوا حق اغتصاب أملاك الشعوب والتفاخر بها أمام المغتصبين، فقال: "ويقوم الغرباء على رعاية قطعانكم، وأبناء الأجانب يكونون لكم حراثاً وكرامين، أما أنتم فتدعون كهنة الرب، ويسميكم الناس خدام إلهنا، فتأكلون ثروة الأمم وتتعظَّمون بغناهم"[3].

هذه نظرة اليهود للغوييم من خلال ما حرفوه في العهد القديم، أما ما ورد في التلمود[4] بخصوص الغوييم فإنه يبدو أشد قساوة وأكثر وضوحاً في

---

[1] الكتاب المقدس، ترجمة تفسيرية، (1988م)، ط3، القاهرة، جي. سي. سنتر، سفر العدد، الإصحاح 33: 55 - 56.

[2] سفر أشعيا، الإصحاح 34: 1 – 3.

[3] سفر أشعيا، الإصحاح 61: 5 - 6.

[4] التلمود: عبارة عن شروحات وتفسيرات ومنقولات وضعها أحبار يهود في عصور شتى إلى أن جمعت في كتاب وأضيفت إليها شروحات وزيادات، يزعم اليهود أنها شريعة شفوية أعطيت لموسى ـ عليه السلام ـ وهي كلمة عبرية تعني "التعليم" ويقال له: التلموذ، مشتقة من التلمذة، وقد رأى اليهود أن التوراة رغم ما أضيف لها من أضعاف حجمها لم تكف للتعبير عن نفسيتهم واستعلائهم على البشر وأحقادهم. ويتألف التلمود من المشنا والجمارا، والمشناهو المتن الأصلي وكلمة المشنا تعني الشريعة المكررة، والجمارا عبارة عن الشروحات والحواشي على هذه المشنا التي كونت كتاباً جديداً اسمه "الجمارا" ومعناه الإتمام والإكمال. وأول طبعة للتلمود ظهرت في البندقية سنة (1520م) ونتيجة لهذه الزيادات والشروحات صار هنالك تلمودان: البابلي والأورشليمي، واليهود يعدون تلمودهم مقدساً أكثر من التوراة ويعطونه من الأهمية أكثر منها. للاستزادة: انظر: السحمراني، أسعد، من اليهود إلى الصهيونية، دار النفائس، بيروت، ط

رسم العلاقة بين الطرفين، الشعب المختار والغوييم، فالتلمود يزعم أن اليهودي أفضل عند الله من كل الملائكة وكل الأنبياء والرسل، لأن الكون إنما خلق لليهود وحدهم، وأنه لولا وجودهم لانعدمت البركة من على وجه الأرض، ولانحبس المطر[1]. فالحقيقة أن اليهودي مبجل على نحو مساوٍ للإله تقريباً، بل إن من يضرب يهودياً، فهو بفعلته هذه إنما يهين وجه جلالة الله المقدس. وجميع الأشياء يجب أن تكون في خدمته خصوصاً الحيوانات التي لها أشكال آدمية[2]. فعلاقة اليهود مع غيرهم ممن سموهم الغوييم أو الأغيار أو الأمميين[3] علاقة قائمة على الكراهية والحقد والاحتقار من جانب اليهود، كما أشار القرآن إلى معتقدهم هذا بقوله تعالى: " قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" (سورة آل عمران: 75)، والنصوص في هذا الجانب كثيرة منها:

- "الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب"[4].
- "تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من والده"[5].
- "على اليهودي أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع"[6].
- "ولا يدخل الجنة إلا اليهود. أما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه سوى البكاء لما فيه من الظلام والعفونة والطين"[7].

2، 2000، ص 63، وانظر أيضاً: سنقرط، داود عبد الغفور، جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، ط2، 1984م، ص 88.

[1] الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 66. وانظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، المسيحيون والمسلمون في تلمود اليهود "غرائب وعجائب"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1996، ص 36.

[2] انظر: فضح التلمود، ص 112.

[3] الغوييم والأغيار والأمميون بمعنى واحد وتعني الشعوب كافة غير اليهود.

[4] انظر: الشرقاوي، محمد عبدالله، الكنز المرصود في فضائح التلمود، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001م، ص 187.

[5] الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 60.

[6] المرجع نفسه، ص 85.

[7] المرجع نفسه، ص 62.

"اقتل الصالح من غير الإسرائيلين، ومحرم على اليهودي أن ينجي أحداً من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين"[1].

وهذه النظرة التي ينظرها اليهود إلى الغوييم، هي التي حركتهم لتدمير عقائد وشرائع الإسلام والنصرانية.

---

[1] المرجع نفسه، ص 84.

المطلب الأول

تعريفات

ـ الدين في اللغة:

الدِّين: بالكسر العادة والشأن و(دانه) يدينه (ديناً) بالكسر أذله واستعبده. والدين أيضاً: الجزاء والمكافأة يقال: (دانه) يدينه (ديناً) أي جازاه. والدين أيضاً: الطاعة، تقول: (دان له) يدين ديناً أي أطاعه والجمع (الأديان)، ويقال دان بكذا ديانةً فهو ديِّن وتدَيَّنَ فهو متديِّن [1].

وقال ابن منظور: "تقول العرب: ما زال ذلك ديني وديدني أي عادتي، والدين ما يتدين به الرجل. والدين: السلطان. والدين: الورع. والدين: القهر. والدين: الطاعة. والدين: المعصية"[2].

وجملة القول في هذه المعاني اللغوية أن كلمة الدين عند العرب تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له [3].

ـ الدين في الاصطلاح:

هناك عدة تعريفات للدين في الإصطلاح الشرعي الإسلامي منها:

"الدين وضع إلهي يدعو أصحاب العقول إلى قبول ما هو عند الرسول"[4].

"الدين وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى ما هو خير لهم بالذات"[5].

"وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل"[6].

---

[1] انظر: الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، وزارة المعارف المصرية، ط4، بدون تاريخ، مادة (د ي ن) ص 217.

[2] ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711)، لسان العرب، دار التاريخ العربي، بيروت، ط2، 1993م، مادة (د ي ن) (4/460).

[3] انظر: دراز، محمد عبد الله، الدين، الكويت، دار القلم، ص 31 ـ بتصرف.

[4] الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت 816 هـ)، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م، ص 109.

[5] البيجوري، إبراهيم بن محمد بن أحمد (ت 1277 هـ)، تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني (ت 1041 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م، ص 19.

[6] انظر: الدين، ص 33.

ويقول الدكتور محمد عبدالله دراز بأن التعريف التام لماهية الدين هو: الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية، لها شعور واختيار، ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان، اعتقاد من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات السامية في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد. وبعبارة موجزة، هو الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، وهذا التعريف بمعنى التدين، أما من حيث هو حقيقة خارجة عن الذات فهو: جملة النواميس النظرية التي تحدد صفات تلك القوة الإلهية، وجملة القواعد العملية التي ترسم طريق عبادتها"[1].

فعلماء المسلمين من خلال تعريفهم للدين نظروا إلى مفهوم الدين من خلال الدين نفسه ومعطياته، فلم يجعلوا للعقل أو للهوى مجالاً في تصورهم له، ولا نظروا إليه من منطلق شخصي ذاتي، بل عرّفوه من خلال معرفتهم بالمبادئ والمعتقدات والشرائع التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه[2]. أما تعريف الدين عند علماء الغرب فعرفه الفيلسوف الألماني، "كانت"[3] بأنه "الشعور بالواجبات الحقيقية من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية"[4].

ويعرفه عالم الاجتماعي الفرنسي "إميل دور كايم" بقوله: "هو نسق موحد من المعتقدات والممارسات متصلة بالأشياء المقدسة. أو المعتقدات والممارسات التي تتحد في مجتمع أخلاقي واحد يسمى "الكنيسة" حيث يلتزم بها المجتمع"[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص 52.

[2] انظر: العمري، د. محمد نبيل، والحاج، د. محمد أحمد، مقارنة الاديان، الناشر جامعة القدس المفتوحة، ط1، 1998م، ص 9 -10.

[3] صاحب الفلسفة النقدية من أشهر كتبه "نقد العقل الخالص" (1781م) مات سنة (1804م)، انظر: فيصل عباس، موسوعة الفلاسفة، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1996م، ص 136.

[4] عبد الرحمن بدوي، فلسفة الدين والتربية عند كنت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص 13.

[5] عبد الحميد، مريم أحمد مصطفى، (إميل دور كايم)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1986م، ص 109.

ويقول شلاير ماخر[1] "قوام حقيقة الدين شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة"[2].

والذي نلحظه من خلال هذه التعريفات أنه ليس هناك تعريف جامع مانع للدين من حيث هو دين، فقد أبهم أصحابها فكرة الألوهية، وأخرجوا بذلك كثيراً من المعتقدات خارج دائرة تعريف الدين، أضف إلى ذلك أن هؤلاء لم يعتبروا من القدسية الدينية سوى جانبها العملي وجردوا ماهية الدين من فكرتي "الروحية" و"الإلهية"، وفي حذف هاتين الخاصيتين يمكن تطبيقه بأكمله على كل مظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي ويسوغ لنا أن نسميه بمقتضى ذلك أعمالاً دينية وعبادات[3].

ومما يفهم من التعريف الإسلامي للدين أمور ثلاثة:

1. إن الدين وضع إلهي وليس من إيحاء النفس، أو وضع العقل أو تنظيم الإنسان.
2. أن التعريف ينص على أن الدين عقيدة وشريعة وليس مجرد اعتقاد وأنه نظام رباني لضمان الفوز في الدنيا والآخرة.
3. بيان الربط بين العقيدة والعقل، وأن الدين متفق مع العقل السليم خلافاً لما يقوله البعض بالفصل ما بين الدين والعقل، وما بين الدين والعلم، وأن الدين محصور بالأمور الغيبية ولا شأن له بأمور الحياة.

فهذه الثوابت في مفهوم الدين الصحيح لدى المسلمين، وإذعان المرء فيه لسلطة عليا، ثم تقبل إطاعته واتباعه، وتقيده في حياته بحدوده وقواعده وقوانينه لهو معنى شامل وعام وجامع بل هو النظام الكامل حقاً[4].

فكلمة الدين العربية يستعملها القرآن الكريم لتكون بمعنى النظام الذي يشمل نواحي الحياة كلها، أما كلمة (Religious)، الإنجليزية لا

---

[1] لاهوتي ألماني يعد من الأشكال المتطرفة للاتجاه العقلي (1768 – 1834م)، انظر: طرابيشي، جورج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987م، ص 365.

[2] دراز، الدين، ص 34.

[3] انظر المرجع نفسه، ص 53 ـ بتصرف.

[4] انظر: السعدي، طارق خليل، مقارنة الأديان، دار العلوم العربية، بيروت، ط1، 2005م، ص 10. بتصرف.

تستطيع أن تعطي هذا المفهوم[1]، فهي تعني من لديه "ارتباط ديني" أو "المتدين". فالدين عندهم هو أحد أنظمة العبادة[2]، وقد استوقفني تعريف الدكتور دراز للدين أكثر من غيره لشموليته ووفائه بالحد التام لماهية الدين، وإعطائه للذات العلوية قدسيتها وأهميتها ووضوحها التام، وعلاقتنا بها كيف يجب أن تكون وعلى أي أساس تقوم.

ـ التحريف:

أ. تعريفه لغة: قال ابن منظور في لسان العرب "حرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف واحرورف، عدل، وإذا مال الإنسان عن شيء يقال: تحرف واحرورف. وتحريف القلم: قطه[3] محرفاً، وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره. ومعنى التحريف في القرآن تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها، وهي قريبة الشبه كما كانت اليهود تغير معاني التوارة بالأشباه، فوصفهم بفعلهم فقـال " يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ" (النساء: 46)[4] قال الراغب الأصفهاني "وتحريف الشي إمالته، وتحريف الكلام أن تجعله على حرف من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين"[5].

ب. تعريف التحريف اصطلاحاً: "هو إلقاء الشبه الباطلة، والتأويلات الفاسدة، وصرف اللفظ عن معناه الحق إلى معنى باطل بوجوه الحيل اللفظية"[6].

وقال الألوسي "التحريف إما إزالة اللفظ عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم الرجم ووضع الحد موضعه، وإما صرفه عن المعنى الذي أنزله الله تعالى فيه إلى ما لا صحة له بالتأويلات الفاسدة

---

[1] انظر: الحاج، د، محمد أحمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ط2، 2002م، ص 19.

[2] انظر: قاموس (اكسفورد) الحديث، مركز السعوي للكتاب، الرياض، 2006م، ص 647.

[3] قطه: قطعه.

[4] انظر: ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999م، (2/42 – 43). وانظر أيضاً: الرازي، مختار الصحاح ص 131. وابن منظور، لسان العرب (3/127 – 129).

[5] الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد المفضل، المفردات في غريب القرآن، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1961م، ص 114.

[6] الرازي، محمد بن عمر بن الحسين، التفسير الكبير، دار إحياء التراث، بيروت، ط4، 2001م، (8/578).

والتمحلات الزائغة ... وقيل: إن اليهود فعلوا ذلك في نسخ من التوراة ليضلوا بها ولما لم ترج عدلوا إلى التأويل"[1].

وعلى هذا نستطيع القول إن التحريف: هو التغيير والتبديل الداخل على أصل الكلام بقصد صرفه عن المعنى المراد منه.

ج. العلاقة بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي: يبدو أن العلاقة واضحة تمام الوضوح بين التعريفين اللغوي والاصطلاحي للتحريف إذ أن معناه اللغوي "الإمالة" و"التغيير والتبديل" وفي المعنى الاصطلاحي "صرف اللفظ عن معناه" وإزالة اللفظ عن موضعه" فالتحريف التغيير والتبديل والإمالة بقصد صرف المعنى، وبهذا تتضح العلاقة القوية بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للتحريف.

د. أقسام التحريف: ينقسم التحريف إلى قسمين: "تحريف لفظي وتحريف معنوي" وتحريف اللفظ يؤدي ـ بلا شك ـ إلى تحريف المعنى غالباً، فتبديل اللفظ أو الزيادة فيه، أو التنقيص منه يغير المعنى وفق إرادة المحرف، وتحريف المعنى يقصد به تغيير المعنى المقصود إلى معنى آخر مخالف له مع بقاء اللفظ على ما هو عليه[2].

والتحريف بقسميه حصل في التوراة والإنجيل، ولكن هذا لا يعني أنها جميعها محرفة وغير معتبرة، فإننا نلمح فيها ومضات من أنوار الوحي، ولكن الذي سقط حقه من الاعتبار والتقدير هو الذي حرف وبدل.

هـ. تحريف اليهود لكلام الله يقع على أربعة وجوه:

الوجه الأول: التأويلات الباطلة، والتفسيرات الفاسدة، وذلك بحسب أهوائهم وشهواتهم وإرضاء لقادتهم ورؤسائهم وكبرائهم.

الوجه الثاني: تبديل ألفاظ بألفاظ أخرى لتعطي دلالات توافق ما يريدون، على خلاف المعنى المراد منها في التنزيل الرباني.

الوجه الثالث: الزيادة على النص المنزل، ليعطي دلالة توافق ما يريدون.

---

[1] الألوسي، روح المعاني (3/45 – 46).

[2] انظر: الهندي، رحمه الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق (ت 1891م)، المكتبة التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ، (1/248)، وانظر أيضاً: العبادي، سارة حامد، التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة، ط1، 2003م، ص 65.

الوجه الرابع: الإنقاص أو الحذف من النص المنزل، ليعطي دلالة توافق ما يريدون[3].

ـ يهود:

وردت كلمة "هاد" في مختار الصحاح بمعنى تاب ورجع إلى الحق، وبابه قال فهو "هائد" وقوم "هود". والتهود: التوبة والعمل الصالح، ويقال أيضاً: "هاد" و"تهود" أي صار "يهودياً". و(الهود) بوزن العود اليهود. و"التهويد" المشي الرويد مثل الدبيب، والتهويد تصيير الإنسان يهودياً[2].

ويقول الشهرستاني في نسبة اليهود إلى هذه الكلمة: "وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام "إِنَّا هُدْنَـا إِلَيْكَ" (سورة الأعراف: 156). أي رجعنا وتضرعنا، وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة"[3].

وأما سبب تسميتهم بيهود فللباحثين في هذه المسألة أقوال:

- قيل: إنهم سموا بذلك حين تابوا عن عبادة العجل، وقالوا: إناهدنا إليك، أي: تبنا وأنبنا[4]. وقالوا: (اليهود) فأدخلوا الألف واللام فيها على إرادة النسب يريدون اليهوديين.
- وقيل: إنها من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة، وأنهم سموا بذلك في الأصل لتوبتهم ومودتهم في بعضهم لبعض[5].
- وقيل: إنهم سموا بذلك لأنهم يتهودون، أي يتحركون عند قراءة التوارة[6].
- وقيل: من المهاودة أي المواعدة[7]، وذلك من قوله تعالى " وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً" (سورة الأعراف: 142).

---

[3] انظر: الميداني، مكائد يهودية، ص 449.
[2] انظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (2/552)، وانظر: الرازي، مختار الصحاح، ط 4، ص 701، وانظر: لسان العرب (15/155).
[3] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت، ط7، 1998م (1/250).
[4] انظر: الرازي، التفسير الكبير، (1/536)، وانظر أيضاً: الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م (1/279).
[5] انظر: إبن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت 774)، تفسير القرآن العظيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 2000م، (1/103).
[6] انظر: عبد الباري، د. فرج الله، اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004، ص 27.
[7] انظر: العمري، د. محمد نبيل والحاج، د. محمد أحمد، مقارنة الأديان، ص 147.

- وقيل من الدخول في اليهودية يقال: هاد. يهود وتهوّد إذا دخل في اليهودية[1].
- وقيل: إنهم سموا يهوداً نسبة إلى (يهوذا) أحد أبناء يعقوب ـ عليه السلام ـ؛ ذكر القرطبي ذلك فقال في تفسير قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هَادُواْ" (البقرة: 62) معناه صاروا يهودا، نسبوا إلى يهوذا وهو الابن الرابع ليعقوب عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً، لأن الأعجمية إذا عربت غيرت عن لفظها"[2].
- ويذكر الدكتور أحمد سوسة صاحب كتاب "العرب واليهود في التاريخ" أن تسمية اليهود بهذا الاسم لم تطلق إلا بعد أن سبى (نبوخذ نصر) بقايا جماعة يهوذا إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد وقد سموا كذلك نسبة إلى مملكة يهوذا[3] بعد انقسام كنعان إلى قسمين (إسرائيل) في الشمال و(يهوذا) في الجنوب، ومع تعدد الآراء وكثرتها إلا أنني أميل إلى رأي الدكتور أحمد سوسة، وأرجح قوله على بقية الأقوال لأن لفظ "يهود" لم يستخدم في القرآن إلا في معرض الذم، واستخدام لفظ بني إسرائيل كان خطاباً للمعتدلين منهم، فأتباع يهوذا كانوا من المشاغبين الذين أتعبوا الدول المجاورة مما حدا بالبابليين الانقضاض عليهم وسبيهم إلى بابل، بل إن رأي الكثير من المفكرين أن اليهودية بدأت كدين بالمعنى الكامل للكلمة في المهجر البابلي[4].

فاليهودية دين له أتباعه بين الشعوب والأمم، بصرف النظر عما بينهم من اختلاف في اللون والجنس واللغة والعادات والتقاليد والأوطان، إذ ليس من المقبول أو المعقول أن يكون جميع يهود العالم من نسل إسحاق كما يزعمون، ونحن نرى في يهود اليوم الأحمر والأبيض والأشقر ونرى الروسي

---

[1] انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط2، 1950م، (1/109).
[2] القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2004، (1/210).
[3] انظر: سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريـخ، العربـي للإعـلان والنشر والطباعة، دمشق، ط2، ص 51.
[4] انظر: المسيري، د، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1999م، (4/190).

والبولندي والهندي واليمني والمغربي، نرى اليهود من جميع أمم الأرض قدموا إلى فلسطين، ويستحيل أن يكون هؤلاء جميعاً على اختلاف ألوانهم من بني إسرائيل، تقول أبكار السقاف: "وأما اليهود فينقسمون إلى قسمين رئيسيين: قسم ينتسب إلى يهوذا ... وهذا قسم باد أيضاً معظمه وذاب إثر اجتياح الغزو البابلي هذه المملكة ... وأما القسم الآخر فهو الذي ما زال باقياً ولم يزل منتشراً، وهذا يتمثل في هؤلاء اليهود الحاملين لألوان من الجنسيات المختلفة الذين توارثوا الدين اليهودي الحالي عن أسلاف كانوا أنفسهم ينتمون إلى عدة شعوب كانت تسكن شرق أوروبا وتتكلم اللغة اليدية ... وهؤلاء لا تصلهم بالعبريين صلة عنصرية، ولا بالإسرائيليين أوشاج قرابة تاريخية، فإنما هم ينحدرون من قبائل الخزر المنغولية المنتمية إلى سلالة القبائل التركية التي كانت تسكن أواسط آسيا قبل ارتحالها إلى شرق أوروبا واحتلالها تلك المنطقة الفسيحة الواقعة بين جبال (الأورال) شرقاً ووسط أوروبا غرباً وشمال البحر الأسود جنوباً، حيث أقاموا مملكة ضمت كل تلك الأرجاء، وكانت من قبل وثنية ثم انقلبت يهودية وهذا هو السبب المباشر في انتشار الدين اليهودي في تلك المناطق، ثم في امتداده، من بعد، إلى سائر بلاد الغرب"[(1)] وظهر تعريف الهوية اليهودية بعد مدارسات طويلة بين أحبار اليهود كان خلاصتها أن اليهودي هو من ولد لأم يهودية أو من تهود. قال الدكتور عبد الوهاب المسيري: "وهذا التعريف هو الذي ساد منذ ظهور اليهودية الحاخامية مع بدايات العصور الوسطى في الغرب حتى بداية القرن التاسع عشر، وبالتالي فهو التعريف الذي يعد الإطار المرجعي لكثير من الكتابات والإشكالات التي تثار حول الهوية اليهودية"[2].

إلا أن يهود اليوم أغلبهم ليسوا يهوداً بمقتضى هذا التعريف، فقد انتشر الزواج المختلط كثيراً في يهود الشتات، وتشهد بذلك جهود المجامع اليهودية لإيقاف تياره. يقول غازي السعدي "في ألمانيا ما بين عامي (1921 – 1925م) كان 42% من الزيجات اليهودية مختلطة، ولم يتوقف هذا الأمر حتى بعد قيام دولة إسرائيل ومحاولاتها المستميتة في اختزال

---

[1][(?)] السقاف، أبكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، مكتبة مدبولي، ط2، 1997م، ص 38 – 41.

[2][(?)] المسيري، عبد الوهاب، من هو اليهودي، ص 31.

الديانة اليهودية إلى تجمع قومي قائم على أسس التمييز العرقي. فقد لاحظت مجلة تايم الأمريكية عام (1975م) أن ثلث الزيجات بين يهود أمريكا البالغ عددهم قرابة ستة ملايين يهودي هي زيجات مختلطة... ومن المثير للسخرية أن التعريف الأرثوذكسي (لمن هو يهودي) لا ينطبق على الآباء الأولين لبني إسرائيل، ... وكثير من مشاهير اليهود يصبحون بهذا التعريف غير يهود لأنهم ولدوا وتزوجوا من غير اليهوديات"[1].

وعلى مدار التاريخ أطلق اليهود على أنفسهم تسميات كثيرة، فتارة يسمون أنفسهم العبرانيين، وتارة يسمون أنفسهم بني إسرائيل، أو الساميين، أو الموسويين، أو الصهيونيين، ولكل من هذه الأسماء معناه وسببه الذي من أجله أطلق عليهم، فكلمة "عبري" مشتقة من الفعل الثلاثي "عبر" بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي. وأطلق على اليهود لفظ "عبري" لأنهم قوم رحل لا يستقرون في مكان إلا وينتقلون إلى مكان آخر، وأما تعليل بعض الباحثين تسمية اليهود بالعبرانيين بعبورهم لنهر معين هو الفرات أو الأردن، فليس هناك ما يخص عبور مثل هذه الأنهار باليهود، وتذكر أبكار السقاف أن عشيرة إبراهيم هي وحدها التي حملت هذا الاسم وأما ما تفرع عن هذه العشيرة من خلف فقد عرف تحت اسماء أخرى..."[2] والمعنى الأصوب على ما أرى أنهم أخذوا هذه التسمية للتعبير عن ترحالهم من مكان إلى آخر، ولا ينافي كون هذا الاسم كان يطلق على آل إبراهيم ـ عليه السلام ـ العابرين من نهر الفرات، إلا أن اليهود ادعوا "العبرانية" بمعنى الانتماء إلى السامية ـ مع أن حقيقتهم تخالف ذلك ـ لأغراض سياسية مرتبطة بتطلعاتهم الاستعمارية[3].

وأما علاقة كلمة "عبري" باليهودية فقد أوضحها غازي السعدي بقوله "رغم أن كلمة عبراني ويهودي مترادفتان في كثير من اللغات الأوروبية، فإن المصطلح الأول (عبراني) يشير أساساً إلى قبائل العبرانيين القديمة بينما يشير المصطلح الثاني (يهودي) إلى من يؤمن بعقيدة دينية، ولكن تحت

---

[1] (?) السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، دار الجيل، عمان، ط 1، 1994م، ص 103 – 104.

[2] (?) السقاف، أبكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص 37.

[3] (?) انظر: شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1997، ص 54 – 55، وانظر أيضاً: السحمراني، أسعد، الإسلام بين المذاهب والأديان، دار النفائس، بيروت، ط2، 1992، ص 103.

تأثير الصهيونية تداخل المصطلحان نظراً لتداخل المفاهيم "القومية" بالمفاهيم الدينية في اليهودية"[1].

وأما "بنو إسرائيل" فكلمة "إسرائيل" مكونة من مقطعين (إسرا) بمعنى "عبد" و(إيل) بمعنى الله،، فإسرائيل هو عبدالله، وقد أطلق هذا لاسم على سيدنا يعقوب ـ عليه السلام ـ وتزعم اليهود في توراتهم المحرفة أن سبب تسميته أي "يعقوب" ـ عليه السلام ـ بذلك عائد إلى أنه صرع الإله يهوه فأطلق عليه اسم إسرائيل أي القوي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، بل واصبح في زعمهم أن بإمكانهم أن يصارعوا كل واحد من البشر[2].

تقول أبكار السقاف: "أولاد يعقوب بن إسحاق هم وحدهم أصحاب هذا الاسم ... وهؤلاء قد ذابوا تاريخياً في التيار الزمني عندما تسرب عنصر الفناء في كيانهم عقب وفـاة سليمان (935 ق. م) وانقسام مملكته ... بعد محاولة "مملكة إسرائيل" التمرد على الآشوريين قام هؤلاء (701 ق. م) عازمين على محو أبناء إسرائيل من صفحة الوجود فاحتلوا هذه "المملكة" احتلالاً كاملاً وأباحوها لجندهم واستباحوها لأنفسهم ثم قادوا من تبقى من سكانها أسرى إلى العراق ... وبهذا محيت "مملكة إسرائيل" من خريطة الوجود نهائياً"[3].

وبقي من بني إسرائيل الذين هم من نسل أسباط يعقوب ـ عليه السلام ـ نسبة ضئيلة، وأما غالبية اليهود في العالم فهم من يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في القرون الوسطى، ورفض حاخامات اليهود آنذاك الاعتراف بهم وظلوا كذلك إلى أن جاءت الفلسفة الصهيونية فتبنتهم وجعلت منهم اساساً للتجمع اليهودي على فكرة أرض الميعاد في فلسطين[4].

ويلاحظ أن القرآن الكريم قد فرق بين استخدامه لكلمة (يهودي) وكلمة (إسرائيلي) فقد أطلق عليهم كلمة (بني إسرائيل) في مواضع الرضا

---

[1] السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص 96.

[2] انظر: السحمراني، أسعد، الإسلام بين المذاهب والأديان، دار النفائس، بيروت، ط2، 2000م، ص 102، وهناك آراء أخرى في سبب تسميتهم بهذا الاسم للاستزادة: انظر: السقاف، أبكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة، ص 37 – 38. وانظر أيضاً: الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص 29.

[3] السقاف، أبكار، إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص 37 – 38.

[4] انظر: العمري، محمد نبيل، والحاج، محمد أحمد، مقارنة الأديان، ص 148.

عنهم ومن هذا قول الله تعالى " يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ" (سورة البقرة: 40) فكان القرآن يدعوهم بني إسرائيل عند دعوتهم إلى الهداية وإلى الطريق المستقيم، وكأنه يذكرهم بأبيهم (يعقوب) عليه السلام لعلهم يتذكرون أنهم من أولاد الأنبياء ونسل المرسلين فيكونون أولى الناس بالإيمان بما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأما عند انحرافهم وتعداد أباطيلهم، فقد كان القرآن يسميهم (اليهود) قال تعالى: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" (سورة التوبة: 30) وقال: " وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ " (سورة المائدة:64) وبناء على هذا نستطيع أن نقول: إن لفظ اليهود هو اسم خاص بالمنحرفين من بني إسرائيل بينما لفظ الإسرائيليين خاص بالمعتدلين منهم، وأما لفظ "العبريين" فلم يرد له ذكر في القرآن الكريم مطلقاً"[1].

وأما آخر المصطلحات والتسميات الملحقة باليهود "الصهيونية"ـ فقد جاءت كلمة الصهيونية من صهيون وهو الجبل أو الربوة أو التل الموجود في القدس الذي تقدس عندهم بزعمهم إنه قد أقيم عليه الهيكل، والصهيونية حركة عنصرية تقوم على أسس مذهبية استعلائية تسعى إلى التوسع والسيطرة والعدوان مستخدمة العنف لغرض الوصول إلى أهدافها[2]، استخدم هذا الاسم في القرن التاسع عشر على يد "تيودرهرتزل" الصحفي اليهودي النمساوي (1860 – 1904م) للعمل من أجل اقامة وطني قومي يهودي في أرض فلسطين وما حولها.

يقول الدكتور أسعد السحمراني: "وهي (أي الصهيونية) قضية مصطنعة جعلوا منها جزءاً من العقيدة عند اليهودي، وما ذلك إلا لأنها تناسب أهدافهم الإستعمارية الإستيطانية، حيث لا يوجد ثمة ارتباط تاريخي لهم بجبل صهيون"[3].

إذاً، أستطيع القول بأن الصهيونية ليست مصطلحاً دينياً، وإنما شأنه شأن المصطلحات الآنفة الذكر، التي تحاول الحركة الصهيونية بواسطتها

---

[1] انظر: العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية ص 41 – 42.

[2] انظر: الساموك، سعدون، مقارنة الأديان، دار وائل، عمان، ط1، 2004م، ص 90.

[3] الإسلام بين المذاهب والأديان، ص 103.

ربط كل شيء بفلسطين، وإيجاد المبرر الديني أو التاريخي له، لتكون هذه التبريرات فلسفة استعمارية متأصلة في عمق تفكيرهم. وعلى الرغم من إطلاق الصهيونيين لهذه المفاهيم والتبريرات، إلا أن هناك الكثير من اليهود لا يؤمن بالصهيونية[1] بل وقاومها بشدة، وقد أرجع الدكتور أحمد سوسة هذه المقاومة إلى ثلاثة أمور فقال: "وهؤلاء يقاومونها بشدة، إما بدافع الشعور بالإنسانية على أساس أن الصهيونية مبدأ لا إنساني، وإما حرصاً على سلامة اليهود خوفاً من مواجهتم اضطهاداً جديداً بسبب الاندفاع الصهيوني، وإما بدافع قناعتهم بأن الصهيونية آلة يسخرها الاستعمار العالمي لمصالحه على حساب اليهود والعرب معاً"[2].إلا أن هذا لا يعني تباعداً كبيراً بين المصطلحين "اليهودية" و"الصهيونية" فأساس الحركة الصهيونية هو فكرة استيطان اليهود في فلسطين تمهيداً لإقامة الدولة اليهودية فيها.

---

[1] يوجد حوالي 6 ملايين يهودي في الولايات المتحدة، منهم (مليون ونصف) ممن ينتمون إلى المنظمات الصهيونية المختلفة، انظر: د. أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ ص 372.

[2] العرب واليهود في التاريخ، ص 372.

المطلب الثاني

استغلال اليهود للتحريف وتدمير الديانات الأخرى، وجعلها في طوع اليهودية.

يؤمن اليهود بأن الخطر الأكبر على مخططاتهم هو (الدين) بما يشمل من عقائد وأخلاق وآداب، ومن ثم جعلوا هدفهم الأول نزع (الدين) بكل آثاره من نفوس البشر، وشحن هذه النفوس بسيل من النظريات والشهوات المادية حتى تصبح المادة والشهوة هي دين الإنسان وعقيدته، وتحطم كل عقائد الإيمان، وليس أدل على ذلك مما ورد في بروتوكولات حكماء صهيون[1]. "فإذا ساد الإيمان بالله، فيمكن أن يحكم الشعب بأن تقسم الأرض إلى أقاليم، وعلى كل إقليم راعيه الروحي فيسير الشعب راضياً قنوعاً تحت إرشاد الراعي الروحي إلى ما فيه مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب في أنه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله لنمزق من أذهان الغوييم المبدأ القائل بأن هناك إلهاً رباً وروحاً، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية"[2].

"وقد سبق لنا فيما مضى من الوقت أن بذلنا جهداً لإسقاط هيبة رجال الدين عند الغوييم وقصدنا بذلك أن نفسد عليهم رسالتهم في الأرض، وهي الرسالة التي يحتمل أنها لا تزال بنفوذها عقبة كؤوداً في طريقنا"[3].

لقد رأت القيادات اليهودية في سبيل تحقيق حلمها بعيد المدى أن تقيم جداراً غليظاً صلباً بين الشعوب غير اليهودية وبين الشرائع السماوية، وفكرت هذه القيادات فرأت أن أعظم مادة تبني بها هذا الجدار اللعين مادة الإلحاد بالله، والكفر بجميع الأمور الغيبية، ورأت أن أهم عامل من العوامل المساعدة على تدمير الديانات وجعلها في طوع اليهودية "التحريف" دون أن يكون ذلك قاصراً على الكتب السماوية فحسب، بل التدليس والتلبيس في

---

[1] "البروتوكولات" كلمة انجليزية تعني "اتفاقيات" وبروتوكولات حكماء صهيون وثيقة يقال إنها كتبت عام (1897م) في بازل بسويسرا. أي في العام نفسه الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول الذي وضعت فيه خطة محكمة لإقامة امبراطورية عالمية تخضع لسلطان اليهود وتديرها حكومة عالمية يكون مقرها القدس. تقع البروتوكولات البالغ عددها (24) بروتوكولاً في نحو مائة وعشر صفحات، نشرت لأول مرة عام (1905م). انظر: المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (2/371).

[2] نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، دار الجيل، عمان، ط1، 1984م، البروتوكول الرابع (1/219).

[3] المرجع نفسه، البروتوكول السابع عشر، (1/280).

التاريخ وغيره للطمس والتعتيم على الجرائم التي ارتكبتها وما تزال، وسوف أوضح ذلك من خلال دراسة الأنموذج الأول: "بولس" وما انتهت إليه دعوته وبين ما دعا إليه عيسى ـ عليه السلام ـ، وأن المعتقدات والأحكام الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة ليست من تعاليم المسيح ـ عليه السلام ـ وإنما وضعها بولس، وإلى بولس ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة حتى الآن، وهو الذي دعا إلى استخدام التراتيل والترانيم والأناشيد، والأغاني الروحية والمزامير، وما إلى ذلك من تصورات ومعتقدات ومراسيم وجعلها من طقوس العبادة في الكنيسة، ولا شك أن عداوة بولس للنصرانية وأصوله اليهودية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل وإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها[1].

وهذا ما حدا بكثير من الباحثين إلى القول بأن المؤسس الحقيقي للديانة النصرانية المعاصرة هو بولس وليس المسيح ـ عليه السلام ـ [2].

وحتى أثبت صدق ما أقوله وأكون موضوعياً في إيضاح الحقيقة أريد أن أنقل قول إيليا أبو الروس في كتابه "اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية" الذي يوضح فيه تزييف اليهود لدين النصارى وهو أحدهم، فيقول: "تغلغل اليهود في كل ناحية من نواحي حياة المسيحيين في الغرب، فأخذ الكاثوليك والبروتستانت على السواء في الآونة الأخيرة يتقبلون التوجيهات والإرشادات الحيوية من ألد أعداء المسيحية، حتى لقد أصبح على رأس كثير من المعاهد الدينية في الغرب ـ لا سيما في الولايات المتحدة ـ يهودي يحتل كرسي الرئاسة، وسمح لليهود بأن يغيروا في كتب الكاثوليك والبروتستانت الدينية، فراحوا يفاخرون بأنهم استطاعوا حمل الكنائس البروتستانتية على إزالة جميع الكتابات الخاصة بصلب المسيح، وأنهم في طريقهم إلى الإتفاق التام مع زعماء الكنيسة الكاثوليكية في هذا الشأن"[3].

---

[1] انظر: بسمة أحمد جستنية، تحريف رسالة المسيح ـ عليه السلام ـ عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، دار القلم، دمشق، ط1، 2000م، ص 210.

[2] انظر: الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، دار المعرفة، بيـروت، ط2، 1976م، ص 307.

[3] إيليا أبو الروس، اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية، منشورات دار الاتحاد، بيروت، ط1، 1964م، ص 11.

هذا ما يتعلق باليهود ومحاولة تلميع صورتهم وكسب عطف النصارى من خلال القيام بهذه التحريفات، دون أن يكون هناك من يحمي الديانة النصرانية من الصدمات العنيفة التي أنزلها بها الأعداء حتى استطاع اليهود بمكرهم وكيدهم، بعد مضي أكثر من عشرين قرناً أن يخدعوا النصارى، ويجعلوا قيادتهم الدينية العليا في روما تبرئ اليهود مما اعتقدوه بعيسى عليه السلام، فقد أصدر المجمع الفاتيكاني العالمي في روما عام (1960م) وثيقة تبرئ اليهود من دم السيد المسيح ـ عليه السلام ـ [1].

وأما في الدين الإسلامي فإن محاولات اليهود لتحريفه وتزييف دعائمه، ومحاربة معتقداته أكثر بكثير مما حدث في الدين المسيحي، فقد درج اليهود منذ اللحظة الأولى على محاولة الدس في ديننا، وتتلمذ على أيديهم الكثير، وفي القرون المتتابعة دسوا ـ مع الأسف ـ في التراث الإسلامي ما لا سبيل إلى التخلص منه إلا بجهد عظيم، ولبسوا الحق بالباطل في كل ما نالته أيديهم[2]، إلا هذا الكتاب المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين فحفظه بفضله سبحانه رغم محاولاتهم لتحريفه أيضاً[3]. ومن الجلي لكل ذي عقل أن دول العالم الإسلامي على مدار التاريخ حريصة كل الحرص على كتاب الله تعالى من حيث طباعته وترجمة معانيه إلى أغلب اللغات العالمية وفي مقدمة هذه الدول المملكة العربية السعودية التي أقامت صرحاً إسلامياً كبيراً يتولى طباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، وكذلك في مصر على يد علماء الأزهر وتحت إشراف لجان مختصة، طبعت وترجمت ووزعت القرآن الكريم إلى كل دول العالم بمختلف اللغات وبملايين النسخ.

وتحريف اليهود للدين الإسلامي وأثرهم الفكري في المسلمين سيتضح من خلال عرض الأنموذج الثاني "عبدالله بن سبأ" الذي يعد من

---

[1] انظر: الساموك، سعدون، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج، عمان، ط1، 2002م، ص 250 – 251.

[2] ولكن تفسير القرآن العظيم لم يخل من بعض محاولاتهم التي أطلق عليها مصطلح الإسرائيليات. والإسرائيليات: مجموعة من القصص والتفسيرات لقصص القرآن وأحكامه ملأها بعض المفسرين عن طريق اليهود لسد الثغرات في الجانب الذي لم يفصل فيه القرآن قصص الأنبياء كاملة. انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. (5/332).

[3] في أواخر السبعينات طبع اليهود ربع مليون نسخة محرفة من المصحف لتوزيعها في البلاد الإسلامية الفقيرة جداً واكتشف المخطط. انظر: عبد العزيز مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، دار التوزيع والنشر الإسلامية. القاهرة، ص 17.

أخطر اليهود الذين وجدوا فيه ضالتهم، فهو يهودي متمسلم، لم يكن للدسائس والفتن التي أظهرها دافع إلا دافع العداء للإسلام، وحقده عليه وعلى أهله، ومن الجهل بمكان استصغار مقدمات الشر، واحتقار أوائل الفتن، فمعظم أحداث التاريخ الكبرى التي تحول فيها تاريخ الأمم بدأت بنواة صغيرة لم يلق لها الناس بالاً في أول الأمر[1].

وما ما نلحظه ونشاهده في كثير من البلدان الإسلامية من الفتن الدائرة بها من كل حدب وصوب، وظهور الفرق الغالية بعقائدها المبطنة وأفكارها المضطربة إلا من نتاج هذا الرجل الخطير، يقول الدكتور صابر طعيمة: "وقد ساعد العمل السري والتحريف العقائدي الذي دعا إليه عبدالله بن سبأ في إشاعة جو من الاضطراب السياسي والعقدي في الأمصار الإسلامية كنوع من الحرب النفسية وتعميق مشاعر الإحباط والهزيمة في كيان الأمة الإسلامية، والجدير ذكره أن اليهود وجدوا منذ عصر الفتنة التي أعقبت مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ مسرحاً لنقل الفكر الباطني إلى الساحة الإسلامية، وكان ذلك بسبب سماحة الفكر الإسلامي الذي تقبل كل العناصر التي تظاهرت بالإسلام حتى شاعت في وقت مبكر الأفكار اليهودية التي تدور حول جملة من العقائد تناقض عقيدة الإسلام"[2].

وتاريخ اليهود حافل باضطهاد مختلف الدول والشعوب والأديان، وقائم على السعي لهدمها وتدميرها وتحريفها لكي تكون القائمة لهم تمهيداً لظهور مسيحهم المنتظر والسيطرة على العالم، وجعل جميع من في الأرض طوعاً لما يريدون، كما يظهر ذلك من خلال تلمودهم إذ يقول: "وقبل ان تحكم اليهود نهائياً على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم"[3]. علماً بأن هذه البشرى لم تتحقق إلى الآن. ولن تتحقق بحول الله وقوته ـ حيث لا زال اليهود أقلية لا تشكل أكثر من خمسة عشر مليوناً من البشر موزعة في العالم.

---

[1] انظر: مكائد يهودية، ص 157 ـ بتصرف.

[2] طعيمة، صابر، الأصول العقدية للإمامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2004م، ص 29.

[3] الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 65.

المبحث الثاني

اليهود في التاريخ والتغيرات التي أصابت الديانة اليهودية

وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول:** "اليهود في التاريخ".

ـ **المطلب الثاني:** "التغيرات التي أصابت الديانة اليهودية وأوهمت اليهود بأنهم شعب الله المختار.

المطلب الأول

"اليهود في التاريخ"

الديانة اليهودية هي النموذج المحرَّف والشكل النهائي الذي آل إليه دينُ الله المنزل على أنبياء بني إسرائيل، فلم يبق مستمراً ثابتاً كما أُنزل في جميع الأحقاب اليهودية، ولم يكن اليهود في كل عصورهم موحدين، ولم يأخذوا بالتوحيد دوماً. والتاريخ اليهودي يتسم بالغموض وعدم الاستقرار على الثوابت الدينية، ذلك لأنه اختلطت وارتبطت فيه عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات العقيدة الدينية واتجاهات الأخلاق، وخضع فيه الدين إلى تغييرات كثيرة جعلت مبادئه مقصورة على اليهود دون غيرهم، وأن الله هو إلههم فقط وليس إله الناس كافة. وإسرائيل الذي ينتسب إليه بنو إسرائيل هو "يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل ـ عليهم السلام ـ"[1].

ونستطيع أن نقسم تاريخ اليهود إلى عدة مراحل:

خروج بني إسرائيل من مصر والتيه في سيناء:

لقد كانت قصة الخروج أشبه بثورة قادها موسى عليه السلام ضد فرعون حيث كانت ثورته تقوم على قضيتين أساسيتين هما:

الأولى: الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد، وإثبات بطلان الديانة المصرية التي كان يدين بها فرعون، وإثبات بطلان دعواه الألوهية، وإظهار موسى المعجزات التي تبين صدقه، إلا أن فرعون أبى واستكبر واشتط في العناد وغالى في ادعاء الألوهية والربوبية، وسخر من موسى وممن معه وتوعدهم بالعذاب الأليم، خاصة بعد أن آمن السحرة بالله رب العالمين وصدقوا موسى في رسالته[2].

والثانية: إخراج بني إسرائيل وتحريرهم من ذل العبودية. إذ لما وصل الأمر بين موسى وفرعون إلى طريق مسدود، طلب موسى وهارون من فرعون أن يرسل معهما بني إسرائيل، ولكنه أبى واستمر في اضطهاده لهم. أوحى الله إلى موسى أن يخرج ليلاً ومن معه من بني إسرائيل. وبالفعل خرج بهم موسى وتبعهم فرعون، ولم يكن أمام موسى وقومه إلا البحر، فأوحى الله إلى موسى أن يضرب البحر

---

[1] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص 150.

[2] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، ص 61 – 62.

بعصاه فانفلق البحر، وعبره موسى ومن معه، ولإنفاذ قدر الله في فرعون وقومه تبعهم فرعون وقومه فأغرق الله فرعون ومن معه.

وأما زمن الخروج فيرى المؤرخون أنه حدث في أواخر القـرن الثالث عشر قبل الميلاد وحددته بعض المصادر بعام (1213 ق. م)[1] وبعضها بعام (1237 ق. م)[2].

وتذكر التوراة أن عدد الرجال عند الخروج دون النساء والأطفال نحو ستمائة ألف رجل[3]. وهو عدد مبالغ فيه، بل عده الشيخ رحمة الله الهندي من الأغلاط[4]، إذ أن ذلك يعني أنهم تضاعفوا خلال فترة بقائهم في مصر قرابة ثلاثين ألف ضعف، في حين كان عددهم وقت الدخول سبعين نفساً ولكن العدد الحقيقي لهم عند الخروج من مصر حوالي (6000 إلى 7000) نسمة[5].

وسرعان ما تنكر الكل لموسى ونسوا معروفه وجهوده، وراحوا يقولون له ولأخيه هارون "ليت الرب أماتنا في أرض مصر، فهناك كنا نجلس حول قدور اللحم نأكل خبزاً حتى الشبع، وها أنتما قد أخرجتمانا إلى هذه الصحراء لتُميتا كل هذه الجماعة جوعاً"[6].

ورحلة الخروج هذه يسردها سفر الخروج مفصلة ويبينها القرآن الكريم موضحاً مدى المعاناة التي لاقاها موسى عليه السلام منهم ومدى تعجيزهم له ومطالبهم المستمرة له ومدى صبره عليهم ودعاءه المستمر لربه أن يكشف عنهم الرجز ويصرف عنهم السوء، والنعم المتواصلة التي أنعم الله بها عليهم "وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ" (الأعراف: 160).

---

[1] انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 23.
[2] انظر: البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، ط1، 1990م، ص 63.
[3] انظر: سفر الخروج، 12: 37.
[4] انظر: الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن، إظهار الحق، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (1/149).
[5] انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص 285، وانظر: موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ص 156.
[6] سفر الخروج 16: 3.

ولنقرأ ما ورد في سفر العدد عن تمردهم على الطعام واعتراضهم على المن والسلوى "فعاد بنو إسرائيل يبكون قائلين من يطعمنا لحماً؟ لقد تذكرنا سمك مصر الذي كنا نأكله مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم، أما الآن فقد فقدنا شهيتنا وهزلنا وليس أمام أعيننا سوى هذا المن"[1].

ومع كل هذه النعم الإلهية عليهم لم يقابلوا ذلك بالشكر والعرفان بل قابلوه بكل حجود ونكران، وعتوا عن أمر ربهم.

ويمضي موسى عليه السلام يسير بقومه تجاه أرض كنعان واختار موسى عليه السلام من قومه اثني عشر رجلاً على عدد الأسباط وطلب منهم أن يستطلعوا هذه الأرض ويستكشفوا أهلها، فإذا بهم يقولون: إن فيها قوماً جبارين واشترطوا لدخولها أن يخرج أهلها منها وصاحوا بموسى عليه السلام " يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ" (المائدة: 22) ولكن اثنين من الذين أنعم الله عليهما وهما "يوشع بن نون" و"كالب بن يوفنا"[2] حثا بني إسرائيل على الجهاد والقتال، وأن يصمموا على دخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم، وبشرهم بالنصر إذا هم اعتمدوا على الله[3]. فانقد غضب الجمهور عليهما وحاولوا رجمهما بالحجارة[4]. فما كان من موسى إلا أن دعا عليهم فاستجاب الله له، قال تعالى: قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ * قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ" (المـائـدة: 25 – 26) فعاقب الله الذين امتنعوا عن دخول الأرض المقدسة بأمرين:

الأول: أنه حرم عليهم دخول هذه الأرض أبداً، والذين دخلوها بعد ذلك هم أولادهم أما هم فإن الله حرمها عليهم.

الثاني: أن الله عاقبهم بالتيه في الأرض لمدة أربعين عاماً، ولنا أن نتصور مدى الضنك الذي عوقبوا به حين تتحرك هذه الأعداد في تلك

---

[1] سفر العدد 11: 4 - 6.

[2] انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 64، وانظر أيضاً: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص 64.

[3] انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 31.

[4] انظر: دروزة، محمد عزت، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، القاهـرة، ط2، 1969م، ص 87.

المسافة على غير هدى ولا رشاد، فكانوا يسيرون فيصبحون حيث يمسون ويمسون حيث يصبحون[1]. ويبدو أن مرحلة التيه في الصحراء كانت ضرورية لهم لصياغة نفوسهم من جديد، تلك النفوس التي تعودت على الحياة المنعمة حتى لو كانت في ظل العبودية، فكان لابد لهذه النفوس أن تتغير وتتعرض لمحن وفتن تصهرها من جديد وتجعلها قادرة على مواجهة القتال والأعداء[2].

ومات هارون قبل موسى عليه السلام بثلاث سنوات ودفن في جبل هور على تخوم أرض أدوم، وأما موسى فمات على أرض مؤاب في جبل "نابو" قريباً من الأرض المقدسة[3].

دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة:

تولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى، وقد اختاره موسى قبل موته[4].

وهو يوشع بن نون بن افرائيثم بن يوسف بن يعقوب[5]، وهو فتى موسى وتلميذه وحواريه، ونبي بني إسرائيل من بعد موسى[6]، وقد ذكره الله في القرآن الكريم في سورة الكهف في قصة موسى والرجل الصالح "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً" (سورة الكهف: 60) وقد أورد البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بضع المرأة وهو يريد أن يبني بها ولمّا يبن بها، ولا أحد بنى بيوتاً ولم يرفع سقوفها ولا آخر اشترى غنماً أو خلفات، وهو ينتظر ولادها، فغزا فدنا من القرية صلاة العصر أو قريباً من ذلك فقال للشمس: إنك

---

[1] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، ص 65.
[2] انظر: العمري والحاج، مقارنة الأديان، ص 156.
[3] انظر: السعدي، طارق، مقارنة الأديان، ص 42.
[4] انظر: سفر العدد 27: 15.
[5] الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1991م، (1/257).
[6] انظر: البار، محمد علي، الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق، ط1، 190، ص 287.

مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليهم فجمع الغنائم ... الحديث"[1].

وقد اتجه يوشع مع أتباعه إلى الشمال، شرقي نهر الأردن، وجهز نفسه لعبور النهر ونزوله فلسطين. وكانت أول المدن التي استولى عليها بنو إسرائيل هي مدينة "أريحا"[2]، والتوراة تسئ إلى هذا النبي فتقول عنه إنه قتل كل من فيها من إنسان أو حيوان وحرق المدينة كلها ولم ينج من سكان المدينة إلا امرأة زانية تدعى "راحاب" وأهلها، حيث أن بيتها هو الذي خبأ الجاسوسين اللذين أرسلهما يوشع بن نون لاستطلاع أوضاع المدينة[3]. ومن أريحا انطلق بنو إسرائيل إلى بقية الأرض المقدسة لكنهم لم يستطيعوا أن يمدوا سلطانهم إلى كل فلسطين ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية، أما منطقة الساحل فقد ظلت في أيدي السكان الأصليين[4].

ويقسم أكثر المؤرخين تاريخ بني إسرائيل في أرض كنعان إلى ثلاثة عهود:

أ. عهد القضاة: ويمتد من (1125 – 1025 ق. م)[5] استمر هذا العهد قرناً واحداً من الزمان إلا أن حساب سفر القضاة يجعل حقبة القضاة نحو (350) سنة، وهذا الرقم من مبالغات السفر[6].

وعرف هذا العهد بعهد القضاة لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني إسرائيل بعد موت "يوشع" سموا قضاة. ويطلق عليها أيضاً فترة الشيوخ[7] وكانوا من الكهنة ينتخبهم كبار الشعب حكاماً لبني إسرائيل، وقد بلغ عددهم أربعة عشر قاضياً، ولم يكن هذا المنصب وراثياً، ولم يقتصر على الرجال، ومن أبرز هؤلاء القضاة جدعون الذي تغلب على المديانيين[8].

---

[1] يقول ابن حجر: "وهذا النبي هو يوشع بن نون، وقد ورد أصله من طريق مرفوعة صحيحة أخرجها أحمد من طريق هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الشمس لم تحبس إلا ليوشع بن نون ليالي سار إلى بيت المقدس" انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري باب فرض الخمس (6/255).

[2] انظر: السعدي، طارق، مقارنة الأديان، ص 42.

[3] انظر: سفر يشوع 2: 1 – 2 و6 : 22 – 25.

[4] انظر: شلبي، اليهودية، ص 92.

[5] انظر: سنقرط، جذور الفكر اليهودي، ص 110.

[6] انظر: دروزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص 122.

[7] انظر: اليهود في شبه الجزيرة العربية، ص 26.

[8] انظر: سفر القضاة 7: 8.

فبوفاة يوشع انقطعت القيادة الجماعية لبني إسرائيل وتفرقت الأسباط إلى مجموعات ترتبط بأحلاف دفاعية واهية[1]. والذي يقرأ سفر (القضاة) يستخلص منه أن عهد القضاة من أسوأ عهود بني إسرائيل، ففيه انتشرت بينهم شتى الرذائل والمنكرات إذ عبدوا الأصنام، وقتلوا المصلحين، وفشا فيهم الزنا[2]، وفي هذه الفترة ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله سبع مرات على الأقل[3]. يذكر "ول ديورانت" طريقة تولي القيادة في هذا العهد فيقول: "نظامهم وحكمهم لا يقومان على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون القبيلة وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى"[4].

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة المدنية أو التوطينية، وبدأت حياتهم تتغير رويداً رويداً من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار[5]، لكن هذا التغير الاجتماعي في حياة بني إسرائيل لا يعني استقراراً سياسياً أو رضى من سكان البلاد الأصليين بهذا الاحتلال الإسرائيلي لأرضهم أو وحدة سياسية بين الإسرائيليين أنفسهم[6].

وكما ذكرنا سابقاً فإن أغلب الباحثين ذهبوا إلى أن عهد القضاة يعتبر بحق عصر التفكك الكامل والفوضى الشاملة على مدار تاريخهم القديم. ورد في سفر القضاة عن تلك الأيام أنه "لم يكن ملك على إسرائيل، فكان كل واحد يعمل ما حسن في عينيه"[7]. ومما ساعد على الإنحلال والتفكك أيضاً أن موت القضاة الذين يحكمونهم كان يشجع اليهود على الفساد أكثر من آبائهم،بل وكانوا يشركون مع الله غيره[8].

وفي هذه الأثناء شن الفلسطينيون هجوماً كبيراً على بني إسرائيل بدأ من المنطقة الساحلية وانتهى إلى داخل كنعان وحاربوا بكل قوة وهزموا

---

[1] (?) انظر: البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 72.
[2] (?) انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 35.
[3] (?) انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 72.
[4] (?) ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، بدون تاريخ، (2/329).
[5] (?) انظر: شلبي، اليهودية، ص 81.
[6] (?) انظر: العمري، والحاج، مقارنة الأديان، ص 158.
[7] (?) سفر القضاة 21: 25.
[8] (?) انظر: سفر القضاة 2: 20.

بني إسرائيل فخضع الإسرائيليون لشعوب كنعان ووقعوا تحت قبضتهم في سلسلة متواصلة من الاضطهاد والاستذلال في عصر القضاة[1].

ب. عهد الملوك: وأطلق عليه عهد الملوك بعد انتقال الحكم من القضاة (الشيوخ) إلى الملوك ويمتد من (1030 – 905 ق. م)[2] وبدأ هذا العهد بعدما أخفق نظام القضاة حيث ساد الفسق والرشوة مما جعلهم يتجهون إلى جمع شمل الأسباط[3]. وفي هذا الخصوص يروي سفر صموئيل الأول قصة الإنتقال من عهد القضاة إلى عهد الملوك فيقول: "ولما طعن صموئيل في السن نصَّب ابنيه قاضيين لإسرائيل ... غير أنهما لم يسلكا في طريقه بل غويا وراء المكسب وقبلا الرشوة وحابيا في القضاء. فاجتمع شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل في الرّامة وقالوا له: ها أنت قد شخت، ولم يسلك ابناك في طريقك، فنصب علينا ملكاً يحكم علينا كبقية الشعوب"[4]. واستجاب صموئيل لهذا المطلب "وقال صموئيل لكل الإسرائيليين: ها أنا قد لبيت طلبكم وحققت لكم كل ما سألتم ونصبت عليكم ملكاً"[5].

واختار لهم صموئيل شاول بن قيس من بني بنيامين ـ وهو طالوت الوارد ذكره في القرآن ـ ليكون أول ملك عليهم[6]. وقد قادهم في المعارك بشجاعة، وكان في عداد رجاله داود الذي انتصر على "جليات" الذي يسميه القرآن "جالوت"[7]. كما في قوله تعالى "وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (البقرة: آية 250) وكان قائداً للفلسطينيين دعاه داود للمبارزة فاستهزأ به جالوت ولم يتهيأ له فغلبه داود وكبر في أعين الناس مما أثار ذلك حقداً عليه في

---

[1] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ص 68. وانظر:موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ص 159.

[2] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، ص 68.

[3] انظر: السعدي، مقارنة الأديان، ص 44.

[4] سفر صموئيل الأول 8: 1-5.

[5] سفر صموئيل الأول 12: 1.

[6] انظر: الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، ص 325.

[7] انظر العمري، والحاج، مقارنة الأديان ص 159، وانظر أيضاً: السعدي، طارق، مقارنة الأديان ص 45.

نفس "شاول" وعزم على قتله وطارده مدة طويلة مما دعا داود للجوء إلى الفلسطينيين مرتين هارباً منه[1].

فانتهز الفلسطينيون[2] الفرصة وهاجموا بني إسرائيل وهزموهم، وسقط شاول في إحدى المعارك ودق جسده بالمسامير على أسوار بيت شان[3] ـ أي بيسان ـ، وقد تم ذلك سنة (1010 ق. م) [4].

وبذلك يبدأ عهد مهم من عهد الملوك وهو عهد الملك النبي داود عليه السلام وولده الملك النبي سليمان عليه السلام.

تسلم داود الملك وهو في الثلاثين من عمره وامتدت فترة حكمه أربعين عاماً[5]. سبع سنوات منها في الخليل، وفي أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة. واستطاع داود بحنكته السياسية وقدراته العسكرية الفائقة أن يوحد الإسرائيليين، وحاول أن يحافظ على التماسك القبلي لأسباط بني إسرائيل حيث كان لكل سبط أقليم معين بالإضافة إلى دخوله القدس وإحضار "تابوت العهد"[6] إليها لتكون مركزاً دينياً، ومع كل هذا فلم يحدث اندماج حقيقي بين الأسبـاط الشماليـة والجنوبية[7].

---

[1] انظر: سفر صموئيل الأول 6 والإصحاحات التالية له.

[2] اسم فلسطين هو اسم مشتق من اسم أقوام بحرية لعلها جاءت من غرب آسيا الصغرى ومناطق بحر إيجه حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد وورد اسمها في النقوش المصرية باسم "ب ل س ت" وربما أضيفت النون بعد ذلك للجمع، وقد سكنوا المناطق الساحلية واندمجوا بالكنعانيين بسرعة، فلم يبق لهم أثر مميز سوى أنهم أعطوا الأرض اسمهم ولمزيد من الاطلاع انظر: العامري، محمد أديب، عروبة فلسطين في التاريخ، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1972. وانظر الموسوعة الفلسطينية، اصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، القسم الرابع، (3/474).

[3] انظر: السعدي، طارق، مقارنة الأديان، ص 46.

[4] انظر: المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص 80.

[5] انظر: عرفان، عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، دار عمار، ط1، 2002م، ص 74.

[6] تابوت العهد: الصندوق الذي وضعت فيه الواح موسى وفيه عصا هارون، من أكثر الأشياء قداسة عند اليهود، حيث يعتقد اليهود أن التابوت صنع بأمر الله، حيث أعطى الله لموسى أوصافه، بأن يصنع من خشب صلب غشي بالذهب، ويزعمون أن نبي الله سليمان عليه السلام لما أتم بناء الهيكل وضعه فيه. ولما تخرب الهيكل وهدم لم يعرف مكانه بفعل الحروب والعوامل الجوية. وكان التابوت يُحمل أحياناً إلى المعركة رمزاً للحماية الإلهية وتقوية الروح المعنوية ولكن هذا التابوت ليس له أي معنى روحي أو تقديس ديني بعد أن فقد الصلة بالأنبياء والمرسلين، فقد جعله الله مباركاً وقت أن جعل فيه السكينة لكونه آية الله في الحرب لصموئيل وداود. انظر: الأسفار التي تحدثت عن التابوت: سفر الخروج 25، وسفر التثنية 10، وسفر العبرانيين 9، وسفر يشوع 6، وسفر صموئيل 4. وانظر أيضاً: الفرحان، راشد عبدالله، الأديان المعاصرة، جمعية الدعوة، طرابلس، ط2، 1985م، ص 57 – 58.

[7] انظر: العمري، والحاج، مقارنة الأديان، ص 161.

وتولى ملك بني إسرائيل بعد داود، إبنه سليمان[1]. وفي أثناء حكم سليمان ـ عليه السلام ـ ساد البلاد السلام ونعم الإسرائيليون لأول مرة بالأمن والأمان، يقول الأستاذ محمد عزت دروزة: "وإذا أردنا أن نجمل عهد سليمان بكلمة فمن الحق أن نقول إن سلطانه لم يتجاوز أرض كنعان ـ غرب الأردن ـ خلافاً لأبيه، وأن عهده كان أكثر استقراراً وهدوءاً وأقل مشاكل من عهد أبيه، وإن لم يخل هو الآخر من مشاكل ومزعجات داخلية وخارجية"[2] إذاً أستطيع القول بأن عهد داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ يعتبر العهد الذهبي لبني إسرائيل، رغم ما أصابه من اضطرابات، بناء على ما يذكره العهد القديم، وتاريخهم سوى هذا العهد يعتبر سلسلة من المآسي والنكبات التي نزلت بهم من الأمم الأخرى بسبب إفسادهم في الأرض، ونحن ننزه داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ عن كل ما نسبته أسفار التوراة أو كتبه التاريخ إليهما من جور أو ظلم، فهما نبيان كريمان معصومان من ارتكاب ما نهى الله عنه[3].

بقي أن أشير إشارة بسيطة قبل الانتقال إلى عهد الانقسام والزوال إلى الهيكل الذي زعموا أنه قد أشار العهد القديم أن بناءه استغرق سبع سنوات، بينما استغرق بناء قصر سليمان وملحقاته ثلاثة عشر عاماً. وراحت أسفار العهد القديم تتحدث عن هذا الهيكل وطوله وعرضه وارتفاعه، ونجد وصفاً وافياً لكيفية بناء الهيكل وتأثيثه[4]. فلماذا لم يجده اليهود في عصرنا الحاضر على الرغم من أعمال الحفر والتنقيب التي بدأوها منذ سنة (1967م) وإلى يومنا هذا ولم تكتشف، علماً بأن الدراسات المعاصرة قد أثبتت عدم وجود الهيكل أصلاً في مدينة القدس وأنه خرافة لتقوية صلة اليهود بأرض فلسطين.

ج. عهد الانقسام والزوال.

بعد العصر الذهبي الذي عاشه اليهود في كنف ملك سيدينا داود وسليمان عليهما السلام لم يبق الحال على ما هو عليه، إذ بعد وفاة سليمان

---

[1] ولد سليمان في أورشليم حوالي سنة (1043 ق. م) وتوفي حوالي سنة (975 ق. م). انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص 43.

[2] تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 172.

[3] انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 45.

[4] انظر: سفر الملوك الأول 5: 7.

عليه السلام دب النزاع بين أولاده على السلطة، الأمر الذي ترتب عليه انقسام الدولة، وتفكك المملكة، إذ أعلن رحبعام بن سليمان نفسه ملكاً على جميع بني إسرائيل، وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم، ورفض شيوخ الأسباط في الشمال أن يبايعوه فافترقت ممالك بني إسرائيل، إلى مملمكتين "جنوبية" اسمها "يهوذا" وعاصمتها "أورشليم" وشمالية اسمها "إسرائيل" وعاصمتها "شكيم" (نابلس حالياً) [1].

وفي هذه الفترة قامت سلسلة حروب عسكرية وفتن دينية واختلافات في الرأي والعقيدة أوهنت قوة بني إسرائيل، ففي عهد الملك الآشوري سرجون الثاني (721 ق. م)[2] هاجم الأشوريون مملكة إسرائيل سنة كاملة وحاصروا عاصمتها السامرة ـ نابلس ـ ودمروها وأجلوا رجالها إلى خارج البلاد، وبهذه الضربة الأشورية انتهت مملكة الشمال "إسرائيل" فصارت يهوذا المركز الديني لبني إسرائيل ومحور تاريخهم، إلا أن "يهوذا" تعرضت هي الأخرى بعد قرن وثلث القرن إلى هجمات المصريين أولاً، ومن بعدهم لضربات البابليين حيث حاصروا عاصمتها "أورشليم" سنة (597 ق. م) وأسروا ملكها ونقل مقيداً بالسلاسل إلى بابل، ثم لما تمردت أورشليم ثانية، جاء بختنصر (نبوخذ نصر) ملك بابل الذي آل إليه السلطان على آشـور مـن سنة (605 – 562 ق. م) وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ثم احتل مملكة "يهوذا" وقتل آخر ملوكها وذهب إلى أورشليم ودمرها وسبى أكثر السكان إلى بابل[3] وانتهى بذلك مُلك اليهود بفلسطين، ودخل اليهود مرحلة جديدة من تاريخهم هي مرحلة السبي البابلي والشتات. وخلت فلسطين تقريباً من اليهود إثر سقوط مملكتي "إسرائيل ويهوذا" في يد البابليين ولم يبق أحدٌ إلا المساكين[4].

وفي سنة (538 ق. م) احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل، ومن ثم أصبح السلطان على أرض فلسطين، وأطلق الفرس على بني إسرائيل

---

[1] (?) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك (1/304). وانظر أيضاً: ابن الأثير، عز الدين علي بن مكرم، الكامل في التاريخ، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002م، (1/212) وانظر: سفر الملوك 11: 12.

[2] (?) انظر: شلبي، اليهودية، ص 91.

[3] (?) انظر: العرب واليهود في التاريخ ص 314. وانظر: الساموك، مقارنة الأديان، ص 38.

[4] (?) انظر: العرب واليهود في التاريخ، ص 314.

اسم (اليهود) وأطلقوا على عقيدتهم اسم (اليهودية)[1]، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل، وفي عهد قورش الفارسي انتهى السبي البابلي وأصدر قورش أوامر بعودة اليهود إلى فلسطين مع السماح لهم بإعادة بناء الهيكل كما أمر بإعادة الآنية المقدسة التي سلبهـا (نبوخذ نصر) ووضعها في بيت آلهته، كما يزعم سفر عزرا[2].

إلا أن عودة اليهود من المنفى كانت عودة أشخاص وليس عودة دولة، فإن بعض اليهود عادوا ولكن دولتهم لم تعد، فقد صاروا جماعة تابعة للحكم الفارسي وخاضعة له، ولم تكن لهم سيادة ولم يكونوا أكثر من جالية في فلسطين يخضعون للحكم الفارسي كما يخضع كل السكان ويدفعون الجزية، ولكنهم كانوا يحاولون إقامة دولتهم فلا يستطيعون ذلك لصرامة الفرس في هذا الأمر، فكانت الصراعات بينهم وبين حكامهم الفرس قائمة، لذا رحبوا بالاسكندر المقدوني عندما زحف على فلسطين سنة (320 ق. م) [3] وحكم فلسطين بعده البطالسة[4].

ومنذ سنة (200 إلى سنة 167 ق. م) استطاع السلوقيون[5] أن يجعلوا فلسطين خاضعة لسلطانهم وعاملوا اليهود بالشدة والقسوة، وجعلوا يبذلون جهودهم في تحويل اليهود عن التقاليد الدينية والاجتماعية اليهودية إلى التقاليد اليونانية، ونصب الوالي (أتنيوس) تمثالاً لمعبودهم اليوناني في هيكل أورشليم، وقرب له القرابين، وأخذ يدعو اليهود إلى المشاركة في الطقوس اليونانية، وينزل أشد العقوبات بمن يمتنع عن الإستجابة لتعاليمه، وقد استجاب له عدد كبير من اليهود، وأخذوا يتركون ديانتهم وتقاليدهم، ليندمجوا في تقاليد وطقوس اليونانيين[6]. وأدت معاملة السلوقيين القاسية لليهود إلى انفجار الثورة ضدهم من جماعة من الكهنة اليهود عرفوا في

---

[1] انظر: قصة الديانات، ص 327.
[2] انظر: سفر عزرا 1: 7 – 8.
[3] انظر: شلبي، اليهودية، ص 94.
[4] البطالسة: سلالة مقدونية حكمت مصر من وفاة الإسكندر سنة (333 ق. م) إلى غاية (30 ق. م) أول ملوكها بطليموس الأول أحد قادة جيش الإسكندر وآخرهم الملكة كليوباترا.
[5] السلوقيون: (312 ق. م – 64 ق. م) سلالة هلنستية ترجع تسميتها إلى مؤسس الأسرة الحاكمة للدولة السلوقية، سلوقس الأول نياكتور، أحد قادة جيش الإسكندر.
[6] انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة ص 58.

التاريخ باسم "المكابيين"[1] واستطاع المكابيون أن يسيطروا لفترة من الزمان على أورشليم، وأن يتمتعوا بشيء من الكيان المستقل إلا أن استقلالهم كان يضيق ويتسع على حسب الظروف[2].

ثم جاء العصر الروماني وحلت أسرة "هيرودس" محل أسرة "المكابيين" وحكم "هيرودس" من سنة (37 – 4 ق. م) ووصفه الشعب استهجاناً بأنه ملك نصف يهودي، لافتقاره إلى الجذور الدينية القومية. فقد اعتنق اليهودية، إلا أن اليهود عدوه أجنبياً. وحاول "هيرودس" أن يرضي اليهود فبنى هيكلاً على نسق هيكل سليمان سنة (20 ق. م) وفي هذا العهد عاش اليهود في ظل الدولة الرومانية فترة هادئة استطاعت فيها الجماعات الدينية اليهودية أن تمارس تسلطها وطغيانها في ظل سيادة الدولة الرومانية، وفي ظل مرحلة الإنفتاح هذه مع الدولة الرومانية، انبثقت المسيحية اليهودية وظهر السيد المسيح عليه السلام من قلب المجتمع اليهودي[3] من خلال الفرق الكثيرة التي انحرف بعضها انحرافاً كبيراً استدعى ظهور حركات إصلاح وصيحات نذير، فكانت رسالة المسيح عليه السلام تمثل هذه الصحية لتصحيح المسار في المجتمع الإسرائيلي نفسه[4].

ولكن أجواء الإرتياح لليهود لم تدم في ظل الدولة الرومانية فقد قاموا بثورتهم على الإمبراطورية الرومانية سنة (66م) وظلت إلى (70م). حيث دمر الامبراطور (تيطس) "Titus" مدينة أورشليم وأحرق الهيكل على أثر ثورة قام بها اليهود[5]. وهذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد بعد التدمير الأول الذي أحدثه بختنصر[6].

وإذا كان تيطس اكتفى بتدمير المدينة والهيكل وأبقى الحطام مكانه فإن "أدريانوس" أزال معالم المدينة ومعالم الهيكل تماماً سنة (135 م)، إذ حرث الأرض وسواها وزرعها كما تخلص من اليهود، فلم يبق بها يهودي

---

[1] المكابيون: نسبة إلى أحد قوادهم، وهي كنية فردية لثالث أبناء متياس، وهو الباسل يهوذا. وقيل: سموا بذلك نسبة إلى كلمة (مكابا) العبرية التي معناها: المخبأ. انظر: الفكر الديني اليهودي، حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، ط2، 1987م، ص 57. وانظر: اليهود في شبه الجزيرة العربية ص 33. وانظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 59.

[2] انظر: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 59.

[3] انظر: العمري والحاج، مقارنة الأديان، ص 168.

[4] انظر: العمري، والحاج، مقارنة الأديان، ص 168.

[5] انظر: السعدي، مقارنة الأديان، ص 95.

[6] انظر: شلبي، اليهودية، ص 95.

واحد، يقول الدكتور أحمد شلبي: "فرحل من استطاع الهرب منهم إلى مصر وشمالي إفريقيا واسبانيا وأوروبا، وأقام الامبراطور الروماني أدريانوس مكان الهيكل اليهودي هيكلاً وثنياً باسم (جوبيتار) "Jupitar" رب الآلهة عند الرومان، وبقي هذا الهيكل إلى أن قامت المسيحية في أورشليم، فدمره المسيحيون من أساسه في عهد الإمبراطور "قسطنطين""[1]. وكانت هذه الضربة آخر ضربة وجهت لليهود في فلسطين، ولما جاء الإسلام لم يكن في القدس ذاتها أي يهودي لأن اليهود كانوا آنذاك أقلية لا تذكر في الجبال المجاورة للقدس[2]، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدم إلى القدس إلا أنه لم يتسلمها من اليهود وإنما تسلمها من بطريرك النصارى "صفرونيوس"، وكان من شروط العهدة العمرية[3]: ألا يسكن بإيليا ـ أي القدس ـ أحد من اليهود[4].وطويت صفحة من صفحات الشرك والوثنية على أرض فلسطين المباركة، واتجه الخلفاء إلى عمارتها وتحصينها والاهتمام بها، إلا أن الأمن والأمان الذي أظل الناس في عهد الحكم الإسلامي العادل، سهل لليهود العودة إلى فلسطين من منافيهم بأعداد كبيرة، واستوطنوا حول مدينة القدس، وبعد أن انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين، عادت أعداد أخرى منهم من المنافي إلى فلسطين، حيث كانوا يضطهدون ويذبحون في البلاد التي كان يعيشون فيها قبل عودتهم إلى فلسطين.

وقد كان حالهم في المنافي لا يتسم بالاستقرار، إذ أنهم كانوا يمارسون فيها جرائمهم ومخازيهم، فمنهم من ذهب إلى الجزيرة العربية، حتى إذا جاء الإسلام أجلاهم عنها، بعد أن حاربوا النبي محمداً صلى الله عليه وسلم وتآمروا عليه وعلى دعوته، ومنهم من انتشر على شطآن البحر

---

[1] قسطنطين (280 – 337): هو قسطنطين بن قسطنديوس كلوروس وأمه هيلانة التي كان لها أثر كبير في التفاته إلى النصرانية، ولد في (نيش) من أعمال يوغسلافيا، التحق بالجيش وهو في الخامسة عشرة من عمره، تولى عرش الإمبراطورية سنة (323م)، وتوفي سنة (337م). وعلى يده انتهى الإضطهاد الذي عاشه النصارى طويلاً، ولكنه بقي على وثنيته طوال حياته ولم يتقبل النصرانية إلا على فراش الموت. انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص 128 – 131.

[2] انظر: جذور الفكر اليهودي، ص 130.

[3] انظر: نص العهدة العمرية في كتاب "الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل" (1/371).

[4] انظر: جذور الفكر اليهودي، ص 131.

المتوسط، وفي الشمال الأفريقي، وفي المدن اليونانية، والرومانية والفرنسية والإسبانية، إلا أنهم ما يكادون يستقرون في مكان إلا وتطاردهم جرائمهم ومخازيهم، فقد طردوا من انجلترا، ومن فرنسا، ومن بلجيكا، ومن النمسا، ومن هولندا، ومن إسبانيا والبرتغال، وإيطاليا، ولم يكونوا يجدون ملجأً أميناً لهم إلا في ديار العرب والمسلمين[1].

ولعل اضطهاد الشعوب لليهود يرجع إلى عدة أسباب منها:

1. عدم اندماج اليهود بهذه الشعوب.
2. عدم إخلاصهم ووفائهم للذين استضافوهم.
3. سلوكهم غير السوي مع غيرهم من الناس، وذلك لأنهم يعتقدون أنهم شعب يمتاز عن باقي الشعوب التي يعيشون بينها، بأنهم شعب الله المختار، وأن الشعوب الأخرى خلقت من أجل خدمتهم.
4. الاضطرابات والفتن التي كانوا يثيرونها في بلاد أوروبا وغيرها من البلدان التي كانوا يعيشون فيها، فهم عنصر فساد في أي مكان ينزلون به[2].

وأما الحقيقة التاريخية الثابتة، التي أكدها وقررها باستمرار المؤرخون لليهودية، سواء من اليهود أو من غيرهم، تلك هي أن اليهود في العصور الإسلامية تمتعوا بأمنهم وحريتهم الدينية، وبلغت ثقافتهم عصرها الذهبي، سواء في العراق إبان القرن التاسع الميلادي، أو في الأندلس خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، وتمتعوا بتسامح ديني واسع لا حدود له[3]. ومن مشاهير متكلمة اليهود وفلاسفتهم الذين برزوا في العصور الإسلامية: "الرابي يهودا بن طبون وابنه صموئيل، وسعيد (سعدايا) بن يوسف الفيومي (882 – 944م) ويهودا بن هاليفي الطليطلي (1085 – 1143م) وموسى بن ميمون (1146 – 1205م) وغيرهم[4].

محاولات اليهود للعودة إلى فلسطين في العصر الحديث:

---

[1] انظر: جذور الفكر اليهودي، ص 132 – 133.

[2] انظر: محمود محمد حمودة، التبيان في الفرق والأديان، مؤسسة الوراق للنشر، عمان، ط1، 2001م، ص 194.

[3] انظر: اليهودية عرض تاريخي، ص 112.

[4] انظر: النشار، علي سامي والشربيني، عباس أحمد، الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية، منشأة المعارف الإسكندرية، 1972م.

ابتدأت الفكرة لدى العالم الغربي في تجميع اليهود في دولة من أيام حملة "نابليون بونابرت" الفرنسي[1] عام (1799م) حيث دعا يهود آسيا وإفريقيا للانضمام إلى حملته من أجل بناء مدينة القدس القديمة، وقد جند منهم عدداً كبيراً في جيشه، إلا أن هزيمته واندحاره حالا دون ذلك[2].

ثم عادت الفكرة تظهر على السطح مرةً أخرى، وبدأ العديد من زعماء الغرب وكبار اليهود يهتمون بها ويؤسسون كثيراً من الجمعيات المنادية لهذا الأمر بعد أن نجح اليهود في أن يبرزوا للعالم ما نزل بهم من ضيم، وأن يصوروا أنفسهم في صورة المظلوم المعتدى عليه[3]. وابتدأ التخطيط الفعلي حين أصدر "الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل"[4] عام (1896م) كتابه "الدولة اليهودية" حيث عقد زعماء اليهود مؤتمراً في مدينة "بال" بسويسرا سنة (1897م) الذي أعطيت له صلاحيات واسعة في تنفيذ قرار المؤتمرين باتخاذ فلسطين وطناً قومياً لليهود[5]. ودرسوا حال المستعمرين فوجدوا أن بريطانيا أنسب الدول لهذا الأمر حيث تتفق رغبتها في وضع داء وسط الأمة الإسلامية موالٍ للغرب مع رغبة اليهود في وطن قومي لهم، وكانت أكثر البلاد العربية تحت سيطرتها، فدبروا معها المؤامرة، وأخذوا بذلك وعداً من "بلفور" رئيس وزراء بريطانيا (1902 – 1905م) ثم وزير خارجيتها عام (1917م) أعلن فيه أن بريطانيا تمنح اليهود حق إقامة وطن

---

[1] نابليون الأول (1769 – 1821م)، غزا مصر (1798م) وسوريا (1799م) توج امبراطوراً لفرنسا عام (1804م) وملكاً على إيطاليا (1805م) وهزمته جيوش الحلفاء في معركة الأمم (1813م) وعلى إثرها تنازل عن العرش ونفي إلى جزيرة إلبا ولكنه عاد إلى فرنسا وحكم مائة يوم ولكنه هزم هزيمة منكرة عام (1815م) ونفي إلى سانت هيلانة ومات بداء السرطان (1821م). انظر: الموسوعة العربية الميسرة، بإشراف، محمد رشيد غربال، دار القيم، القاهرة، 1965م، ص 216.

[2] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 61.

[3] انظر: شلبي، اليهودية، ص 103.

[4] ولد هرتزل عام (1860م) في بودابست عاصمة المجر وتوفي عام (1904م) ولم يتزوج، ولم يكن في بداية أمره يهودياً متزمتاً بل كان مبدؤه التيار التحرري، وكان مهتماً بالكتابة الصحفية من قصة ورواية وشؤون غرامية، إلا أنه تحول بعد ذلك إلى يهودي متزمت بعد قيام الحكومة الفرنسية بمحاكمة يهودي فرنسي اسمه (درايفوس) بتهمة سرقة أسرار عسكرية وبيعها إلى المانيا، وتأثر هرتزل بمجريات محاكمة (درايفوس) وتخلى عن جميع أفكاره السابقة واعتزل الكتابة الصحفية وبدأ يعد لمشروعه الجديد وهو جمع شتات يهود العالم في رقعة من الأرض صالحة لضم جميع المهاجرين إليها من يهود العالم، وانتخب زعيماً للحركات الصهيونية وهو في السادسة والثلاثين من عمره ونقل رفاته بعد الحرب العالمية الأولى من أوروبا إلى القدس في جبل الزيتون بالقرب من الجامعة العبرية. انظر: عرفات حجازي، الصهيونية نشأتها وقيادتها ومنظماتها السرية، التوعية الفلسطينية، ط1، الكتاب الأول.

[5] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، ص 74.

قومي لهم في فلسطين، فاستطاع اليهود بسبب هجرتهم المكثفة إلى فلسطين من تكوين دولة داخل دولة، وكانت الحكومة البريطانية تحميهم من ثورة الفلسطينيين وتتعامل معهم بكل تسامح، وتساعدهم بكل الوسائل على استملاك الأراضي الفلسطينية، ولما ضعفت بريطانيا عن تحقيق أماني اليهود أحالت الأمر إلى الأمم المتحدة التي تتزعمها الولايات المتحدة والتي بدورها استلمت الدور البريطاني في المنطقة، فأرسلت الأمم المتحدة لجانها إلى فلسطين، ثم قررت هذه اللجان تقسيم فلسطين بتخطيط يهودي وضغط أمريكي، فأعلن قرار التقسيم لفلسطين بين الفلسطينيين واليهود في (29/11/1947م)[1] وقررت الحكومة البريطانية الانسحاب من فلسطين، بعد أن تأكدت أن اليهود قادرون على تسلم زمام الأمر، وحال خروجها في أيار عام (1948م) أعلن اليهود دولتهم التي اعترفت بها أمريكا بعد إحدى عشرة دقيقة، وكانت روسيا قد سبقتها بالاعتراف، ثم استطاعت هذه الدولة اليهودية أن تقوم على قدميها، وأن تخوض ضد العرب والمسلمين عدة حروب، مني فيها العرب والمسلمون بعدة هزائم، بسبب بعدهم عن دينهم وتفرقهم إلى أمم وأحزاب[2]، ولكن ربما يكون تجمع اليهود في فلسطين هلاكاً لهم، يقول الدكتور فرج الله عبد الباري" وفي تقديري ـ والله أعلم ـ أن الله يطمع هؤلاء في أولئك، وأولئك في هؤلاء، حتى يحدث ما قدره الله من معركة فاصلة ينتصر فيها أهل الحق من المسلمين على أهل الباطل من اليهود ومن عاونهم .. ولا يغررنا تقلبهم في البلاد لأن الأعمال بخواتيمها، والخواتيم مضمونة إن شاء الله لجند الحق، الذين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي الله بأمره"[3].

---

[1] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 63.
[2] انظر: التاريخ اليهودي العام (2/246).
[3] اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، ص 85.

المطلب الثاني

التغيرات التي أصابت الديانة اليهودية وأوهمت اليهود بأنهم شعب الله المختار

يعتقد اليهود أنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه الخالق لنفسه وفضله على العالمين جميعاً، ويبدو أن تاريخ نظرتهم هذه من آدم ـ عليه السلام ـ فيقولون إن أحد أبناء آدم كان ضالاً وكان الآخر مهتدياً، ومن المهتدي ينحدر بنو إسرائيل، ثم يصل التاريخ إلى نوح فيدَّعون أن الله رضي على ابنه سام وغضب على حام وأبنائه وهم تناسلوا من سام[1]. ورد في سفر التكوين "فشاهد حام أبو الكعانيين عري أبيه ـ نوح ـ، فخرج وأخبر أخويه اللذين كانا خارجاً فأخذ سام ويافث رداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا القهقرى إلى داخل الخيمة، وسترا عري أبيهما من غير أن يستديرا بوجهيهما نحوه فيبصرا عريه. وعندما أفاق نوح من سكره وعلم ما فعله به ابنه الصغير قال: "ليكن كنعان ملعوناً، وليكن عبد العبيد لإخوته" ثم قال: "تبارك الله إله سام وليكن كنعان عبداً له"[2].

ويدعي اليهود بعد ذلك أن عيسى عليه السلام حرم البركة من الله بينما حصل عليها يعقوب، جاء في سفر التكوين: "وحقد عيسو على يعقوب من أجل ما ناله من بركة أبيه"[3].

أما أسطورة الشعب المختار فقد جاءت من نصوص التوراة التي تحدثت عن العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم ـ عليه السلام ـ الذي كان يتضمن الإعتقاد بإله واحد قدير اختار بني إسرائيل من بين الأمم لحمل رسالته، ووعده أرض كنعان لنسله، تقول التوراة: "وقال له أنا هو الرب الذي أتى بك من أور الكلدانيين لأعطيك هذه الأرض وترثها"[4]. وتقول أيضاً: "أسير بينكم وأكون إلهكم، وأنتم تكونون لي شعباً، أنا الرب إلهكم أخرجتكم من مصر، وحطمت أغلال قيودكم ورفعت شأنكم"[5] وورد أيضاً: "لأنكم

---

[1] (?) انظر: السيد صالح، سعد الدين، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، القاهرة، مكتبة التابعين، ط2، ص 351.

[2] (?) سفر التكوين 9: 22 – 26.

[3] (?) سفر التكوين 27: 41.

[4] (?) سفر التكوين: 15: 8.

[5] (?) سفر الاويين، 26: 13.

شعب مقدس للرب إلهكم، فإياكم قد اختار الرب إلهكم بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص"[1].

ولذلك يرى اليهود أن امتياز الشعب اليهودي هو في الوقت نفسه مسؤولية عليهم، وعدم رعايتهم هذه المسؤولية بأمانة وصدق تجعلهم هدفاً للانتقام، وعلى هذا يفسرون ما نزل بهم من ضر بأنه عقاب لهم على عدم حملهم الأمانة وعدم سيرهم بمقتضى هذا الامتياز "قال الرب على لسان عبيده الأنبياء: لأن مَنَسَّى ملك يهوذا اقترف جميع هذه الموبقات، وارتكب شروراً أشد فظاعة من شرور الأموريين الذين كانوا قبله، وأضل يهوذا فجعله يأثم بعبادة أصنامه، لذلك يقول الرب إله إسرائيل: ها أنا أجلب شراً على أورشليم ويهوذا .. وأنبذ بقية شعبي وأسلمهم إلى أيدي أعدائهم، فيصبحون غنيمة وأسرى لهم، لأنهم ارتكبوا الشر في عيني"[2].

ثم جاء التلمود فكانت حرية الشعب المختار القضية المركزية التي تمحورت حولها كل الأنظمة والتشريعات المنبثقة عنها وزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه؛ ففي التلمود الكثير من الأمثلة كما مر بنا[3] توصي بألوان من التعصب اليهودي ضد أمم العالم. بل إن هذه النظرة المميزة لليهود على الأمميين (الغوييم) أي بقية الشعوب، تعطي لهم الحق في ملكية العالم المادي، وصناعة التصور في عقل الفرد اليهودي في العالم بالاستعلاء إذ "يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع استملاك باقي الأمم في الأرض حتى تبقى السلطة لليهود وحدهم، لأنه يلزم أن يكون لهم السلطة أينما حلوا ..."[4] ويكون عامل دفع لتوظيف هذا المبدأ التلمودي توظيفاً سياسياً، لتحقيق الشعب النموذجي المنفرد في عقليته واستراتيجيته واقتصادياته لحكم الشعوب، فتتحقق من ذلك مقولتهم: شعب الله المختار.

لكن ما هي السمات التي تتحقق في الشعب الذي يختاره الله ويميزه عن بقية الشعوب من خلال المنظور القرآني ومنطق العقل السليم؟ نستطيع أن نستنتج بأن خصائص الشعب الذي يقع عليه الاختيار والاصطفاء وتؤهله لقيادة الأمم وإمامة الشعوب يتميز بما يلي:

---

[1] سفر التثنية 7: 6.
[2] سفر الملوك الثاني، الاصحاح 21: 12 – 15.
[3] ارجع إلى الأمثلة الواردة على التلمود، ص 10.
[4] الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص 64.

1. قبوله المنهج الإلهي والإعتقاد به كما جاء به الأنبياء والرسل.
2. العمل بهذا المنهج والدعوة إليه بكل أشكاله ومظاهره.
3. المواصلة الدائمة على هذا المنهج في الإعتقاد والتنفيذ.

لكننا لو تابعنا حركة التاريخ اليهودي من خلال هذه الشروط للاحظنا اليهود في تقاطع مستمر مع حركة الأنبياء، واصطدام مع منهج الرسل ودعوة المصلحين طوال مسيرتهم في تاريخهم القديم، فكيف يختارهم الله تعالى ويصطفيهم من بين الشعوب، وهم أول من انحرفوا عن دينه، وزاغوا عن منهجه، وقتلوا رسله وأنبياءه، وحرفوا كتبه؟

لو كان الشعب اليهودي مختاراً لعاش عيشة الاستقرار والهدوء والازدهار، ولم يعش عيش التيه والضياع، فهل يعقل أن يعيش شعب يختاره الله تعالى عيش النكد والكدر والنكوص؟[1].

لقد تنوع العذاب وتعددت أشكال العقاب الذي نزل على بني إسرائيل، فقد ضرب الله تعالى عليهم الذل والمهانة والمسكنة، وقضى عليهم التيه أربعين سنة في الصحراء، وغير ذلك من أنواع العقاب، فهل يعقل شعب يختاره الله للتكريم أن ينزل به هذه الألوان من العذاب في الحياة الدنيا، ويتوعده باللعنة والعذاب الأليم في الحياة الآخرة؟

وإذا كان اليهود شعب الله المختار، فلماذا تميزوا بالقلة على مر تاريخهم الطويل، حيث لا يزيد عددهم الآن عن 15 مليون نسمة أو أكثر بقليل؟ إن الشعب الذي يختاره الله يباركه ويزيده[2].

أما ما ورد في الآيات الواردة من التفضيل لبني إسرائيل فهناك إجماع من المفسرين على أن التفضيل الذي خصهم الله به، كان خاصاً بزمانهم، والعالمين الموجودين في أيامهم، إذ كانوا هم الموحدين من دون العالم[3].

---

[1] انظر: آغا، ماهر أحمد ، اليهود فتنة التاريخ، دار الفكر، دمشق، ط1، 2002م، ص 265 – 266.
[2] انظر: المرجع نفسه، ص 267.
[3] انظر: اليهودية بين الوحي الإلهي والإنحراف البشري، ص 51.

الفصل الثاني

(بولس وتحريف النصرانية)

المبحث الأول:

التعريف بشخص بولس وأهميته

المبحث الثاني:

(أثر اليهودية في النصرانية وظهور شخصية بولس وأفكاره)

المبحث الثالث:

(دخول بولس إلى النصرانية وأثره فيها)

المبحث الرابع:

(النصرانية قبل بولس وبعده)

المبحث الأول

التعريف بشخص (بولس) وأهميته

من خلال الحديث عن أثر اليهود في تحريف الفكر الديني، تبرز لنا شخصية لعبت دوراً بارزاً في انحراف الديانة النصرانية، وتشكيلها بصورتها الحالية التي يعرفها الناس اليوم.

تلك هي شخصية (بولس) الذي يعد أبرز شخصية في الديانة النصرانية بعد المسيح – عليه السلام – بل عده الكثير من الباحثين المؤسس الحقيقي للمسيحية[1] لما كان له من أثر بالغ في تحريفها وما آلت إليه.

اسمـه:

شاؤول بن كيساي، وهناك من يقول (شاول)، ونُسَخُ العهد الجديد (الإنجيل) أوردت كلا الاسمين، ولا فرق بينهما في المعنى، وهو اسم عبري على اسم أول ملوك بني إسرائيل عندهم الذي كان أيضاً من سبط بنيامين. ومعنى شاول في العبرية "المطلوب" أو "المرغوب فيه". واستمر يدعى بهذا الاسم حتى بعد أن اعتنق النصرانية بزمن، ثم أطلق على نفسه بعد ذلك اسم "بولس" واشتهر به وهو اسم يوناني ومعناه "الصغير"[2].

والاسمان وردا معاً في سفر أعمال الرسل "وأما شاول وقد صار اسمه بولس فامتلأ من الروح القدس"[3].

مولده ونشأته:

ولد بولس (شاول) في طَرَسوس وهي تقع جنوب تركيا على بُعد سبعة عشر كيلو متراً تقريباً من البحر الأبيض المتوسط من جهة الشمال[4].

---

1 (?) يقول الدكتور عبد الكريم الخطيب: "والواقع أن (بولس) لا المسيح – هو مؤسس المسيحية، وواضع لاهوتها". انظر: الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيـل، دار المعرفـة، بيـروت، 1976م، ص 307.

2 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، القاهرة، ط9، 1994م، ص 196.

3 (?) أعمال الرسل، 13: 9.

4 (?) انظر: قاموس الكتاب المقدس، ص 575 – 576.

ولد (بولس) لأبوين يهوديين كانا يعيشان في طرسوس، ولا تعرف سنة ولادته على وجه اليقين، ولكن المصادر المسيحية تجعله فيما بين السنتين الخامسة والخامسة عشرة للميلاد[1].

وقد جاء على لسانه في سفر أعمال الرسل: "أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس الواقعة في مقاطعة كيليكيّة."[2] أمضى شاول (بولس) طفولته ومراهقته في بلدة طرسوس التي كانت تموج بالثقافات المختلفة. والأديان المتعددة في ظل الحكم الروماني، حيث سنرى مدى تأثر (بولس) بكثير من العقائد السائدة آنذاك، وكيف تحولت النصرانية الحقة بعده إلى دين دخله كثير من الطقوس الوثنية وعقائدها[3].

فالقارئ لحياة بولس يجد أنه تأثر بمدرستين:

الأولى: المدرسة التي نشأ وترعرع فيها وهي مدرسة مدينة طرسوس التي شاعت فيها الفلسفات والأفكار اليونانية، يقول الأستاذ (شارل جينيبر)[4]: "كانت (طرسوس) مدينة نشطة .... ومفرق الطرق التجارية الهامة التي تجلب إليها سيلاً لا ينقطع من الأفكار والعقائد والتأثيرات المختلفة"[5].

وكان في طرسوس أفكار فلسفية وعقائد خفية مثل اعتقاد أن الإله الذي يعبدونه قد مات من أجلهم ثم قام من قبره، فإن آمنوا به إيمان حق أنجاهم من الجحيم وأشركهم معه في الحياة الخالدة المباركة[6]، كما كان في طرسوس آنذاك معتقدات وأساطير يونانية تتحدث عن منقذ ينشل البشرية[7].

---

[1] انظر: البار، محمد علي، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، دار القلم، دمشق، ط1، 2006م، ص 200.

[2] أعمال الرسل، 22: 2.

[3] انظر: البار، محمد علي، دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 202.

[4] نشأ في المدارس الفرنسية وتعلم فيها، كان متعمقاً في الأديان وبالذات الديانة المسيحية كما أتقن اللغة العبرية.

[5] جينيبر، شارل، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة: عبد الحليم محمود، منشورات الكتب العصرية، بيروت، بدون تاريخ، ص 68.

[6] الرسالة إلى أهل رومية، الإصحاح: 5.

[7] انظر: الخطيب، محمد أحمد، مقارنة الأديان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008م، ص 240.

الثانية: المدرسة اليهودية الفريسية[1]: فبعد أن تعلم شاول وتلقى علوم وأساطير اليونان، كما تلقى علوم ومبادئ ديانته اليهودية أرسله أبوه إلى القدس، وهناك كما يقول بولس نفسه: "تعلمت عند قدمي غمالائيل التربية الموافقة تماماً لشريعة آبائنا[2]" وغمالائيل هذا، هو أحد تلاميذ الحبر اليهودي (هليل) وكان أحد الذين كتبوا المشناة.

ومن خلال هاتين المدرستين، فقد كان شاول يحمل معه التراث اليهودي واليوناني معاً، كما كان حبراً من أحبار اليهود، تربى في مدارسهم، وتشبع بمبادئهم وعقائدهم[3] وأتقن اللغتين اليونانية والعبرانية، فكانت لديه القدرة على مخاطبة الناس بلغتهم ومعرفة أفكارهم، وكان شديد التأثير في نفوس الجماهير، بالإضافة إلى ذكائه البارع وفكره المنظم[4] وبجانب هذه التربية، وهذا الفكر الذي نشأ فيهما (بولس)، كان يتصف بصفات عديدة يفتخر بها على أقرانه، فهو من سبط بنيامين، وهو المختون في اليوم الثامن، وهو العبراني، وعلى قسط وافر من العلم، يقول عن نفسه: "فمن جهة الختان مختون في اليوم الثامن من عمري، وأنا من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، ومن جهة الشريعة، أنا فريسي، ومن جهة الحماسة مضطهد للكنيسة"[5].

وكان مما يلحظ على شخصية (بولس) تلونها حسب الحاجة والظروف، يقول (بولس) عن نفسه في رسالته لأهل كورنثوس: "فصرت لليهود كأني يهودي حتى أكسب اليهود، وللخاضعين للشريعة كأني خاضع لها حتى أكسب الخاضعين لها"[6]، بل إنه استخدم جنسيته الرومانية التي كان

---

1 [?] الفريسيون: بمعنى المنعزلين، وتمتاز بأنها أكثر الفرق اليهودية عدداً، كانوا من ألد أعداء المسيح عليه السلام إلا أنه لا يعرف على وجه اليقين متى تكونت هذه الفرقة يطلق عليهم اسم الربانيين لأنهم يؤمنون بما جاء في أسفار التلمود التي ألفها الربانيون وهم أحبار هذه الفرقة وفقهاؤها. انظر: وافي، علي عبد الواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1971م، ص 55-56.

2 [?] أعمال الرسل، 22: 4.

3 [?] انظر: مقارنة الأديان، الخطيب، ص 241.

4 [?] انظر: أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2006م، ص 72.

5 [?] رسالة بولس إلى أهل فيلبي، 3: 4-6.

6 [?] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، 9: 20.

يحملها ليتخلص من العقوبات والضرب والسجن، إذ كان القانون الروماني يمنع سجن أو جلد أي مواطن روماني بدون أمر قضائي[1]. وقد بدا هذا الاستخدام في أعمال الرسل: "فلما ربطه الجنود ليجلدوه قال لقائد المئة الذي كان واقفاً بقربه: " أيسمح لكم القانون بجلد مواطن روماني قبل محاكمته؟"[2]. وبذلك حصلت له ميزات وحصانات ضد الاضطهاد. وبذكائه ومرونته الخارقة استطاع أن يساير كل اتجاه، ويتقرب من كل فرقة حتى يكسب ثقتها، ثم يدعوها إلى ما يريد، بعد أن يعطيها كثيراً مما تريد[3].

أما عن علاقته مع النصارى قبل تنصره فلقد كان ممتلئاً حقداً وغيظاً على المسيح وأتباعه، ويعدهم طائفة جديدة يفسدون معنى التوراة، ويشكلون خطراً دينياً وسياسياً يوجب استحقاقهم للإبادة، ولذلك شارك في حادثة رجم الرجل البار إستفانوس أول شهداء النصرانية، وكان بولس يحرس ثياب الذين رجموه، إظهاراً لغيرته على ناموس آبائه وتقاليدهم، واتحد مع الفريسيين ليبيد تلك الطائفة من أتباع المسيح عليه السلام، ومما زاد حنقه وحقده عليهم الإزدياد المستمر في عدد تلاميذ المسيح، وإيمان كثير من الكهنة بعيسى عليه السلام وتعاليمه[4]، ففي سفر أعمال الرسل "فزادت كلمة الله انتشاراً، وتكاثر عدد التلاميذ في أورشليم وأذعن للإيمان مجموعة كبيرة من الكهنة"[5].

وكان (بولس) يلاحق أتباع المسيح ويعذبهم تعذيباً شديداً حتى عُدّ رئيس المضطهدين لهم، ولشدة بطشه خافه التلاميذ المؤمنون بعيسى عليه السلام ففروا من أورشليم وتشتتوا واختبئوا في أنحاء فلسطين والشام، فقرر بولس الذهاب إلى دمشق ليوثق المؤمنين بالمسيح ويسوقهم إلى أورشليم للسجن والتعذيب، وأخذ معه رسائل ووصايا بهذا الأمر من رئيس الكهنة في أورشليم إلى جماعات اليهود في دمشق، وكان هذا الأمر حوالي سنة 35م[6].

---

[1] انظر: البار، د. محمد علي، دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 205.
[2] أعمال الرسل، 22: 25.
[3] انظر: دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 211.
[4] ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية، ص 29.
[5] أعمال الرسل، 6: 7.
[6] انظر: ملكاوي، اليهودي شاول (بولس) الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية، ص 29 - 30.

بولس وتلاميذ المسيح: يروي كاتب أعمال الرسل أن بولس بعد أن رأى النور وهو في طريقه إلى دمشق، أصبح مفتوح العينين لا يبصر أحداً فاقتادوه إلى دمشق، وبقي ثلاثة أيام وهو على هذه الحال حتى جاءه احد تلاميذ المسيح[1] كما جاء في رواية أعمال الرسل. وقصة تحوله إلى النصرانية التي سيأتي بيانها وتفصيلها ومناقشتها فيما بعد، وفيها أنه "ذهب حنانيا ودخل بيت يهوذا، ووضع يديه على شاول، وقال: أيها الأخ شاول، إن الرب يسوع، الذي ظهر لك في الطريق التي جئت فيها، أرسلني إليك لكي تبصر وتمتلئ من الروح القدس" وفي الحال تساقط من عيني شاول ما يشبه القشور، فأبصر، ثم قام وتعمد"[2].

وبدل أن يذهب بولس إلى القدس ليتتلمذ على يد تلاميذ المسيح ويعرف منهم تعاليم المسيح، صار يدعو في دمشق بين المسيحيين أن المسيح هو ابن الله، يقول كاتب أعمال الرسل: "وفي الحال بدأ يبشر في المجامع بأن يسوع هو ابن الله"[3].

وهذا الادعاء جعل أتباع المسيح يقفون مبهوتين محتارين أمام هذه المزاعم كما جاء في أعمال الرسل، ويبدو أن ادعاء بولس أثار حفيظة اليهود في دمشق، فغادر إلى بلاد العرب بدل أن يغادرها إلى القدس حيث هناك تلاميذ المسيح[4]. وبقي في بلاد العرب ثلاث سنين، وبعدها ذهب إلى القدس ليجتمع مع تلاميذ المسيح عليه السلام حسب رواية أعمال الرسل، إلا أنهم رفضوه ولم يقبلوه بينهم، مما جعل برنابا تلميذ المسيح يتدخل لإقناع التلاميذ بصدق إيمان بولس، يقول الدكتور محمد الخطيب: "رواية بولس في رسالته إلى أهل غلاطية تنفي رؤية بولس للتلاميذ، فهو لم ير إلا بطرس ويعقوب فقط، وهو لم يأت بطرس ليتعلم منه، أو أن يعرف منه دين المسيح الذي بشر به، بل جاء ليتعرف إليه فقط"[5].

وعلى أية حال فإن هناك خلافاً واضحاً وقع بين بولس وتلاميذ المسيح لم يظهر في البداية أمام الناس، ولم يظهر إلا بعد أن واجهت بولس قضية

---

[1] (?) انظر: محاضرات في النصرانية، ص 71.
[2] (?) أعمال الرسل، 9: 15-18.
[3] (?) أعمال الرسل، 9: 20.
[4] (?) انظر: أعمال الرسل، 22: 9-21، ورسالة أهل غلاطية، 4: 22-31.
[5] (?) انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 244-245.

صعبة وهي فرض عملية الختان على المؤمنين الجدد، ولهذا جاء إلى القدس من أجل أخذ مشورة الرسل أي حواريي عيسى عليه السلام، وهنا احتدم الخلاف بين بولس من جهة وتلاميذ المسيح من جهة أخرى[1].

وهذا الخلاف كان لابد من حدوثه، لأن بولس كما يصرح في رسائله كان يبشر بإنجيله الذي استوحاه من تصوره وذاته، والذي يقوم على الإيمان بيسوع المسيح فقط، دون الإيمان والالتزام بالأعمال المفروضة في العهد القديم، وأن الإيمان بيسوع المسيح يغني عن العمل، وبسبب ذلك تفجر الصراع، لأن الاتفاق في القدس حسب كاتب أعمال الرسل كان على الالتزام بالطاعات والمحرمات الموجودة في العهد القديم، ولكن بولس نقض الاتفاق[2].

لذا يهاجم (بولس) بطرس بشدة، ويتهمه هو والتلاميذ بالرياء والنفاق، بل بالخوف والجبن، حتى إن برنابا الذي زكاه عند التلاميذ، والذي لعب دوراً هاماً للغاية في حياة بولس، لم يوافقه في رأيه وانقلب عليه، ولهذا يهاجمه بولس ويتهمه كذلك بالرياء جاء في رسالته إلى أهل غلاطية: "كان بطرس يأكل مع الأخوة الذين من الأمم، ولكن لما أتى أولئك انسحب وعزل نفسه، خوفاً من أهل الختان. وجاراه في ريائه باقي الإخوة الذين من اليهود. حتى إن برنابا أيضاً انساق إلى ريائهم"[3].

إذن فإن السبب في الصراع بين الطرفين، هو أن بولس نسف قوانين الشريعة اليهودية، وحرر أتباعه من قوانين هذا الدين، مستعيضاً عن أعمال الشريعة التي طالب المسيح تلاميذه بالتقيد بها، بالإيمان القلبي فقط.

وهكذا انفصل أتباع بولس عن تلاميذ المسيح، وأصبح تلاميذ المسيح أعدى أعداء بولس، خاصة عندما بدأوا يفندون عقائده المنحرفة جوهرياً عن عقائد المسيح، وعلى الخصوص تلك المتعلقة بالزعم بأن المسيح هو ابن الله ووحيده نزل إلى الأرض بشكل الإنسان ليصلب فداء الخطيئة البشرية[4].

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص 245.
[2] المرجع نفسه، ص 245.
[3] انظر: الرسالة إلى أهل غلاطية، 2: 12-14.
[4] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 247.

رسائل بولس وأهميتها:

من المعلوم أن لبولس أربع عشرة رسالة كتبها كلها باللغة اليونانية، منها عشر رسائل إلى بعض البلاد وبعض الشعوب، وأربع رسائل إلى بعض تلاميذه.

أما الرسائل العشر التي أرسلها إلى بعض البلاد وبعض الشعوب فهي: رسالة إلى الرومان، ورسالتان إلى أهل كورنثوس، ورسالة إلى أهل غلاطية، ورسالة إلى أهل أفسس، ورسالة إلى أهل فيلبي، ورسالة إلى أهل كولوس، ورسالتان إلى أهل تسالونيكي، ورسالة إلى العبريين[1].

وأما الرسائل الأربع التي أرسلها إلى بعض تلاميذه فهي: رسالتان إلى تلميذه تيموثاوس، ورسالة إلى تلميذه بطرس، ورسالة إلى تلميذه فيليمون.

وتستأثر هذه الرسائل جميعها بأكبر حيز من العهد الجديد، حتى إنها لتستغرق وحدها نحو ثلث صفحاته، وهي تعرض في صورة مفصلة لكثير من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعباداتها وأخلاقها، وتوجه قسطاً كبيراً من عنايتها إلى توضيح العقيدة وتقرير ألوهية المسيح وبنوته لله[2].

ومن أجل ذلك تعتمد المسيحية الحاضرة على رسائل بولس أكثر من اعتمادها على ما عداها من أسفار العهد الجديد، وتنسب هذه المسيحية إلى بولس أكثر مما تنسب إلى سواه، حتى إن كلمة "الرسول" إذا أطلقت تنصرف عندهم إليه وحده – أي بولس –. صحيح أن الأناجيل نفسها ورسالة أعمال الرسل قد عرضت كذلك للعقائد والشرائع والأخلاق، ولكنها تحدثت عن هذه الأمور في صورة مجملة وفي ثنايا قصصها التاريخي عن المسيح وأنصاره، في حين أن رسائل بولس قد جعلت هذه الأمور موضوعها الأصيل، وعالجتها في صورة مفصلة واضحة، وكانت صريحة كل الصراحة في إثبات ألوهية المسيح وبنوته لله.

هذا ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها إلا في سنة (364)م. أما قبل ذلك فكان بعض هذه الرسائل موضع شك في صحة نسبته إلى

---

[1] انظر: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص 101.
[2] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 283.

بولس، حتى أن مجمع نيقية المنعقد سنة (325) م لم يعترف برسالة بولس إلى العبرانيين واعتبرها مزيفة مدسوسة عليه[3].

[3] انظر: الأسفار المقدسة، ص 102. وانظر أيضا: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 284.

المبحث الثاني

أثر اليهودية في النصرانية وظهور شخصية بولس وأفكاره

لقد كان لليهود أثر بارز في انحراف النصرانية عن عقيدتها السماوية، ووصولها إلى ما آلت إليه، بعد انحرافهم أنفسهم عن العقيدة السليمة، وإفسادهم مبادئ دينهم بإشراكهم مع الله غيره في العبادة، فقد اتخذوا العجل إلهاً وصنعوا له تمثالاً ثم عبدوه من دون الله، على الرغم من وجود هارون عليه السلام بين أظهرهم يزجرهم وينهاهم عن جريمتهم النكراء، ونسبوا الابن إلى الله تعالى، قال الله تعالى عنهم "وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ" (التوبة: 30) فزعموا أن (عزيراً) ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، ثم لما مات موسى عليه السلام، أخذوا يحرفون دين الله ويبدلون في التوراة، إضافة إلى تبديلهم في أحكام الشريعة المنزلة على موسى، وقدسوا آراء أحبارهم المتمثلة بما يسمى عندهم (التلمود)، ونسبوا إلى الأنبياء كثيراً من التهم التي تقشعر لها الأبدان، هذا غير محاولات الإيذاء والقتل، وفساد اعتقادهم وتجنيهم على الملائكة، وزعمهم أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود، فقد ورد في التلمود: "ولا يدخل الجنة إلا اليهود أما الجحيم فهو مأوى الكفار"[1] وفي القرآن الكريم جاء تأكيد زعمهم قال تعالى: "وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة البقرة: 11).

فلا غرابة إذن أن نجدهم يقفون في وجه المسيح عليه السلام، يعلنون عداءهم له، وهو نبي من أنبيائهم، لأنهم اعتادوا من قبل على مثل هذه المواقف، وظلوا يناهضون دعوة المسيح عليه السلام، بل وأغروا به الحاكم الروماني "هيرودس" ليقتله بعد أن حُكم عليه بالقتل، إلا أن الله أنجاه منهم[2].

وإذا عرفنا أن اليهود قد جبلوا على المكر والمخادعة والرغبة الأكيدة في تدمير من ليس منهم، وبث المكائد والشرور وإفساد النفوس بإفساد الأخلاق فليس عجيباً ولا غريباً أن تجد منهم في كل زمان من يعيث في الأرض فساداً، فيخرب العقائد والأخلاق قبل تخريب النفوس والأجسام، ومن

---

[1] (?) انظر: الكنز المرصود في قواعد التلمود، ص 62.
[2] (?) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 141.

هؤلاء الذين كان لهم دور كبير في هذا التخريب في العقيدة المسيحية (بولس) الذي كان شديد العداء للنصرانية عظيم الاضطهاد لأتباعها، شديد التعذيب لهم والتنكيل بهم، وإذا به فجأة يتحول من عدو لدود للنصرانية، وخصم عنيف ومعذب شديد إلى داعيـة رؤوف رحيـم بخصوم الأمس وأعداء الدين دينه اليهودي، ورسول ملهم مبشر يوحى إليه.

وقد حدث هذا التحول كما يشير هو في رسالة أعمال الرسل ليسوق مجموعة من الرجال والنساء المسيحيين موثقين إلى أورشليم ويدخلهم السجن: "أما شاول فكان لا يزال يفور بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب. فذهب إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء حيثما يجدهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم"[1].

بل هو نفسه يشير إلى ذلك بقوله: "فإنكم قد سمعتم بسيرتي الماضية في الديانة اليهودية، كيف كنت أضطهد كنيسة الله متطرفا إلى أقصى حد"[2].

وبولس هذا هو أحد اليهود الممتلئين حقداً وغيظاً على أعدائهم المسيحيين وكانوا من أجل القضاء عليهم قد اختاروا أحد طريقتين للتعامل مع النصارى:

الأولى: أن يضطهدوا تلاميذ المسيح عليه السلام، ويقتلوهم الواحد تلو الآخر.

الثانية: الإنضمام إلى الدعوة الجديدة وإلغاؤها من الداخل، وإلحاقها بالديانة اليهودية أو تخريبها بالكامل.

أما الطريق الأول فكان الاضطهاد والقتل والسجن التعذيب، وكان طريقا واضحا وخطأً كبيراً في محاربة الدعوة المسيحية، ودامت هذه المطاردات وهذا التعذيب والاضطهاد طيلة القرون الأول والثاني والثالث الميلادية حتى آمن قسطنطين بالديانة النصرانية وجعلها دين الدولة

---

[1] أعمال الرسل، 9: 1-3.

[2] الرسالة إلى أهل غلاطية، 1: 14.

الرسمي[3]، وكان من أشد من قادوا هذا الاضطهاد بكل صوره (بولس)، الذي كان ممتلئاً حقداً وغيظاً على المسيح وأتباعه.

ووردت نصوص في سفر أعمال الرسل وفي رسائل بولس نفسه تبين مدى هذا الاضطهاد، منها، حادثة رجم "استفانوس" ومن هذه النصوص: "فلما سمع المجتمعون كلام (استفانوس) ملأ الغيظ قلوبهم، وأخذوا يصرون بأسنانهم توعداً .... فصاحوا صياحاً شديداً، وسدوا آذانهم وهجموا عليه هجمة واحدة، ودفعوه إلى خارج المدينة، وأخذوا يرجمونه بالحجارة، وخلع الشهود ثيابهم عند قدم شاب اسمه شاول لكي يحرسها ... وكان شاول موافقا على قتل استفانوس"[1].

وفي سفر أعمال الرسل "وأما استفانوس فقد دفنه بعض الرجال الأتقياء، وناحوا عليه كثيراً، أما شاول فكان يحاول إبادة الكنيسة، فيذهب من بيت إلى بيت ويجر الرجال والنساء ويلقيهم في السجن"[2].

يقول المؤرخ الأمريكي (ول ديورانت)[3] عن المقطع الأول من حياة (بولس): "وبدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيحية ... وكان في كل لحظة من لحظاته داعياً ورسولاً. فلما هاله احتقار استفانوس للناموس انضم إلى قتله وتزعم الاضطهاد الأول للمسيحيين في أورشليم .... ولما سمع أن الدين الجديد أصبح له أتباع كثيرون في دمشق تقدم إلى رئيس الكهنة وطلب منه رسائل إلى دمشق ... إلى الجماعات: حتى إذا وجد أناساً في الطريق رجالا أو نساء يسوقهم موثقين إلى أورشليم"[4].

كانت هذه هي الطريقة الأولى التي نفذها اليهود ضد النصرانية فكانت محاولة الهدم من الخارج لتقويض بناء المسيحية، إلا أن هذه الطريقة لم تنجح بكل مقاييسها إذ تزايد أعداد النصارى التابعين لهذا الدين الجديد، فلم

---

[3] (?) انظر: عبد المجيد همو، أعوان اليهودية على تحقيق احتلال فلسطين، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط1، 2003م، ص 87.

[1] (?) أعمال الرسل، 7: 54-60.

[2] (?) أعمال الرسل، 8: 2-3.

[3] (?) ولد عام (1885م) بولاية ماساتشوستس الأمريكية، حصل على البكالوريوس في الآداب عام (1907م)، تابع دراسته حتى حصل على الدكتوراه في الفلسفة عام (1917م) من جامعة كولومبيا، ألف عدة كتب منها: قصة الفلسفة، وقضية الهند، وأشهر كتبه على الإطلاق قصة الحضارة، مات ديورانت عام (1981م).

[4] (?) قصة الحضارة، (11/ 251).

يكن أمام اليهود إلا تغيير طريقتهم لتغيير معالم المسيحية من الداخل، وجعلها ديانة جديدة منفصلة عن اليهودية مليئة بالأفكار الوثنية، فإن تعصب بولس الفريسي وحقده على المسيحية وأتباعها، وعجزه عن القضاء عليهم وعلى تعاليمهم الخطرة على اليهودية، وشدة ثباتهم وتمسكهم بأقوال معلمهم المسيح، ولد في نفسه صراعاً داخلياً مبهماً طويلاً غامضاً، انتهى به إلى القرار الخطير في التحول المفاجئ الظاهري إلى جانب النصارى[1]، لقد كان بولس أول المجندين لهذه المهمة، مهمة مسخ النصرانية وتحريفها عن أصولها حتى تعود ديانة لا تتفق مع العقل ولا مع الوحي فأبدل توحيدها تثليثاً، وصفاء عقيدتها فلسفة وثنية[2].

والخلاصة من ذلك كله تؤكد على أن اعتناق (بولس) للمسيحية، ما كان إلا ضمن خطة مدروسة من قبل رجال المعبد اليهودي، أو أنه عزم وخطط منفرداً، وضحى بنفسه صادقاً في سبيل يهوديته ونقاء شعبه، بهدف القضاء على المسيحية من الداخل، بعد العجز عن ذلك بالقوة والاضطهاد[3].

وليس من الغباء أن يظهر بولس ما في ضميره من حقد على النصرانية بعد أن رأى فشل اضطهاد النصارى وتعذيبهم، وقد ذهب كثير من المؤرخين[4] إلى ان هذا التحول كان بهدف القضاء على المسيحية بطريقة لا يبدو فيها عنف ولا اضطهاد بل بقول حسن عند النصارى.

---

[1] انظر: ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية، ص 38.

[2] انظر: محمد حسني يوسف، خرافات التوراة والإنجيل، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2006م، ص 194.

[3] انظر: قصاب ،عصام، البحث عن الحقيقة الكبرى، دار الفكر، دمشق، ط3، 2002م، ص 322.

[4] انظر: الخطيب، عبد الكريم، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، ص 307، وانظر أيضاً: شلبي، أحمد، المسيحية، ص 113.

المبحث الثالث

دخول بولس في النصرانية وأثره فيها

إن حادثة تنصر (بولس) وتحوله المفاجئ إلى النصرانية، كانت مدار حديث عند كثير من المؤرخين وعلماء مقارنة الأديان، كما كانت نقطة تحول في الديانة المسيحية، إذ منذ ذلك اليوم وهذه الديانة تسير في منعطفات أبعدتها كثيراً عن الطريق المستقيم الذي كانت تسير عليه في عهد المسيح عليه السلام. لقد فكر شاول (بولس) بوسيلة تكون أنجح من وسائل الاضطهاد والتعذيب في القضاء على تعاليم عيسى عليه السلام وأتباعه المبشرين بها، بعد أن رأى أن الاضطهاد لا يجدي نفعاً، ولا يزيدهم إلا ثباتاً على دينهم، فرأى أن تقويض النصرانية من الداخل هو أنجح الحلول لاستمرار اضطهادهم فيما يستقبل من الزمان، وفجأة تغير بولس، فبعد أن كان من ألد أعداء النصرانية، أصبح داعية من دعاتها، وتبوأ مركز الصدارة في الدعوة إليها وأضاف إليها من مبادئه ما تميز بها عن غيره من تلاميذ المسيح عليه السلام.

لقد كانت هذه حقيقة بالفعل، ولكنها في الوقت نفسه، حقيقة تدعو إلى العجب، فكيف بشخص قاس ومضطهد للأبرياء، ينتقل إلى رسول وديع، ينزل عليه الوحي ويشافه الإله؟ هكذا بدون مقدمات، وبدون دليل عقلي أو نقلي، كنص في كتاب سماوي يدل أو يشير إليه أو يصفه، لأن رسائله شهادة منه لنفسه، فهي غير مقبولة، وكذلك ما كتب بتأثير منه، كل ذلك لا يعتبر دليلاً نقلياً أو عقلياً على كونه رسولاً يوحى إليه أو كاتب وحي ملهم[1].

إن انتقال (بولس) من عدو لدود للمسيحية ومعذب ومضطهد لأتباعها، إلى رسول ينزل عليه الوحي ومشرع وملهم، ومشافه للرب غير مقبول، وهذا ما يرفضه العقل السليم والفطرة المتيقظة، فإنه – وكما هو معلوم – أن سيرة الأنبياء والمرسلين جميعاً كالصفحة البيضاء النقية الخالية من الشوائب، لأنهم القدوة والمثل الأعلى في الأخلاق ولأنهم معصومون من الوقوع في الرذائل، وليس كما هو حاصل في سيرة هذا الرجل اليهودي الذي يدعى (بولس).

---

[1] انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، ص 79.

وأما حادثة تحول (بولس) هذه التي غيرت مجرى حياته تغييراً جذرياً، فلسنا نعرف تاريخها معرفة دقيقة، إلا أن الكثير من المؤرخين يرجح حدوثها ما بين (30-38م) [1].

ولقد ذكر سفر أعمال الرسل قصة تحول (بولس) إلى النصرانية في ثلاثة مواضع، أحدهما على لسان لوقا[2] والثاني والثالث أوردهما – لوقا – على لسان بولس[3].

والمواضع الثلاثة مجمعة على أن بولس – وهو في طريقه إلى دمشق مقتفياً أثر النصارى للقبض عليهم، ظهر له المسيح وحمله الرسالة أو وعده بها – حسب قوله[4].

يذكر الإصحاح التاسع من سفر الأعمال قصة التحول المفاجئ لبولس من اليهودية إلى النصرانية، فيقول: "أما شاول فكان لا يزال يفور بالتهديد والقتل على تلاميذ الرب، فذهب إلى رئيس الكهنة، وطلب منه رسائل إلى مجامع اليهود في دمشق لتسهيل القبض على أتباع هذا الطريق من الرجال والنساء، حيثما يجدهم، ليسوقهم مقيدين إلى أورشليم، وفيما هو منطلق إلى دمشق، وقد اقترب منها، لمع حوله فجأة نور من السماء، فوقع إلى الأرض وسمع صوتاً يقول له: "شاول! شاول! لماذا تضطهدني؟" فسأل: "من أنت يا سيد"؟ فجاءه الجواب: "أنا يسوع الذي أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس المناخس"[5]. فقال وهو مرتعد ومتحير، "يا رب ماذا تريد أن أفعل؟" فقال له الرب: "قم، وادخل المدينة فيقال لك ما يجب أن تفعله". وأما مرافقو شاول فوقفوا مذهولين لا ينطقون، فقد سمعوا الصوت ولكنهم لم يروا أحداً. وعندما نهض شاول عن الأرض، فتح عينيه فوجد أنه لا يبصر، فاقتادوه بيده وأدخلوه إلى دمشق، حيث بقي ثلاثة أيام لا يبصر ولا يأكل ويشرب"[6].

---

[1] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص143. انظر أيضا: البكري، بولس وتأثيره في المسيحية، ص 30، ذكر الدكتور محمد ملكاوي أن هذا التحول حدث في حوالي سنة 35م. انظر: ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 30.

[2] انظر: أعمال الرسل، الإصحاح التاسع.

[3] انظر: أعمال الرسل، الإصحاح الثاني والعشرون والسادس والعشرون.

[4] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 143.

[5] االمناخس: الشوكة الكبيرة.

[6] أعمال الرسل، 9: 3-9.

وفي الإصحاح الثاني والعشرين ذكر لوقا قول بولس: "ولما وصلت إلى مقربة من دمشق، وكان الوقت نحو الظهر، أضاء حولي فجأة نور باهر، فوقعت على الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ فأجبت: من أنت يا سيد؟ فقال: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده. وقد رأى مرافقيّ النور، ولكنهم لم يسمعوا صوت مخاطبي، فسألت: ماذا أفعل يا رب؟ فأجابني الرب: قم وادخل دمشق، وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تفعله. واقتادني مرافقيّ بيدي حتى أوصلوني إلى دمشق، لأني لم أكن أبصر بسبب شدة ذلك النور الباهر"[1].

أما في الإصحاح السادس والعشرين فقد ذكر لوقا على لسان بولس قوله: "وتوجهت إلى مدينة دمشق بتفويض وترخيص من رؤساء الكهنة، فرأيت أيها الملك، على الطريق عند الظهر نوراً يفوق نور الشمس يسطع حولي وحول مرافقي، فسقطنا كلنا على الأرض، وسمعت صوتاً يناديني باللغة العبرية قائلاً: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ يصعب عليك أن ترفس المناخس، فسألت: من أنت يا سيد؟ فأجاب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، انهض وقف على قدميك، فقد ظهرت لك لأُعينك خادماً لي وشاهداً بهذه الرؤية التي تراني فيها الآن، وبالرؤى التي ستراني فيها بعد اليوم. وسأنقذك من شعبك ومن الأمم التي أرسلك إليها الآن، لتفتح عيونهم كي يرجعوا من الظلام إلى النور، ومن سيطرة الشيطان إلى الله، فينالوا غفران الخطايا ونصيباً من الذين تقدسوا بالإيمان بي"[2].

فالقصة تذكر صراحة أن (بولس) كان يهودياً يعلن عداءه للمسيحية الناشئة ويضطهد أتباعها، فبغتة برق حوله نور عظيم أسقطه على الأرض، وسمع صوتاً يقول له بالعبرانية: شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟ ثم لما استفسر شاول عن شخصية القائل، أخبره بأنه يسوع وأنه اختاره رسولاً للأمم، ولكن شاول كان قد ذهب بصره من شدة النور، فاقتاده رفقاؤه إلى دمشق، وفيها أبصر على يد حنانيا، وبعد اعتماده أخذ يكرز ويبشر في المجامع بأن المسيح عيسى هو ابن الله[3].

---

[1] (?) أعمال الرسل، 22: 6-11.

[2] (?) أعمال الرسل، 26: 12-18.

[3] (?) ملكاوي، اليهودي شاول (بولس) الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية، ص 34.

وقد كانت قصة تحول شاول إلى بولس، أو قصة تحول شاول إلى النصرانية أمراً محيراً لكثير من الباحثين في هذه الشخصية، فشاول كما يقول "ديورانت" : بدأ بمهاجمة المسيحية دفاعاً عن اليهودية، وانتهى بنبذ اليهودية دفاعاً عن المسيحية[1].

ولذلك كان علينا أن نناقش هذه الروايات نقاشاً علمياً منهجياً نعتمد فيه على نقطتين أساسيتين هما:

أولاً: الناحية النفسية: إذ هل يمكن من الناحية النفسية أن ينتقل رجل من حالة عداوة شيء إلى حالة الإيمان به طفرة واحدة، فضلاً عن أن يصبح أحد أسس العقيدة التي كان يكفر بها ويقتل أصحابها ويزرع الفزع في قلوب معتنقيها[2]. كما لم تشر الكتب التي بحثت في حياة بولس أنه كان رقيق الحاشية عطوفاً على أصحابه وأصدقائه بل هو فريسي من أسوأ فرق اليهود الحاقدين، ويبدو أن (بولس) عجز عن محاربة المسيحية بالعنف والاضطهاد إذ كانت عنده رغبة عارمة في مُحاربة كل فكرة ضد الناموس المكتوب (التوراة)، فحارب أتباع المسيح وتعاليمه بلا هوادة ولكن شجاعتهم في تحمل الأذى مما لم يشاهده بولس عند غيرهم، ولَّد عنده صراعاً نفسياً داخلياً عنيفاً لم يعرف كيف يتغلب عليه بادئ الأمر، ووصل هذا الصراع قمته بينما كان في طريقه إلى دمشق[3].

فنجد هنا أنه لا غرابة أن يدعي (بولس) تحوله المفاجئ إلى النصرانية للخروج من هذا المأزق والهروب من هذه الضغوط إلى حلول أخرى قد تكون أنجح في الوصول إلى مبتغاه.

ثانياً: الناحية التاريخية العلمية – ونستطيع ان ننقد الروايات التي أشارت إلى تحول بولس إلى النصرانية في عدة نقاط:

1- التناقض الواضح بين سفر أعمال الرسل ورسائل بولس، من الناحية التاريخية والمنطقية، بالإضافة إلى عدم وجود وثائق تؤيد ما يزعمه

---

[1] انظر: قصة الحضارة، 11-251.

[2] انظر: شلبي، متولي يوسف، أضواء على المسيحية، الدار الكويتية، الكويت، ط2، 1973م، ص 86.

[3] انظر: ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 36.

بولس في رسائله، بل حتى ما جاء في سفر أعمال الرسل الراجح فيه أيضاً أنه من كتابة بولس نفسه[1].

ومن هذه التناقضات:

- أن الرواية الأولى[2] تقول على لسان بولس: إن الرجال المسافرين معه وقفوا صامتين يسمعون ولا يرون، أما الرواية الثانية فتقول إنهم نظروا النور وكانوا معه ولم يسمعوا ولم يروا؟ ثم من هؤلاء الذين كانوا معه؟[3]
- ومن هذه التناقضات أيضا: أنه عندما أمر رئيس الأحبار بضرب بولس، قال له بولس: سيضربك الله أيها الحائط .... فقال الواقفون: أتشتم رئيس كهنة الله، فقال بولس: لم أكن أعرف أيها الأخوة أنه رئيس كهنة؟[4]
- فكيف لم يعرف بولس رئيس الكهنة؟ أليس هو الذي أرسل بولس إلى دمشق ليقبض على أتباع المسيح هناك؟ فكيف لم يعرف مرسله إلى دمشق؟ فقد مر أن بولس كان قد طلب من رئيس الكهنة كتاباً إلى المجامع في دمشق، فبدل أن يتعرف كل منهما على صاحبه، أنكر كل منهما صاحبه، وهذا يدل على أن النص متناقض من أساسه[5].
- ويضاف إلى ذلك أن الرواية الأولى تزعم أن بولس ظل مرتعداً متحيراً مخاطباً يسوع: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فكيف يدّعي أنه الرب؟ فهو لم يخاطبه إلا على أنه يسوع، فإذا بولس وبدون تفكير يخاطبه: يا رب، ألا يدعو ذلك إلى الريبة والشك؟[6]

2- إن سفر أعمال الرسل ورسائل بولس أيضاً لم تُشر إلى مصير هؤلاء المرافقين بعد وصولهم إلى دمشق، وكأنهم ذابوا فيها، وابتلعتهم أرضها، ولم يعد لهم أي ذكر، وهل يعقل أن يسكت جمع من الناس شاهدوا أموراً عجيبة، وقعت لشخص مشهور جداً، ومعروف

---

[1] المرجع نفسه، ص 74 - 75
[2] انظر ما سبق، ص 61.
[3] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 243.
[4] أعمال الرسل، 23: 3-5.
[5] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 243.
[6] المرجع نفسه، ص 243.

بخصومته الشديدة لأتباع المسيح، ثم يتحول فجأة إلى صفهم ويدعي الرسالة إليهم؟[1]

3- إن بولس نفسه وكتاب النصارى جميعاً أغفلوا تحديد المكان الذي حصلت فيه الرؤية، كما أغفلوا ذكر الأدلة التي يستدل بها على أن الذي كلّم بولس هو الإله الرب يسوع المسيح[2].

4- إنه ما من رسول بعث من غير أن يكون في حياته الأولى استعداد لتلقي الوحي، وصفاء نفس يجعله أهلاً للإلهام، ولا يجعل الاتهام والتكذيب يغلبان على رسالته، وأنه إذا لم يكن للرسالة إرهاصات قبل تلقيها، لا يكون على الأقل قبلها ما ينافيها ويناقضها، ولكن بولس أبا العجب استطاع أن يتغلب على ذلك العجب في عصره، وأن يفرض نفسه على المسيحيين من بعده[3]، وأجاد حبك هذه القصة ضد دين المسيح عليه السلام.

وعلى أية حال فإن هذا التحول المفاجئ الغريب يدعو للشك والريبة في مقاصد بولس ونواياه، يقول الأستاذ "شارل جينيبر": "لقد وقع – أي بولس – تحت تأثيرات معينة حددت معالم الطريق في تحوله الديني، وجعلته ينقلب فجأة من متعصب للشريعة اليهودية إلى نصير لا يقهر للسيد المسيح ... ولقد ثار جدل طويل لم ينته إلى نتيجة حول التأكد من أن بولس رأى عيسى. والقضية التي ثبتت لنا على أي حال هي أنه لم يعرفه. وأن النصوص التي تحوز أكبر قدر من الثقة في هذا المجال، وهي رسائل بولس نفسه تقدِّمه لنا على أنه كان من مضطهدي "كنيسة الله" قبل أن تحدث معجزة الطريق إلى دمشق. وأن تفاصيل ما ترويه لنا "أعمال الرسل" عن عنفه في الشر لتبعث على الشك، ويبدو لنا من المرجح أن الغرض منها لم يكن إلا إبراز تحوله المفاجئ عن هذه العداوة الشديدة في صورة براقة"[4].

ويقول الدكتور محمد ملكاوي في هذا الشأن أيضا "إن هذه الرؤية المزعومة في طريق بولس إلى دمشق لا تكفي لسكب تعاليم المسيح في شاول (بولس) دفعة واحدة، وبخاصة إذا نظرنا إلى ما صاحبها باعترافه من

---

[1] انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 40.
[2] المرجع نفسه، ص 41.
[3] انظر: محاضرات في النصرانية، ص 73.
[4] المسيحية نشأتها وتطورها، ص 86-87.

رعب، وانفعالات نفسية، وسقوط على الأرض، وعمى أبصر منه بعد مدة، فكيف وقد ادعى بولس لنفسه الرسالة العالمية! والأمانة على دين المسيح وتعاليمه! وليس لأحد أن يمنعه من نشرها بالشكل الذي يراه! ولا أن يعارضه في نشر تعاليم تخالفها إلا أنه – أي بولس – هو الوارث الفعلي للمسيح وتعاليمه! وصاحب الحق الأول في تعليمها ونشرها"[1].

وهكذا نستطيع القول إن بولس استطاع أن يقطع الطريق على كل شاك فيه أو متسائل عن تعاليمه، مع ما يدور حوله من جدل، فزعم أنه تلقى الرسالة بالوحي مباشرة من المسيح، وبذلك وضع نفسه على قدم المساواة مع الحواريين الأولين الذين لم يستطيعوا إحسان الظن به، ولا مجاراته في آرائه الجديدة، واستطاع أن يصرف الأنظار عن الفجوة الواسعة بينه وبين المسيح الذي لم يره ولم يسمع منه[2].

ومهما يكن من أمر حادثة (طريق دمشق) وهل وقعت فعلاً أو أنها مجرد اختلاق من كاتب سفر الأعمال، ومهما يكن من أمر محاولة علماء النصرانية لتفسيرها لدى بولس، فإننا نرى أن الأمر الأهم هو دراسة ما ترتب على هذه الحادثة الفاصلة، التي استطاع بولس من خلالها أن يغير وجه التاريخ في الديانة النصرانية، وأصبحت تعاليمه تتناقض تماماً مع ما دعا إليه المسيح عليه السلام وكأنهما ديانتان مختلفتان في كل أمر من أمور الديانة وأصولها وقواعدها وكلياتها وجزئياتها.

ولذا لا نستغرب موقف الناس منه بعد تنصره؛ فأتباع المسيح المخلصون كانوا يعتبرون بولس (خائناً)، وتصفه وثائق (يهودية مسيحية) بالعدو[3]. ويؤكد بوكاي أن الدين الصحيح الذي جاء به المسيح كان يمثل حتى عام (70م) الغالبية، وكان بولس في تلك الفترة منعزلاً هو وتعاليمه، فقد كان الساحل السوري من غزة إلى أنطاكيا نصارى حسب تعاليم التلاميذ، وكذلك في آسيا الصغرى وإفريقيا[4]. ويمكن القول إن الصراع بين بولس وأتباعه من جهة، والنصارى الحقيقيين من جهة أخرى، امتد قروناً بعد

---

[1] اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية، ص 44.
[2] المرجع نفسه، ص 44
[3] انظر: بوكاي، موريس، القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 2004م، ص 73-74.
[4] المرجع نفسه، ص 74.

وفاة بولس، ولما انتصرت فكرة الرومان المعددة على فكرة النصارى الموحدين، قضي على كل كتابات الموحدين، وقبرت وأعدمت نهائياً، ثم أصبح لأتباع بولس الطابع الرسمي المقرر، وقضوا على كل ما عداه، وكان ذلك مقدمة لسيطرة الكنيسة على أوروبا بعد سقوط الرومان سنة 476 م[1].

أما تفصيل ما نادى به من عقائد في تلك الفترة فسنستعرضها في المطلب القادم عند دراستنا للمسيحية بعد بولس وأنها ديانة بعيدة عن التوحيد، أما أهم الأعمال التي ظهرت في رحلاته فتمثلت في بناء الكنائس وجمع المال، واتخذ بولس أسلوبين في دعوته: المشافهة والكتابة، إلا أنه يلاحظ عليه عدم إتقان الكتابات التي تميزت غالباً بعدم الانسجام، وتوضح كتاباته بأنه كان يواجه صراعاً قوياً مع اليهود، ورأى نفسه كالمسيح الذي تعرض لأذى كثير من اليهود حتى قتلوه في زعمهم[2].

نهايته: في ربيع سنة (58م) سافر بولس للمرة الخامسة والأخيرة إلى أورشليم وفيها دبر اليهود ضده تهمة تدنيس الهيكل بإدخال يونانيين إليه، وكانوا سيقتلونه لا محالة، لولا تدخل الضابط الروماني (ليسياس). وأنقذته حقوق المواطنة الرومانية التي تمتع بها. وبقي أسيراً في قيصرية لمدة سنتين كاملتين (58 – 60م) في انتظار محاكمته، ثم طلب بولس كمواطن روماني أن ترفع دعواه إلى القيصر، فوافق الوالي على ذلك. وأرسل في خريف سنة (60م) إلى روما، وفي خريف سنة (61م) وصل إلى روما. وكانت السنة السابعة لجلوس الإمبراطور (نيرون) على عرشه. وفي روما أمضى بولس سنتين كاملتين حتى سنة (63م). هذه خلاصة ما ذكر في أعمال الرسل من (الإصحاح العشرين) إلى آخر السفر (الإصحاح الثامن والعشرين). وهنا يتوقف الكاتب عن ذكر بقية أيام بولس ولم يذكر شيئاً عن نهاية حياته. فأثير جدل كثير بخصوص حياته فيما بين سنة (63م) إلى وقت قتله فيما قيل إما سنة (66 أو 67م)[3] ونقل يوسيبيوس إجماع

---

[1] (?) انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 260.
[2] (?) انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، ص 19.
[3] (?) انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 158.

النصارى القدامى على أن بولس قتل بقطع رقبته بحد السيف في عهد "نيرون" سنة (66 أو 67م)[1].

يقول ول ديورانت: "لسنا نعرف حقيقة التهمة التي وجهت إليه، وأكبر الظن أنه اتهم بما اتهم به هو وزملاؤه في تسالونيكي وهو أنهم يعملون ضد حكم قيصر قائلين أنه يوجد ملك آخر يدعى يسوع، وكانت هذه جريمة كبرى يعاقب عليها بالإعدام"[2].

المبحث الرابع

النصرانية قبل (بولس) وبعده

جاء المسيح عليه السلام بديانة التوحيد بيضاء نقية توحيداً خالصاً ومنهجاً ربانياً واضحاً، كما هي دعوة كل الرسل من آدم إلى محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين، ولكن الباحث في المسيحية بعد المسيح، يجد انحرافاً واضحاً عن هذه العقيدة التي بشر بها موسى عليه السلام ومن بعده عيسى عليه السلام، فمن الواضح أن التوحيد قد اختفى من العقائد التي آمن بها المسيحيون أتباع بولس بعد ذلك، وانحرفوا بهذه الديانة عن وجهها الصحيح إلى وثنية خالصة وعقائد منحرفة لم يعرفها المسيح عليه السلام ولا حواريُّوه.

ولقد كان لهذا الانحراف عن مسار التوحيد أسباب كثيرة منها:

أ. ما مر به النصارى من اضطهادات على مر التاريخ من اليهود بما زرعوه من الكذب والفتن والحيل والإغراء. وما أنزلته الدولة الرومانية بأتباع المسيح عليه السلام من بعده من الظلم والتنكيل، وذلك لأن الرومان كان يرون في أتباعه خطراً عظيماً على الدولة الرومانية،

[1] المرجع نفس، ص 158.
[2] قصة الحضارة (11/268).

وكان مصدر هذا الرأي اليهود[1]. وقد كانت عهود الاضطهاد مستمرة ضد أتباع المسيح مئات السنين، وتم تقسيمها عند المؤرخين إلى أربعة عهود، وهذه العهود الأربعة هي أشد العهود ظلاماً، وأكثرها ظلماً وأعنفها قسوة[2] وهي كالتالي:

1. عهد (نيرون) (64م): أُتهم النصارى بإحراق روما، فأخذهم بهذه التهمة، وتفنن هو وحكومته في تعذيبهم بشتى ألوان التعذيب، ومن تلك الألوان: إدخالهم في جلود الحيوانات، ثم تقديمهم طعاماً للكلاب الجائعة، ومنها إلباسهم ثياباً مطلية بالقار ثم إيقادهم كمشاعل للطريق يستضاء بها في الليل، ومنها كذلك أن نيرون اتخذ هو لنفسه من تلك المشاعل البشرية شموعاً يسير على ضوئها في قصره[3].
2. عهد (تراجان) (106م): خلف نيرون حُكّامٌ أقل قسوة، ولكن تراجان القاسي العنيف أعاد الأمور إلى ما كانت عليه في عهد نيرون، فقد طارد النصارى في عقر بيوتهم، وأصدر أحكامه بمنع الصلاة المنفردة، واعتبرها من التجمعات السرية[4].
3. عهد (ديسيوس) (251م): ففي عهده أبعد كل مسيحي من خدمة الدولة، وكان يأتي بكل مسيحي يرشد عنه إلى الهيكل، ويطلب منه تقديم ذبيحة للصنم، وعقاب من يرفض أن يكون هو الذبيحة[5].
4. عهد (دقلديانوس) (284م): حيث قام بقتل الألوف من البشر في مصر، ويروي التاريخ أن عدد القتلى الذين قتلهم (دقلديانوس) (140.000) من أبناء المسيحية، ولهذا فإن أحداث المسيحية في هذا العهد تتخذ مبدأ التقويم القبطي عند أقباط مصر، إحياء لتلك المأساة[6].

وفي فترة الاضطهادات أبيح ما حرم في التشريع النصراني مجاراة للرومان الحاكمين، بل إن هذه الاضطهادات جعلت كل عمل يقومون به في شؤونهم الدينية وخاصة ما كان متصلاً ببيان الشريعة يقومون به سراً لا

---

[1] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 238.
[2] انظر: اضواء على المسيحية ص 24 – 27.
[3] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 239.
[4] انظر: أضواء على المسيحية، ص 25. وانظر أيضاً: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 239.
[5] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 239.
[6] انظر المرجع نفسه، ص 239.

جهراً وفي خفية عن الأعداء المترقبين، والسرية يحدث في ظلمتها ما يجعل النفس لا تطمئن إلى ما يحكى عما حدث فيها، ولا مانع من أن يدس على اجتماعاتها ما لم يجر فيها[1].

ووافق هذه السرية صور كثيرة من الانحراف السلوكي والأخلاقي، بالإضافة إلى الرهبنة التي ظهرت مع تزايد انتشار النصرانية في اليونان وبلاد الشرق، مما أدى إلى انحطاط المستوى الديني.

وهذه البدع التي ظهرت بين النصارى كانت سبباً في انعقاد المجامع للفصل في هذه الأقوال، وكانت سبباً في انقسام الكنائس[2].

في هذا الجو من الاضطهاد يجدر بالباحث في المسيحية، أن يتحرى آثار هذا الاضطهاد ويتساءل: "هل يمكن إثبات سند متصل للديانة المسيحية؟ وهل الأناجيل التي كتبت في عهود الاضطهاد المستمر تحمل صفة الكتاب المنزل من عند الله؟ وهل في ظل هذا الاضطهاد الديني يمكن لكاتبي الأناجيل أن يتحلوا بصفة الحياد العلمي التي ينادي بها علماء الغرب المسيحيون في العصر الحديث؟ وما مدى الثقة التي يعطيها التاريخ لما كتب في هذه العهود من الأناجيل؟

ب. (بولس) وأثره في تحريف النصرانية الراهنة التي يعرفها الناس اليوم، إذ تكاد تجمع المراجع والمصادر على أن بولس يعد أبرز شخصية في الديانة النصرانية بعد المسيح عليه السلام، وذلك لما كان له من أثر بالغ في تحريفها وما آلت إليه[3]. وسوف أتناول أهم العقائد والتشريعات المحرفة التي كان لبولس الأثر الكبير فيها:

أولاً: من تحريفات بولس في العقيدة:

1. أنه نقلها من توحيد الله إلى تأليه المسيح عليه السلام ثم تطورت بعد ذلك إلى ما هي عليه اليوم من القول بالتثليث (الآب والابن وروح القدس) ففي "المجمع القسطنطيني الأول[4] سنة (381م) تقررت

---

[1] تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 344.

[2] المرجع نفسه، ص 345.

[3] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 131. وانظر أيضاً: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، ص 76.

[4] حضر هذا المجمع مائة وخمسون أسقفاً بدعوة من الامبراطور "ثيودوسيوس" لمواجهة دعوات كانت منتشرة بين الناس فقد نادى "مقدونيوس" (أسقف القسطنطينية) بأن الروح القدس مخلوق وليس إلهاً، وظهر أيضاً (سابيليوس) الذي كان

ألوهية الروح القدس[1]. وعقيدة ألوهية المسيح هذه يصور فيها (بولس) عيسى عليه السلام إنساناً سماوياً، أي إنساناً سبقت عناصره الروحية في الوجود وجوده الجسدي، ومبدأ حياته الروح الإلهية نفسها، فعيسى هو الروح، إنه صورة الله الخفية، فشخصه هو المكان الذي يجمع الله والخليقة[2].

وهذا التصور للمسيح كان واضحاً في رواية بولس عند بيان اعتناقه الظاهري للنصرانية وهو في طريقه إلى دمشق، إذ يصف بولس الصوت الذي سمعه بأنه الرب.

إذن يمكننا القول بأن فكرة الثالوث المتضمنة لألوهية المسيح كانت هي أهم مبادئ بولس وتعاليمه في تجواله وترحاله، فهو وإن لم يصرح بمصطلح التثليث، إلا أنه ذكرها وطالب الناس بالإيمان بها، فقد تحدث عن الله بصفته الأب لهذا الكون، وعندما تحدث عن المسيح زعم أنه ابن الله نزل إلى الأرض بشكل الإنسان ليقدم نفسه قرباناً ويصلب عن خطيئة البشر، ومن الجدير بالذكر أن الأناجيل الأربعة فيها الكثير من النصوص الدالة على بشرية عيسى عليه السلام ونبوته، وهذا ما يؤكد أن الذي جاء به (بولس) كان مخالفاً للأناجيل في عقيدة أساسية من العقائد التي بشر بها المسيح عليه السلام، فلو كان عيسى إلهاً أو ابناً لله، لما طلب مشيئة الله، فقد جاء في إنجيل يوحنا: "لأني لا أسعى لتحقيق إرادتي بل إرادة الذي أرسلني"[3]. ولو كان إلهاً لما صلى وأجهد نفسه في ذلك، وكان عرقه مثل قطرات دم تتساقط على الأرض[4]. لذا فإن سبب إغفال بولس في رسائله حياة عيسى ـ عليه السلام ـ هو مناقضة تعاليم بولس الجوهرية لأعمال المسيح وتعاليمه الثابتة عنه، فلو ذكر بولس عنه شيئاً في رسائله، لكان في

ينكر وجود ثلاثة أقانيم، وقام (أبوليناريوس) "أسقف اللاذقية والشام" بإنكار وجود نفس بشرية في المسيح. وقرروا في هذا المجمع ألوهية الروح القدس، ولعن وطرد من خالف ذلك فاكتمل بذلك ثالوث النصارى. انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ص 183. وانظر أيضاً: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 221. وانظر أيضاً: العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 440.

[1] انظر: محاضرات في النصرانية ص 36. وانظر أيضاً: عبد المنعم فؤاد، المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها، مكتبة العبيكان، الرياض، ط2، 2002، ص 115.

[2] انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 221. وانظر أيضاً: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 251.

[3] إنجيل يوحنا 5: 3.

[4] انظر: إنجيل لوقا 22: 369 – 45.

ذكره هدم لمقاصده وحجة عليه عند خصومه، فأعمال المسيح عليه السلام وتعاليمه في حياته الأرضية التي نقلها أقرب الناس عنه كلها تدل على بشريته ونبوته[1].

2. ومن العقائد التي ابتدعها بولس وركز عليها أيضاً: عقيدة بنوة المسيح لله فبعد حادثة دمشق مباشرة قال بأن المسيح ابن الله ورد في سفر أعمال الرسل: "وفي الحال بدأ يبشر في المجامع بأن يسوع هو ابن الله"[2] وتوسع في تأكيد ذلك في رسائله إلى الكنائس والبلدان المختلفة، بل جعلها موضوعاً للإيمان، والمواضع التي صرح فيها أن المسيح هو ابن الله كثيرة، جاء في رسالته إلى أهل رومية: "فإن ما عجزت الشريعة عنه، لكون الجسد قد جعلها قاصرة عن تحقيقه، أتمَّه الله إذ أرسل ابنه، متخذاً ما يشبه جسد الخطيئة ومكفراً عن الخطيئة فدان الخطيئة في الجسد"[3].

ويقول في رسالته إلى أهل كورنثوس الأولى: "فإن الله أمين، وقد دعاكم إلى الشركة مع ابنه يسوع ربنا"[4].

وفي رسالته إلى أهل أفسس يقول: "حتى نصل جميعاً إلى وحدة الإيمان ووحدة المعرفة لابن الله، إلى إنسان تام البلوغ، إلى مقدار قامة ملء المسيح"[5].

ولذلك يؤمن النصارى جميعاً ببنوة المسيح لله ومساواته لأبيه في الجوهر والطبيعة، دون دليل لديهم سوى كلام بولس في رسائله[6].

3. ومن الأمور التي ابتدعها بولس في عقائد المسيحية نزول عيسى عليه السلام وتجسده بين البشر، وعقيدة التجسد عند النصارى هي الأساس الذي تدور حوله العقائد النصرانية كلها، والتجسد يقصد به النصارى: "هبوط المسيح ابن الإله والأقنوم الثاني على زعمهم. وتجسده باختلاط اللاهوت بالناسوت، جزء من الإله وجزء من مريم العذراء الإنسان. وقد

---

[1] انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 216.
[2] أعمال الرسل 9: 20.
[3] الرسالة إلى أهل رومية 8: 3.
[4] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 1: 9.
[5] الرسالة إلى أهل أفسس 4: 13.
[6] انظر: ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 103.

تم التوصل إلى هذه العقيدة في مجمع نيقية عام (325م) حين ابتدعت الكنيسة عقيدة التثليث المقدسة معارضة بذلك عقيدة الموحدين[1].

ويستعمل اصطلاح "التجسد" في الفكر المسيحي في وصف حلول الله سبحانه في شخص عيسى المسيح ـ على زعمهم ـ إذ يقولون إن الله سبحانه قد وجد بين البشر في شخص عيسى بطريقة خاصة وفي صورة آدمية حقيقية، وبهذا يصبح المسيح إلهاً وإنساناً في نفس الوقت[2].

ويتذبذب البحث اللاهوتي حول مصطلح "التجسد" بين تعبيرات تؤدي إلى جملة من التلبيسات بين "تجسد الأب" و"تجسد الكلمة" و"غاية الفداء والتكفير" وبين التاريخ البشري الذي كان ينتظر الفادي أو الفادي الذي كان ينتظره التاريخ، لكن الله تعالى "تجسد" وترك شخصيته الأزلية" و"أخذ شخصية جديدة ثانية، لأنه ـ حسب زعمهم ـ لم يكن قادراً على أن يغفر لأبي البشر آدم عليه السلام خطيئته إلا بهذه الطريقة الملتوية الظالمة[3].

ولا تكاد الديانات الوثنية تخلو من عقيدة التجسد وإن اختلفت مظاهر هذا التجسد وكيفيته، إلا أن المضمون والجوهر واحد لا يختلف.

4. عقيدة صلب المسيح للفداء وتكفير الخطايا: لقد كانت نظرية صلب المسيح كفارة عن الخطايا، هي عقيدة بولس التي جال بها المدن والبلاد الرومانية، وروج لها كثيراً في رسائله، فلقد كان الصلب وسفك الدم هو ما عزم بولس أن لا يعرف عقيدة غيرها في المسيحية، يقول بولس: "إذ كنت عازماً ألا أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح، وأن أعرفه مصلوباً"[4] .

فبولس لم يهتم بتوسع عقيدة المسيح وتنميتها، ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح المدعو فحسب، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، فموته كان تضحية

---

[1] انظر: العبادي، سارة بنت حامد، موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 2006م، ص 390 – 391.
[2] المرجع نفسه، ص 391.
[3] انظر: الصديق، عمر يعقوب، مصطلحات العقيدة في مباحث الإلهيات بين علم الكلام وعلم اللاهوت، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط1، 2006م، ص 451.
[4] رسالة كورنثوس الأولى 2: 2.

مثل ممات الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشر[1].

لقد تأثر بولس بالأفكار والأساطير الأفلاطونية والوثنية الأخرى التي تقول: "إن كل ابن أنثى يرث خطيئة آدم، وأن لا شيء ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيته[2].

واضاف بولس إلى هذه الأساطير بعض آراء غامضة كانت قد ذاعت بين الناس، من ذلك قوله: "إن المسيح هو (حكمة الله، وابن الله الأول، وبكر كل خليقة، وأنه فيه خلق الكل، والكل به وله قد خلق)"[3].

ولقد استخدم بولس العديد من الألفاظ تعبيراً عن الكفارة، وتخليص الناس من ذنوبهم مثل: كلمة (الفداء) ومشتقاتها: وتعني دفع الثمن بدلاً من شخص آخر لخلاصه من كارثة أو أزمة وقع بها، وأزمة الإنسان هي الخطيئة، ومن الألفاظ التي استعملها (بولس) كلمة (الشراء) التي هي بمعنى الفداء أيضاً. مثل قوله: "... وإنكم لستم لأنفسكم لأنكم اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله"[4].

واستعمل ألفاظاً أخرى كان لها دلالة صريحة ومباشرة في بيان الهدف الذي وجد ومات وصلب المسيح من أجله[5].

ولكن القارئ لنصوص الأناجيل في موضوع صلب المسيح يجد أن إنجيلي مرقص ولوقا لم يشيرا إلى أن صلبه كان لغفران الخطايا، بل كان من أجل خلاصها من الكفر والعصيان، يقول مرقص في إنجيله عن قصة العشاء الأخير: "ثم أخذ الكأس، وشكر، وأعطاهم، فشربوا منها كلهم، وقال لهم "هذا هو دمي الذي للعهد الجديد والذي يسفك من أجل كثيرين"[6].

وهذا ما يؤكده لوقا أيضاً في إنجيله: "وكذلك أخذ الكأس أيضاً بعد العشاء، وقال: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك لأجلكم"[7].

---

[1] انظر: شلبي، أحمد، المسيحية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1965م، ص 89.

[2] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 249.

[3] انظر: قصة الحضارة (11/264).

[4] الرسالة إلى كولوسي 1: 19، 20، 21.

[5] انظر: العبرة، نورا توفيق سلمان، عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية، دراسة تحليلية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، الأردن، 2004، ص 152.

[6] إنجيل مرقص 14: 23.

[7] إنجيل لوقا 22: 19، 20.

ولكن عبارة غفران الخطايا تقحم وبشكل ملفت للنظر في إنجيل متى، إذ يقول على لسان عيسى عليه السلام: "خذوا، كلوا: هذا هو جسدي، ثم أخذ الكأس، وشكر، وأعطاهم قائلاً: "اشربوا منها كلكم فإن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد والذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا"[1].

وهذا يؤكد أن فكرة غفران الخطايا بالصورة التي جاء بها بولس لم تكن موجودة أو معروفة عند كتبة الأناجيل، فالقصة التي يوردها كتبة الأناجيل تدل على أن ما فعله عيسى عليه السلام إنما كان ليثبت مفهوم رسالته التي جاء بها من أجل هداية الناس وخلاصهم من الضلال والكفر[2].

وقد اتخذت المسيحية عيداً تحتفل به الكنيسة المسيحية الشرقية بشكل خاص هو "عيد الصليب" و"عيد ارتفاع الصليب" الذي يكون عادة في 14 أيلول (سبتمبر) من كل عام. حيث تجمع الكنيسة في هذا العيد تذكارين، أولهما اكتشاف صليب المسيح سنة (327 م) في مدينة القدس، وثانيهما استرجاع الإمبراطور هرقل خشبة الصليب من الفرس والطواف به وذلك سنة (628م) على حد زعمهم[3]. بل اتخذت المسيحية يوم الخامس والعشرين من شهر مارس تذكاراً لآلام المسيح قبل الصلب، وهذا هو الموعد نفسه الذي اتخذه الرومان قبل المسيح لتذكار آلام (الإله أتيس) إله الرعاة المولود من (نانا) العذراء بغير ملامسة بشرية[4].

5. ومن العقائد التي ابتدعها بولس: حلول الله في المسيح والمسيحيين، جاء في رسالة بولس إلى أهل كولوسي: "وهو رأس الجسد، أي الكنيسة، هو البداءة وبكر القائمين من بين الأموات، ليكون له المقام الأول في كل شيء. فإنه فيه سر الله أن يحل بكل ملئه"[5] وقال: "فإن فيه جسدياً، يحل الله بكل ملئه"[6] وعقيدة حلول الله في المسيح من أخطر العقائد التي ترتب عليها أيضاً حلول الله في المسيحيين، إذ ليس من عدل الله ـ كما يزعمون ـ أن يحل لاهوته في أحد أبنائه الذي هو

---

[1] إنجيل متى 26: 27، 28.
[2] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 250 – 251.
[3] انظر: موريس، أديب جهشان، أعيادنا وإيماننا، المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط، بيروت، ط1، 1992م، ص 95.
[4] انظر: عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية، ص 157.
[5] الرسالة إلى أهل كولوسي 1: 18 – 19.
[6] الرسالة إلى أهل كولوسي 2: 9.

المسيح، ويحرم باقي أبنائه من هذا الحلول، لذلك شاركوا المسيح في حلول الله في وفيهم واتحدوا بالمسيح[1]، جاء في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس: "ألا تعرفون أنكم هيكل الله وأن روح الله ساكن فيكم؟"[2].

6. ومن العقائد التي استحدثها بولس قوله ببنوة المسيحيين لله وقد ظهر هذا المعتقد في رسائل بولس، فقال بأن المسيحيين أبناء الله، بل جعل علامة صدق الله ووفائه بالعهد أنه اتخذ المسيحيين أبناء له، يقول في رسائله الأولى إلى أهل كورنثوس: "فإن الله أمين، وقد دعاكم إلى الشركة مع ابنه يسوع ربنا"[3]، وما دام أن المسيحيين هم أبناء الله واتحدوا بالمسيح، فهم بالتأكيد يشتركون معه بحلول الله فيهم وحلول الروح القدس أيضاً[4]، يقول بولس في ذلك: "ألا تعرفون أنكم هيكل الله وأن روح الله ساكن فيكم؟ فإن دمر أحد هيكل الله، يدمره الله لأن هيكل الله مقدس، وهو أنتم"[5]، وبلغ هذا التبني درجة القداسة التي نالوا بها مشاركة المسيح في ديانة العالم، جاء في رسالته إلى كورنثوس: "أما تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟ وما دمتم ستدينون العالم، أفلا تكونون أهلاً لأن تحكموا في القضايا البسيطة؟ أما تعلمون أننا سندين الملائكة؟ أفليس أولى بنا أن نحكم في قضايا هذه الحياة؟"[6].

هذه بعض النصوص الذي ذكرها بولس في بنوة المسيحيين لله، ومن ثم بلوغهم درجة عالية باتحادهم وحلولهم فيه، وحصولهم على القداسة التي بها يشارك المسيح في ديانة العالم.

7. ومن الأمور التي ابتدعها بولس وأشار إليها في كثير من رسائله، مواعيد الله لإبراهيم وحصره للنبوة في نسل إسحاق وأن المسيح عليه السلام هو المبشر به في آخر الزمان، وليس شخصاً أخير غيره، وقصده من ذلك التمهيد لأتباعه الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم عند ظهوره بالرغم أنه من نسل إبراهيم عليه السلام، بل به تحققت مواعيد الله

---

[1] انظر: ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 149.
[2] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 3: 16.
[3] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 1: 9.
[4] انظر: الشنطي، موقف بولس من تعاليم عيسى عليه السلام، ص 146.
[5] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 3: 16 – 17.
[6] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 6: 2 – 3.

لإبراهيم حقاً وصدقاً، وبه تباركت جميع الأمم، وبشرت به الكتب السماوية والأنبياء قبله ومنهم عيسى نفسه عليهم السلام[1].

ومن هذه النصوص ما ورد في سفر التكوين: "في ذلك اليوم عقد الله ميثاقاً مع أبرام قائلاً: "سأعطي نسلك هذه الأرض من وادي العريش إلى النهر الكبير، نهر الفرات"[2]، ومع أن الواضح في النص أن البشارة عامة في نسل إبراهيم دون تخصيص إلا أن بولس جعل هذه المباركة في المسيح دون غيره، يقول: "لكي تصل بركة إبراهيم إلى الأمم في المسيح يسوع، فننال عن طريق الإيمان الروح الموعود ... وقد وجهت الوعود لإبراهيم ونسله، ولا يقول "وللأنسال" كأنه يشير إلى كثيرين، بل يشير إلى واحد، إذ يقول "ولنسلك" يعني المسيح"[3].

بل فصل في هذا المعتقد وقال: "فإنه قد كتب أن إبراهيم كان له ابنان: أحدهما من الجارية والآخر من المرأة الحرة. أما ابن الجارية، فقد ولد حسب الجسد. وأما ابن الحرة، فإتماماً للوعد. وهذه الحقيقة لها معنى رمزي. فهاتان المرأتان ترمزان إلى عهدين: الأول مصدره جبل سيناء يجعل المولودين تحته في حال العبودية ورمزه هاجر. ولفظة هاجر تطلق على جبل سيناء، في بلاد العرب، وتمثل أورشليم الحالية، فإنها مع بنيها في العبودية. أما الثاني فرمزه الحرة التي تمثل أورشليم السماوية التي هي أمنا، فإنه قد كتب "افرحي أيتها العاقر التي لا تلد، اهتفي بأعلى صوتك أيتها التي لا تتمخض، لأن أولاد المهجور أكثر عدداً من أولاد التي لها زوج" وأما أنتم، أيها الإخوة، فأولاد الوعد، على مثال إسحاق ولكن كما كان في الماضي المولود بحسب الجسد يضطهد المولود بحسب الروح، فكذلك أيضاً يحدث الآن. إنما ماذا يقول الكتاب؟ "اطرد الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابن الحرة!" إذن، أيها الإخوة، نحن لسنا أولاد الجارية، بل أولاد الحرة"[4].

وبهذا يدعي بولس أن مواعيد الله لإبراهيم أنجزت وتمت بالمسيح عيسى عليه السلام، الذي هو من نسل إسحاق بن إبراهيم، ولذلك

---

[1] ملكاوي، اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 143.
[2] سفر التكوين 15: 18.
[3] الرسالة إلى أهل غلاطية 3: 14 – 16.
[4] الرسالة إلى أهل غلاطية 3: 21 – 31.

فالنصارى هم أبناء الحرة، وهم ذرية إبراهيم الروحانية وهم وارثو المواعيد، وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالمسيح، لا ينالون شيئاً من بركة المواعيد ـ كما يزعم ـ[1].

8. ومن ذلك أيضاً عقيدة أن التبرير يكون بالإيمان دون الإلتزام بأحكام شريعة توراة موسى، فلا تكاد تخلو رسالة من التاكيد على ذلك، إذ جعل التبرير عمل من أعمال المسيح المختلفة التي حددت العلاقة بين الله والإنسان. ولذلك نسخ بولس جميع أحكام التوراة العملية بما فيها الختان، وأصدر فتوى بالإباحة العامة لجميع المحرمات[2].

يقول بولس في رسالته إلى أهل رومية: "ونحن نعلم أن كل ما تقوله الشريعة إنما تخاطب به الذين هم تحت الشريعة، لكي يُسدَّ كل فم ويقع العالم كله تحت دينونة من الله، فإن أحداً من البشر لا يتبرَّر أمامه بالأعمال المطلوبة في الشريعة. إذ إن الشريعة هي لإظهار الخطيئة. أما الآن، فقد أعلن البر الذي يمنحه الله، مستقلاً عن الشريعة، ومشهوداً له من الشريعة والأنبياء، ذلك البرُّ الذي يمنحه الله على أساس الإيمان بيسوع المسيح لجميع الذين يؤمنون. إذ لا فرق، لأن الجميع قد أخطأوا وهم عاجزون عن بلوغ ما يمجد الله. فهم يبررون مجاناً، بنعمته، بالفداء بالمسيح يسوع الذي قدّمه الله كفارة، عن طريق الإيمان، وذلك بدمه. ليظهر بر الله إذ تغاضى، بإمهاله الإلهي، عن الخطايا التي حدثت في الماضي، ويظهر أيضاً برُّه في الزمن الحاضر: فيتبين أنه بار وأنه يبرر من له الإيمان بيسوع. إذن أين الافتخار؟ إنه قد أبطل! وعلى أي أساس؟ أعلى أساس الأعمال؟ لا، بل على أساس الإيمان، لأننا استنتجنا أن الإنسان يتبرر بالإيمان، بمعزل عن الأعمال المطلوبة في الشريعة. أو يكون الله إله اليهود وحدهم؟ أما هو إله الأمم أيضاً؟ بلى، إنه إله الأمم أيضاً، ما دام الله الواحد هو الذي سيبرر أهل الختان على أساس الإيمان"[3].

ويواصل بولس حديثه عن التبرير بالإيمان، فيقول: "إن الأمم الذين لم يكونوا يسعون وراء البر، قد بلغوا البر، ولكنه البر القائم على أساس

---

[1] انظر: ملكاوي، شاول بولس الطرسوسي، ص 124.
[2] المرجع نفسه، ص 159.
[3] الرسالة إلى اهل رومية 3: 19 -30.

الإيمان. أما إسرائيل، وقد كانوا يسعون وراء شريعة تهدف إلى البر، فقد فشلوا حتى في بلوغ الشريعة .... كما كتب: "ها أنا واضع في صهيون حجر عثرة وصخرة سقوط. ومن يؤمن به لا يخيب"[1].

ولم يكتف بولس بهذا الأمر بل أصدر فتواه بالإباحة العامة وتحليل جميع المحرمات بما فيها ذبائح الأوثان، وأنه لم يبق في دينه شيء نجس، بل كل شيء في نظره طاهر وحلال لأتباعه[2]، يقول في رسالته إلى أهل رومية: "من الناس من يعتقد أنه يحق له أن يأكل كل شيء. وأما الضعيف فيأكل البقول. فمن كان يأكل كل شيء، عليه ألا يحتقر من لا يأكل، ومن كان لا يأكل، عليه ألا يدين من يأكل، لأن الله قد قبله"[3]، ويقول: "لا تدمر عمل الله بسبب الطعام، حقاً إن الأطعمة كلها طاهرة، ولكن الشر في أن يأكل الإنسان شيئاً يُسبب العثرة"[4].

9. نسبة بعض أقواله إلى المسيح عليه السلام على أساس أنها وحي منه وهو الإله وابن الإله كما يزعم، وأحياناً ينسب التشريع لنفسه بالعبارات الصريحة مثل قوله: "فأقول لكم أنا لا الرب"[5] ويقول أيضاً: "وأظن أن عندي، أنا أيضاً روح الله"[6].
10. ومن الأمور التي ابتدعها بولس في عقيدة المسيحيين القول بقيامة المسيح عليه السلام من قبره وذلك بعد أن مات على الصليب ودفن ثم مكوثه بعد قيامته أربعين يوماً بين تلاميذه، ثم صعوده وجلوسه عن يمين أبيه الآب ليجازي كلاً حسب عمله، جاء في سفر أعمال الرسل: "فيسوع هذا أقامه الله من الموت ونحن جميعاً شهود لذلك. وإذ رفع إلى يمين الله، وأخذ من الآب الروح القدس الموعود به، أفاضه علينا. وما ترونه وتسمعونه هو نتيجة لذلك"[7].

بل لدى المسيحيين عيد يقال له "عيد القيامة" وهو عيد قيامة المسيح من القبر بعد آلامه وصلبه وموته، بعد أن بقي في القبر ثلاثة أيام

---

[1] الرسالة إلى أهل رومية 9: 30 – 33.
[2] انظر: ملكاوي، اليهويد شاول بولس الطرسوسي، ص 176.
[3] الرسالة إلى أهل رومية 14: 2 – 3.
[4] الرسالة إلى أهل رومية 14: 20.
[5] الرسالة إلى أهل كورنثوس 7: 13.
[6] الرسالة إلى أهل كورنثوس 7: 40.
[7] أعمال الرسل 2: 32.

على حد زعمهم، ويطلقون على هذا العيد عيد القيامة، لأنه يذكر بقيامة المسيح من قبره منتصراً على الموت، ويطلق عليه البعض أيضاً اسم "العيد الكبير" لأنه يعتبر أهم الأعياد المسيحية، أي أكبرها. وفيه يرددون "المسيح قام، حقاً قام" ويقع في فصل الربيع وخلال فترة تقع عادة بين (22 آذار "مارس") و(25 نيسان "ابريل") من كل عام[1].

11. ومن الأمور التي ابتدعها بولس لتحريف المسيحية هو نقلها من دعوة خاصة لبني إسرائيل إلى دين عالمي ودعوة عالمية، يقول بولس: "فإني أخاطبكم، أنتم الأمم، بما أني رسول للأمم، ممجداً رسالتي"[2]. ويقول: "فما كنت لأتجاسر أن أتكلم بشيء إلا على ما علمه المسيح على يدي لهداية الأمم"[3].

ولذا يؤمن النصارى اليوم أن النصرانية دين عالمي لكل أنحاء الأرض وجميع الشعوب، رغم أن المسيح عليه السلام وحوارييه لم يقولوا بذلك، بل اقتصرت دعوتهم على شعب بني إسرائيل[4].

والأناجيل تحدثنا على لسان المسيح عليه السلام أنه قال: "ما أرسلت إلا إلى الخراف الضالة، إلى بيت إسرائيل"[5] وهذا يفيد أن رسالة المسيح موجهة لليهود وحدهم، وقاصرة على تقويم الضالين منهم،كما قال عيسى عليه السلام: "لا تظنوا أني جئت لألغي الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لألغي، بل لأكمل"[6] فرسالته استكمال لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة لبني إسرائيل دون غيرهم[7].

ثانياً: تحريف بولس للشريعة:

لم يقتصر تحريف بولس على العقيدة وإنما تعداها إلى الشريعة أيضاً فحرفها، وتحريفه للشريعة تابع لتحريفه للعقيدة ومن تحريفاته للشريعة:

1. اختلاقه العشاء الرباني أو (التناول) ويرمز إلى عشاء عيسى الأخير مع تلاميذه وحوارييه إذ اقتسم معهم الخبز والنبيذ، فالخبز يرمز إلى جسد

---

[1] انظر: أعيادنا وإيماننا ص 73 – 74.
[2] الرسالة إلى روما 15: 19.
[3] الرسالة إلى أهل كورنثوس 7: 40.
[4] انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 89.
[5] إنجيل متى 15: 24.
[6] إنجيل متى 5: 17.
[7] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 190.

المسيح الذي كسر لنجاة البشرية، أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض أيضاً[1]. وهذا ما أوضحته رسالة بولس إلى أهل كورنثوس: "فإني قد تسلمت من الرب ما سلمتكم إياه. وهو أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا، هو جسدي الذي يكسر من أجلكم اعملوا هذا لذكري، أو كذلك أخذ الكأس بعد العشاء، وقال: "هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي ـ اعملوا هذا كلما شربتم لذكري إذن كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تعلنون موت الرب إلى أن يرجع"[2].

ويحاول عوض سمعان أن يبين العلاقة بين الخبز وجسد المسيح فيقول: "إن الخبز مثال للمسيح من ناحيتين رئيسيتين: فالخبز قوام الحياة الجسدية، والمسيح قوام الحياة الروحية، والخبز اجتاز في النار حتى أصبح طعامنا الجسدي والمسيح احتمل نار دينونة الخطيئة عوضاً عنا، لكي يكون طعامنا الروحي الذي يهبنا حياتنا إلى الأبد ... أما الخمر فعلاقته بدم المسيح: فإنه أقرب مثال للدم من ناحيتين، فكلاهما أحمر اللون، وكلاهما حياة الجسد الذي يجري فيه، فالخمر هي حياة الكرامة، والدم هو حياة الجسد ..."[3].

ولم تكن الخمر التي تستعمل في العشاء الرباني من النوع الذي يسكر، لأنه لم يكن مسموحاً بوجود أي نوع من الخمر في هذا العيد[4]، إذ أنها كما يقول المؤرخون: كانت عصير العنب الطازج ومع ذلك فإن النصارى اليوم خالفوا ذلك ويشربون الخمر المسكر بحجة أن بولس أباح لهم ذلك، فكل ما يدخل الفم فليس بنجس[5].

ونجد أن بعض النصارى مع وجود هذا المعتقد لا يعدون هذا الأمر إلا ذكرى لفداء المسيح بصلبه لتكفير خطايا البشر، وبذلك فهم ينكرون أن يتحول ذلك إلى جسد المسيح أو إلى دمه[6].

---

[1] انظر: مقارنة الأديان، الخطيب، ص 341.
[2] الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 11: 23 – 26.
[3] نقلاً عن العمري والحاج، مقارنة الأديان، ص 285 - 286.
[4] انظر: العمري والحاج، مقارنة الأديان، ص 285.
[5] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 343.
[6] انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، ص 98.

2. ومن تحريفاته في الشريعة إلغاؤه مشروعية الختان واستبداله بأمر آخر وهو المعمودية. فعند النصارى أن عيسى عليه السلام أقر ما كان في شريعة موسى من الاختتان، بل جعله في نفس اليوم المقدس عند اليهود وهو يوم السبت، وبقيت مشروعية هذه الشعيرة طوال حياة المسيح عليه السلام وبعده ـ كما يفهم من مصادر النصارى ـ حتى دخل بولس في النصرانية، وكان هو نفسه مختتناً باعتبار نشأته اليهودية، وفي هذا يقول: "من جهة الختان مختون في اليوم الثامن"[1].

وقد تضمنت رسائله بعد ذلك إلغاء شعيرة الختان ومن أقواله في ذلك: "... لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الإيمان العامل بالمحبة"[2]. وفي موضع آخر أنكر بولس أهمية الختان، فيقول: "ما نفع الختان؟ لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان"[3].

فألغى بولس الختان وادعى بأن المعمودية حلت محله، والمعمودية كانت شائعة قبل المسيحية وإنما بمعنى آخر فقد كانت تمثل طقس الاغتسال بالماء للتطهير الجسدي[4].

وكان النبي يحيى عليه السلام يعمد الناس في نهر الأردن، أي يغسل أجسادهم ولذلك يسمى (يوحنا المعمدان ـ أي يحيى المغسل)[5].

والمعمودية عند النصارى تدل على اعترافهم العلني بإيمانهم وطاعتهم للأب والابن وروح القدس، ولا يجوز أن يعمدوا إلا إذا اعترفوا بإيمانهم جهاراً أمام الكنيسة[6].

ومقصود التعميد في المسيحية يغاير مفهومه في اليهودية، حيث يعتقد المسيحيون أن المعمودية ختم عهد النعمة وسرها كما كان الختان في

---

[1] رسالته إلى أهل فيلبي 3: 5.
[2] رسالته إلى أهل غلاطية 5: 1-6.
[3] رومية 3: 1.
[4] أنظر: اعيادنا وإيماننا، ص 36.
[5] انظر: مقارنة الأديان، الخطيب، ص 340.
[6] انظر: محاضرات في النصرانية، ص 115.

الشريعة الموسوية، وأنها تمحو الخطيئة الأصلية في النفس وتلدها ثانية، وتعطي صاحبها حرية ومقدرة على فعل الخير[1].

وطريقة التعميد تكون برش الماء على الجبهة أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، والغالب أن يغمس الشخص كله في الماء، وكل ذلك بمعرفة كاهن يعمد الشخص المسيحي باسم الآب والابن والروح القدس، أما في حالات الضرورة فيجوز أن يقوم بالتعميد غير الكهنة ويسمى (تعميد الضرورة)[2].

أما الكنيسة القبطية فتشترط التغطيس ثلاث مرات، ولا تجيز الرش إلا للضرورة[3]، "وطريقة العماد في الكنائس هي نفس طريقة يوحنا، صنعوا بئراً وبركة صغيرة في كل كنيسة على غرار نهر الأردن. الذي كان يوحنا يعمد الناس فيه، وملأوا البركة بالماء، فإذا احتاجوا لتعميد شخص لتنصيره، سواء كان طفلاً حديث الولادة ولد لأبوين مسيحيين أم كان رجلاً أو امرأة اعتنقا المسيحية حديثاً، فإنه يخلع ملابسه ويصير عارياً كما ولدته أمه، ثم يأتي الكاهن ومساعده ويحملونه ويضعونه داخل البركة ويقومون بتغطيسه بأكمله ثلاث مرات حتى يتطهر من دنس الحمل وخطيئة الميلاد ويصير مباركاً"[4].

وهذه الطقوس طقوس رومانية وثنية عرفتها فلسفات وثنية سابقة أدخلها بولس للنصرانية. وسر التعميد كذلك مرتبط بفكرة الخطئية الموروثة، إذ أن هذا المولود يولد وهو يحمل من هذه الخطيئة فلا بد أن يتدخل الكاهن ليغطسه بالماء أو يرش عليه على الأقل لتكون المغفرة والتطهير من الذنوب[5].

3. ومن مظاهر تحريفه للشريعة ما يلاحظ من وجود المزامير والأغاني والتراتيل في الكنائس، وهذا ـ بلا شك ـ لم يؤثر عن المسيح عليه السلام ولم يأمر به، وإنما هو من ابتداع بولس المحرف[6]. يقول في رسالته إلى أهل أفسس: "محدثين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح

---

[1] انظر: مقارنة الأديان، الخطيب، ص 340.
[2] انظر: المرجع السابق، ص 341.
[3] انظر: مقارنة الأديان، العمري، والحاج، ص 282.
[4] انظر: مقارنة الأديان، الخطيب، ص 341.
[5] انظر: مقارنة الأديان، العمري والحاج، ص 283.
[6] انظر: التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، ص 97.

وأناشيد روحية،مرنمين ومرتلين بقلوبكم للرب، رافعين الشكر كل حين وعلى كل شيء لله والآب"[1].

4. تحليل لحم الخنزير والخمر وسائر الأطعمة: من ضمن الأمور التي اتخذ قرار بتحليلها في مجمع أورشليم[2] المأكولات التي حرمتها التوراة سوى ثلاثة أشياء بقيت محرمة كما هي: "الدم والمنخنقة وما ذبح للأوثان"، ولما كان لحم الخنزير محرماً ونجساً عند اليهود بنصوص أسفارهم[3] لم ينص القرار على بقائه محرماً كما هو، وكان ذلك إيذاناً بأنه صار حلالاً[4].

وعن تحليله لما حرم في التوارة يقول: "ونحن، أن لا نحملكم أي عبء فوق ما يتوجب عليكم، إنما عليكم أن تمتنعوا عن الأكل من الذبائح المقربة للأصنام، وعن تناول الدم ولحوم الحيوانات المخنوقة، وعن ارتكاب الزنى"[5].

بل لقد ذهب إلى أبعد من ذلك وحلل ما حرمه بالأمس، وذكر ذلك في قوله إلى أهل رومية: "فأنا عالم بل ومقتنع من الرب يسوع،أنه لا شيء نجس في ذاته، أما إن اعتبر أحد شيئاً ما نجساً فهو نجس في نظره"[6].

وهناك نص آخر يبيح فيه بولس جميع المحرمات بلا استثناء يقول: "لا تدمر عمل الله بسبب الطعام! حقاً إن الأطعمة كلها طاهرة، ولكن الشر في أن يأكل الإنسان شيئاً يببب العثرة"[7].

5. تفضيل التبتل والرهبنة على الزواج: إذا نظرنا إلى العهد القديم نجده حافلاً بالنصوص الداعية إلى الزواج التي تحض عليه[8].

ولكننا إذا جئنا إلى رسائل بولس نجده يقر الزواج كشريعة ولكنه يفضل عليه التبتل. يقول: "إن بين الزوجة والعذراء فرقاً، غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسداً أو روحاً، وأما المتزوجة فتهتم في ما

---

[1] الرسالة إلى أفسس 5: 19، 20.

[2] هو أول المجامع كما يذكر سفر أعمال الرسل، عقد أيام الحواريين من أجل النظر في أحكام إلزام غير اليهود بالشرائع الموسوية، وإنما يلزمون فقط بالامتناع عن الذبح للأصنام والزنا وأكل المخنوق والدم. انظر: سفر أعمال الرسل، الإصحاح 15.

[3] انظر: لاويين 11/7، تثنية 14: 8. وانظر قاموس الكتاب المقدس، ص 350.

[4] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 205.

[5] أعمال الرسل 15: 29.

[6] الرسالة إلى أهل رومية 14: 14.

[7] الرسالة إلى أهل رومية 14: 20.

[8] انظر: تكوين 1: 27، 28، تكوين 2: 18، تكوين 9: 1.

للعالم كيف يرضى رجلها... إذا من زوج فحسناً يفعل، ومن لا يزوج يفعل أحسن"[1] وفي هذا النص نلحظ ترغيباً صريحاً في ترك الزواج، وقد أثرت هذه التعاليم في النصرانية كثيراً وبالغت الكنيسة في النظرة الزاهدة في الزواج حتى وصلت إلى حد التطرف، ثم غلت في ذلك حتى وصلت إلى أسوأ مستوى بعد ظهور الرهبنة، حيث جعلت الشريعة الكاثوليكية الترهب مانعاً من الزواج[2].

وهذا التبتل كان له دور كبير في فساد الرهبان والراهبات وفساد الأديرة وما ذلك إلا لأن هذا يتنافى مع الجبلة البشرية، ولا شك أنه لا يمت إلى دين الله بصلة.

وهكذا يتضح مدى الاختلاف والتضارب بين ما دعا إليه عيسى عليه السلام، وما انتهى إليه بولس في دعوته، وأن المعتقدات والأحكام الأساسية للديانة النصرانية المعاصرة، ليست من تعاليم المسيح عليه السلام، وإنما وضعها بولس، وإلى بولس هذا ترجع شرائع الكنيسة وتقاليدها المتبعة[3].

ج. المجامع الكنسية:

وتعد من أهم الأسباب لانحراف المسيحية عن مسار التوحيد حيث تقررت فيها جملة كبيرة من العقائد والشرائع دون مستند من العهد القديم أو الجديد، وإنما اعتمد في تبنيها واعتقادها على قرارات هذه المجامع، والمجمع: هوالتجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بالقضايا العقائدية والتشريعية[4].

وإذا استعرضنا هذه المجامع، نجد أن كل مجمع منها ما عقد إلا لمعالجة مشكلة هامة ومناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم الصراع بشأنها بين رجال الكنيسة أنفسهم، ثم ينتهي هذا المجمع إلى قرارات، يرضى عنها من يرضى، وفي حال عدم الاتفاق بين المجتمعين يلجأون إلى الجبر والموافقة القسرية[5].

وتنقسم المجامع المسيحية إلى قسمين:

---

[1] الرسالة الأولى إلى كورنثوس 7: 25 – 40.
[2] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 206 – 207.
[3] المرجع نفسه، ص 209.
[4] انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 286.
[5] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 249.

1. مجامع عامة (مسكونية): تجمع كثيراً من الأساقفة من مناطق مختلفة من العالم.
2. مجامع محلية (إقليمية):تخص إقليماً بعينه، أو ملة بعينها أو طائفة بعينها[1].

وأخطر هذه المجامع هي المجامع المسكونية، وهي التي تختص بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة ولها سلطات التشريع، وتجمع رجال الكنائس المسيحية في كل أنحاء المعمورة[2].

يقول المؤرخون: إن عدد المجامع العامة المسكونية التي انعقدت بين المدة من القرن الأول المسيحي إلى عام 1869م، عشرون مجمعاً، وأخطرها وأبعدها أثراً وأكبرها شاناً، أربعة،هي التي عقدت في القرون الأولى للمسيحية، وهي: مجمع نيقية المنعقد في (325م) ومجمع القسطنطينية الأول المنعقد في (381م) ومجمع أفسس المنعقد في (431م) ومجمع خليكدونية المنعقد سنة (451م)[3].

والذي يبرز لنا من هذه المجامع وبقية المجامع الأخرى، ما كان لها من آثار في تحريف العقيدة النصرانية ومن ذلك:

1. نمت البذرة التي وضعها بولس في الانحراف بالنصرانية عن عقيدة التوحيد؛ فقررت هذه المجامع ألوهية المسيح، مع ما وقع في هذه المجامع من تضارب فيما قررته بشأن طبيعة المسيح، وهل هو ذو طبيعة واحدة ومشيئة واحدة، أو ذو طبيعتين ومشيئتين[4].
2. تقررت في هذه المجامع عقيدة التثليث بعد أن تقرر تأليه روح القدس، وتمت أقانيمه[5].
3. لقد كانت المجامع من أعظم أسباب الفرقة والاختلاف بين الكنائس النصرانية، ذلك أن المجتمعين في تلك المجامع لم يخرجوا في واحد منها متفقين على عقيدة واحدة، بل كلما اجتمعوا في مجمع يزداد

---

[1] (?) انظر: العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 427.
[2] (?) انظر: محاضرات في النصرانية، ص 114، وانظر أيضاً: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 287.
[3] (?) انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 288.
[4] (?) انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 333.
[5] (?) انظر: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 292.

اختلافهم، وبالتالي انقسامهم، وبذلك انقسمت الكنائس فيما بينها بسبب اختلاف موقفها فيما تقرره أو ترفضه المجامع من العقائد[1].

4. تتحمل المجامع ـ ولا سيما مجمع نيقية ـ مسؤولية ضياع النسخة الأصلية للإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، بعد اعتماد مجمع نيقية الأناجيل الأربعة المعروفة وحرق ما سواها، فترتب على ذلك أن المجمع كان سبباً مباشراً في ضياع الإنجيل الصحيح وفقدانه للأبد[2].
5. كان تقرير المجامع لعقيدة التثليث، أو العقائد المحرفة عموماً يقترن دائماً بلعن دعاة التوحيد أو المخالفين عموماً لقرارات الأغلبية في المجامع واضطهادهم وإعلان طردهم من الكنيسة، وقد أدى هذا الموقف إلى تثبيت العقائد المحرفة على حساب عقيدة التوحيد الصحيحة في عقول النصارى وقلوبهم[3].
6. كان نتيجة انقسام الكنائس أن فسدت الكنيسة بشقيها الشرقي والغربي وامتد فسادها إلى خارج حدودها داخل المجتمع النصراني، ودخلت الخرافات والأساطير والتقاليد الوثنية في صلب عقائدها وتعاليمها وطقوسها[4].
7. إقرار أن البابا معصوم، وهذا نقل حق التشريع إلى البابا كرأس للكنيسة، وعن طريقه أصبحت الكنيسة تملك حق التشريع، وقد نسب المسيحيون عصمة الكنيسة ومن ثم (البابا) إلى المسيح حيث يقول الأب بولس إلياس: "لقد خوَّل السيد المسيح الكنيسة عين السلطان الذي تلقاه من أبيه السماوي عندما قال لتلاميذه: كما أرسلني الأب، هكذا أنا أرسلكم ـ"[5].

د. أثر الوثنيات والفلسفة في تحريف النصرانية:

فالنصرانية انتشرت في أمم وثنية شرقية وغربية، إضافة إلى استخدامها فلسفات ونظريات علوم اليونان لتهذيب آرائها الدينية وترتيبها، والتقدم بالشعور الديني لوجود فكرة في العالم لكي تقنعه، فأوجدت نظماً

---

[1] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 335.
[2] المرجع السابق، ص 335. وانظر أيضاً: الخطيب، مقارنة الأديان، ص 289.
[3] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 335.
[4] انظر: المرجع نفسه، ص 337.
[5] انظر: أضواء على المسيحية، ص 116.

دينيه من قبيل ما وراء المادة تتفق مع الأديان المتضادة اتفاقاً يختلف قلة وكثرة[1]. وهذا يعني أن المسيحية لقحت حقاً بالفلسفة الوثنية القديمة، ونتج عنه تلوث عقيدة التوحيد بالعقائد الوثنية.

ففكرة التعدد والتجسد وحلول الإله وتجسده بالناسوت يعرفها الفكر الوثني منذ غابر العصور، وكل هذه الأفكار دخلت إلى النصرانية بعد انخراطها في ذلك المجتمع الوثني[2].

والصلب ـ فداء للبشر ـ عقيدة وثنية كانت موجودة لدى الهنادكة، إذ يعتقد الهنود بأن "كرشنا" قدم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة، وأنه مات مصلوباً، كما هو مصور في كتب الهنود مثقوب اليدين والرجلين معلقاً على شجرة[3]. ولم يقتصر هذا الأمر على أمور العقيدة فحسب، بل شمل أيضاً الشعائر، ومن أمثلة ذلك "العشاء الرباني" فقد وجد علماء الآثار نصوصاً على ورق البردي من مصر القديمة تدل على أن دم الإله "أوزيريس" كان يتحول إلى خمر "ويذكر أحد الرهبان الإسبان أنه رأى الهنود يضعون قطعة من الكعك كبيرة جداً على صورة معبودهم "هوتيزيلوبوشيني"[4]. ومن أمثلة ذلك "الرهبنة" فالترهب والتبتل هو سمة واضحة في الهندوكية والبوذية[5]. وكذلك "عبادة الصور والتماثيل وتوافق الأعياد، بل إن النصرانية نافست أكثر الأديان وثنية بكثرة أعيادها وتنوعها، يقول "ول ديورانت" عند تعليقه على أسرار النصرانية: "إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها"[6]. ويقول: "جينيبر": لا مجال للشك في أن الروح الوثنية في مظاهر العبادات العملية قد فرضت على المسيحية شيئاً فشيئاً[7].

أما ما يتعلق بالفلسفة وأثرها في الديانة النصرانية، فلقد كان لهذا الأمر عدة أسباب منها:

---

[1] انظر: محاضرات في النصرانية، ص 36.
[2] انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 137.
[3] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 360.
[4] المرجع نفسه، ص 379.
[5] انظر: شلبي، أحمد، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط11، 1984م، ص 197.
[6] قصة الحضارة، (11/275).
[7] المسيحية نشأتها وتطورها، ص 160.

- دخول أصحاب الأهواء والمنافقين ممن تأثروا بالفلسفة أمثال بولس في الديانة في عصر مبكر من تاريخ النصرانية، حيث مكنهم أن ينشروا أفكارهم ومعتقداتهم الضالة، ولم يكن للنصارى الصادقين إمكانية الرد عليهم وقمعهم من خلال دولة تحمي دين المسيح عليه السلام من تحريف الضالين الجاهلين.
- دخول بعض فلاسفة اليونان في الديانة النصرانية، وقد كان كثير من كبار قساوسة النصرانية تنصروا بعد فلسفة، بل تعمقوا في الفلسفات الوثنية، فكان من الطبيعي أن يصدروا عن معارفهم وأفكارهم السابقة وثقافتهم في مجال تبيان عقديتهم، وحاولوا أن يسدوا الثغرات التي يجدونها في الديانة النصرانية بمزيج من الفلسفات التي كانوا عليها، بل يمكن القول إن اليوناني بقي يونانياً بعد دخوله في النصرانية[1].
- تسامح رجال الدين النصراني مع الداخلين في الديانة لأجل استقطاب أكبر عدد منهم، فكان المرء يدخل في النصرانية اسماً فقط، وأفكاره كلها مع ما كان يعتقده من قبل، كحال الذين دخلوا في النصرانية، لأن النصرانية لم تكن لها دولة تحميها، بل كانت مضطهدة تحت الدولة الرومانية، لذلك لجأت إلى التسامح وغض النظر عن الأفكار الداخلية[2].

بل إنني استطيع القول بأن المصطلحات الدينية لدى النصارى مثل الأب والابن والروح القدس والتجسد والصلب والفداء فسرت بتفسيرات فلسفية، استخدم أصحابها أساليب الفلاسفة ليتم إقناع الناس بتلك المصطلحات، التي لم يرد فيها عن المسيح عليه السلام أي شيء البتة، مما يدل دلالة واضحة على ان الفلسفة كانت مطيعة للنصارى في شرح ديانتهم.

بل إن استخدام الفلسفة في شرح تلك المصطلحات أدى إلى ظهور الفرق الكثيرة بين النصارى، وذلك للتفاوت الكبير بين تلك الشروحات.

---

[1] انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 386.
[2] المرجع نفسه، ص 387.

الفصل الثالث

عبدالله بن سبأ والمسلمين

المبحث الأول:

التعريف بشخص عبدالله بن سبأ وأهميته ومناقشة الآراء حول وجوده.

المبحث الثاني:

الوضع السياسي زمن عثمان بن عفان ودور ابن سبأ فيه وأثره في مختلف العصور الإسلامية اللاحقة حتى الوقت الحاضر.

المبحث الثالث:

عبدالله بن سبأ والسبئية

المبحث الرابع:

أثر عبدالله بن سبأ في الفكر الإسلامي ودوره في شق صف المسلمين

المبحث الأول: التعريف بعبدالله بن سبأ وأهميته ومناقشة الآراء حول وجوده:

كانت خطة الدخول في الإسلام نفاقاً للعمل على تخريبه من الداخل والمكر بالمسلمين بالانضمام إلى صفوفهم للتفريق بينهم من الخطط الخبيثة التي سلكها اليهود منذ فجر الإسلام، واستمروا يسلكونها عبر التاريخ، وتجلى هذا الأمر على يد اليهودي المنافق (عبدالله بن سبأ) الذي أخذ ينشر ضلالاته بين المسلمين، مما كان له أبلغ الأثر في حدوث (الفتنة الكبرى) التي هزت الأمة الإسلامية. فمن هو عبدالله بن سبأ هذا؟

عبدالله بن سبأ: اختلف أصحاب كتب المقالات والتاريخ في هوية عبدالله بن سبأ فمنهم من ينسبه إلى (حمير)[1] قال ابن حزم: "والقسم الثاني من فرق الغالية يقولون بالإلهية لغير الله عز وجل، فأولهم قوم من أصحاب عبدالله بن سبأ الحميري"[2] ويرى البغدادي أن ابن سبأ من أهل "الحيرة"[3] قال: "وكان ابن السوداء في الأصل يهودياً من أهل الحِيرة"[4].

وقد جانب الدكتور علي سامي النشار الصواب حينما نقل عن البغدادي أن ابن سبأ رومي من أهل البصرة[5].

أما الطبري فيرى أن ابن سبأ من اليمن، فقال: "كان عبدالله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء"[6].

ومعظم أهل العلم ينسبون ابن سبأ من جهة أبيه إلى (سبأ) فيقولون (عبدالله بن سبأ)[7] أما من قال إنه (عبدالله بن وهب الراسبي)[8] فقد وقع

---

[1] حمير: من القبائل المعروفة في جنوب الجزيرة العربية، منازلهم باليمن بموضع يقال له حمير غربي صنعاء. انظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1979م، (2/306).

[2] ابن حزم، علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط1، 2005م، (2/298).

[3] الحيرة: بكسر الحاء مدينة على ثلاث أميال من الكوفة في العراق على موضع يقال له النجف. انظر: معجم البلدان، (2/328).

[4] البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م، ص 206.

[5] انظر: النشار، علي سامي، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1969م، (2/24).

[6] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/340).

[7] انظر: الجميلي، عبدالله، بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، مكتبة الغرباء الإثرية، المدينة المنورة، ط3، 1999م، (1/101).

[8] انظر: الإشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، القاهرة، ط2، 1969م (1/71).

هذا نتيجة الخلط بين عبدالله بن سبأ وبين (عبدالله بن وهب الراسبي) صاحب الخوارج، وهناك من الفروق بين الشخصيتين ما لا يخفى على مُطَّلع، فشخصية (ابن سبأ) يكتنفها الغموض في المنشأ والممات، في حين نجد شخصية الراسبي واضحة المعالم، فهو رأس الخوارج الذين خرجوا على علي رضي الله عنه، وهو المقتول في وقعة النهروان سنة (38 أو 39) للهجرة[1].

أما نسب ابن سبأ (لأمه) فهو من أم حبشية لم يعرف اسمها ولكنه اشتهر بلقبها فكثيراً ما يطلق عليه (ابن السوداء)[2] إلا أنه كما وقع الخلط والإشكال في نسبة ابن سبأ لأبيه، وقع الخلط أيضاً في نسبة ابن سبأ لأمه، ومن ذلك ما أورده كامل الشيبي في كتابه "الصلة بين التصوف والتشيع"[3] من محاولات للإيهام بأن ابن السوداء شخصية رمزت لعمار بن ياسر، إلا أن أدلته التي استدل بها أدلة غير صحيحة وباطلة.

فقوله: إن ابن سبأ يعرف بابن السوداء، وكذلك عماراً يكنى بابن السوداء، فالإتفاق في الكنية ـ إن صحت هذه الكنية لعمار ـ لا يدل على أنهما شخص واحد، ولو رجع الشيبي إلى كتب التراجم، لوجد كثيرين متشابهين في الكنى والأسماء، مما جعل بعض المؤرخين يؤلفون في المتشابه من الأسماء والكنى[4].

وقوله: إن عماراً كان يمانياً فكل يماني يصح أن يقال له ابن سبأ: فهذا غير صحيح فليست سبأ الإ جزءاً من بلاد اليمن الواسعة، قال ياقوت: "سبأ أرض باليمن مدينتها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام[5]، فلا يجوز أن ينسب كل يمني إلى سبأ، والعكس صحيح.

أما قوله: إن عماراً كان شديد الحب لعلي، ويدعوله ويحرض الناس على بيعته، فهذا لا يختص بعمار وحده، فكل الصحابة كان يحبون علياً رضي الله عنه، وكثير منهم غالوا في محبته، إلا أن هناك فرقاً بين حب عمار لعلي

---

[1] انظر: العودة، سليمان بن حمد، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، دار طيبة، الرياض، ط5، 2006م، ص 41.
[2] المرجع نفسه، ص 42.
[3] انظر: الشيبي، كامل مصطفى، الصلـة بين التصوف والتشيـع، دار المعـارف، القاهرة، ط2، 1969م، ص 42 – 43.
[4] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/123).
[5] معجم البلدان (3/181).

رضي الله عنهما، وغلو ابن سبأ في علي رضي الله عنه فابن سبأ هو الذي قال لعلي: "أنت أنت" وهو الذي لم يصدق بموته عندما نعي إليه وهو بالمدائن، وهو الذي اعتقد رجعة علي بعد موته، فأين هذا من ذاك[1].

ثم إن المؤرخين الذين ذكروا أخبار ابن سبأ أثبتوا شخصية عمار بن ياسر على أنها شخصية مستقلة عن شخصية ابن سبأ.

فالطبري وهو من أقدم المصادر التي ذكرت أخبار ابن سبأ يذكر في ضمن قصة ابن سبأ وما قام به من مؤامرات في عهد عثمان، من بث للعقائد الفاسدة بين المسلمين، وتأليب الناس في الأمصار على الخليفة والأمراء، يذكر أنه لما وصلته أخبار ابن سبأ وما قام به من بث للفتن في الأمصار بعث إلى الأمصار من يستطلع أخبار الناس فبعث محمد بن مسلمة إلى الكوفة، وعماراً إلى مصر، وعبدالله بن عمر إلى الشام[2].

وبمثل ذلك قال ابن الأثير[3] وابن كثير[4] فهؤلاء هم كبار المؤرخين القدامى، يثبتون الشخصيتين: ابن سبأ الذي كان له نشاط في إفساد المسلمين، وتأليبهم على عثمان بن عفان رضي الله عنه، وشخصية عمار بن ياسر، مبعوث عثمان إلى مصر لاستطلاع أخبار ابن سبأ ومن استفسده من الناس.

ثم إن كتب الجرح والتعديل والرجال الموثقة عند الشيعة ترد هذا القول؛ ذلك أن كتبهم ذكرت ترجمة عمار بن ياسر في اصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه والرواة عنه، وتعده من الأركان الأربعة[5]، وذكرت ترجمة عبدالله بن سبأ ووصفته بأنه زنديق ملعون، كان يكذب أمير المؤمنين، فكيف نجمع بين هاتين الترجمتين؟[6].

نشأة ابن سبأ

---

[1] (?) انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/123).

[2] (?) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/340).

[3] (?) انظر: الكامل في التاريخ، (3/77).

[4] (?) انظر: ابن كثير، أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط2، 1974م، (7/167).

[5] (?) الأركان الأربعة عند الشيعة هم: عمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وسلمان الفارسي و(أبو ذر) جندب بن جنادة، انظر: النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992م، ص 17.

[6] (?) انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود، (1/123).

نشأ ابن سبا في بيئة يهودية في اليمن كما ترجح ذلك أغلب الروايات[1]، وكان لليهود وجود في اليمن بعدما نزحوا من فلسطين بعد أن غزاها الامبراطور (تيطس) ودمر أورشليم، على إثرها تفرق اليهود في الأمصار، ووجد بعضهم في اليمن بلداً آمناً فالتجأوا إليه، إلا أن الأحباش استولوا على اليمن سنة (525م)، وأدخلوا معهم النصرانية، وعلى إثر هذا امتزجت تعاليم (التوراة) بتعاليم (الإنجيل)، ونستطيع أن نفهم هذه الازدواجية في التأثير في الآراء التي نادى بها ابن سبأ وخاصة في عقيدة (الرجعة) و(الوصية) حينما قال: "لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ" (سورة القصص: 85). فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ... ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ..."[2].

ظهور ابن سبأ بين المسلمين:

يرد في تاريخ الطبري وابن الأثير في أحداث سنة (35 هـ). أن ابن سبأ كان يهودياً من أهل صنعاء، وأنه أسلم زمن عثمان، وأخذ ينتقل في بلدان المسلمين من قطر لآخر، محاولاً ضلالتهم، فابتدأ بالحجاز، ثم البصرة، فالكوفة ثم الشام فلم يقدر على شيء فيها فأتى مصر واستقر بها وطابت له أجواؤها[3].وأول ذكر لابن سبأ عند ابن كثير ورد في سنة (34 هـ) وفيه الحديث عن ابن سبأ، وأنه كان سببُ تآلب الأحزاب على عثمان[4].

إلا أن ظهور ابن سبأ كان قبل هذا التاريخ، ففي سنة (30 هـ) يرد ابن السوداء الشام، ويلتقي بأبي ذر ويهيجه على معاوية[5]. إلا أنه لم يقدر على شيء ثم ينتقل إلى مصر ويستقر بها، وأقرب توقيت لظهور ابن سبأ في مصر سنة 34 هـ[6].

وفي مصر اختار ابن سبأ النهج الذي يساعده على الظهور واختار العصبة التي ينزل عليها حتى يأمن العثور عليه، واعتمد في ذلك على بعض

---

[1] انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 45.
[2] انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/340).
[3] المرجع نفسه، (4/340).
[4] انظر: البداية والنهاية، (7/167).
[5] انظر: الطبري، (4/283)، وابن الأثير (3/114).
[6] انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 52.

أبناء وجهاء القبائل اليمنية النازلة بمصر[1]. فتظاهر بالعلم والتقوى حتى افتتن الناس به، وبعد رسوخه فيهم بدأ يروج مذهبه ومسلكه.

مناقشة فكرة خيالية وجود "عبدالله بن سبأ":

لقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى التشكيك في "عبدالله بن سبأ" وأنه شخصية وهمية، دون الاستناد إلى دليل علمي، أو الإعتماد في ذلك على المصادر المتقدمة، بل هو مجرد استنتاج يقوم على آراء وتخمينات تختلف بواعثها حسب ميول واتجاهات متبنيها[2]. وهؤلاء الشكاك والمنكرون لشخصية ابن سبأ هم طائفة من المستشرقين وفئة من الباحثين العرب، وغالبية الشيعة المعاصرين.

فممن أنكره من المستشرقين: "المستشرق الألماني (إسرائيل فريدلندر)[3] والمستشرق الإيطالي (كايتاني)[4] والمستشرق الانجليزي (برنارد لويس)[5] وكان هدفهم من ذلك التشكيك أو الإنكار هو ادعاء أن الفتن إنما هي من عمل الصحابة أنفسهم، وأن نسبتها إلى ابن سبأ أو غيره هو نوع من الدفاع عن الصحابة لجأ إليه الإخباريون والمؤرخون المسلمون ليعلقوا أخطاء هؤلاء الصحابة على عناصر أخرى[6]. ولذلك قال أحدهم وهو (فريد لندر): "بأن ابن سبأ ليس إلا شيء في نفس سيف[7] أراد أن يبعد به

---

[1] (?) المرجع نفسه، ص 52.

[2] (?) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، ص 213.

[3] (?) مستشرق ألماني اهتم بدراسة الفرق والأديان، ومن آثاره: حسن الطالع في الإسلام، واليهود في الجزيرة العربية، ومذاهب الشيعة، انظر: العقيقي، نجيب، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، 1964م، (3/995).

[4] (?) ولد في روما وتخرج في جامعاتها، تعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية، ويعتبر بمؤلفاته أكبر مستشرق في التاريخ العربي، من آثاره: نمو الشخصية الإسلامية، وحوليات الإسلام. انظر: العقيقي، المستشرقون، (1/372).

[5] (?) ولد في لندن عام (1916م)، مستشرق بريطاني الأصل، يهودي الديانة، تخرج من جامعة لندن عام (1936م)، وعمل في جامعة لندن مدرساً في قسم التاريخ (معهد الدراسات الشرقية الإفريقية) من آثاره: العرب في التاريخ، وأزمة الإسلام.

[6] (?) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 234.

[7] (?) سيف بن عمر التميمي: أحد رواة الحديث ذكر له الطبري روايات كثيرة في تاريخه، إلا أن أكثر علماء الحديث على تضعيف مروياته، أما في التاريخ فالأمر يختلف، قال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال (2/255) "كان إخبارياً عارفاً" وقال عنه ابن حجر في "تقريب التهذيب" (1/344): "عمدة في التاريخ".

شبح الفتنة عن الصحابة وأنها إنما أتت من يهودي تستر بالإسلام"[1] والقصد من ذلك الإساءة إلى الإسلام وأهله، وإلقاء في روع الناس أن الإسلام إذا عجز عن تقويم أخلاق الصحابة وإصلاح جماعتهم بعد أن فارقهم الرسول صلى الله عليه وسلم بمدة وجيزة فهو أعجز أن يكون منهجاً للإصلاح في مثل هذه العصور[2].

وانساق بعض الباحثين العرب متأثرين بمنهج الاستشراق مثل طه حسين الذي يقول في كتابه (الفتنة الكبرى): "أراد خصوم الشيعة أن يدخلوا في أصول هذا المذهب عنصراً يهودياً إمعاناً في الكيد لهم والنيل منهم"[3].

بل ويزيد بالتشكيك في إنكاره لابن سبأ ويتساءل: "أكان لابن سبأ أن يجد مجالاً لبث أفكاره بين من هم أكثر منه علماً ودراية بأحكام الإسلام؟"[4].

إلا أن الأستاذ الدكتور محمد محزون يرد عليه في كتابه تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة فيقول: "والزعم بأن أهل السنة اختلقوا هذه القصة باطل، لأن مصادر الشيعة هي الأخرى أثبتتها (كما سيأتي)، فالشيعة متفقون مع أهل السنة على أن عبدالله بن سبأ هو الذي أجج نيران الفتنة على عثمان رضي الله عنه، وهو الذي أظهر العداء لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أظهر الغلو في علي رضي الله عنه وقال بالنص على إمامته، إلى غير ذلك من معتقداته الباطلة ... وأما اعتراضه الثاني وهو إكباره للصحابة بأن يستطيع مثل ابن سبأ أن يفعل ما فعل، فليس هذا إكباراً وإنما هو رغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة ضد عثمان، فهو يعلم ـ يقصد طه حسين ـ أن ابن سبأ بث أفكاره بين دهماء الناس وعامتهم وليس بين الصحابة، وهؤلاء الدهماء كان لهم دور مؤسف في قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وفي معركة الجمل، وما اعقبهما من نكبات ومصائب"[5].

---

[1] انظر: فريدلندر: المجلة الأشورية، المانيا سنة 1909م، ص 315. انظر: العودة، عبدالله بن سبأ، ص 65.

[2] انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 234.

[3] طه حسين، الفتنة الكبرى (علي وبنوه)، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1978، ص 90.

[4] طه حسين، الفتنة الكبرى (عثمان)، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1976، ص 132 – 134.

[5] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 235.

ومن الكتاب المحدثين من أهل السنة من حجبه الغموض الذي أثاره غيرهم حول شخصية ابن سبأ فلازموا الإنكار مثل عبد العزيز الهلابي[1] ومنهم من شك في أمره مثل الدكتور على النشار[2] والدكتور محمد عمارة[3].

وأما المنكرون وجود ابن سبأ من الشيعة فهم أغلب المعاصرين، فهو عند بعضهم أقرب إلى الوهم منه إلى الوجود أمثال: كامل مصطفى الشيبي[4]، وعند البعض الاخر أقرب إلى الخيال والأسطورة منه إلى الواقع أمثال: عبدالله الفياض[5] ومرتضى العسكري[6].

ومن أدلة المنكرين لوجود ابن سبأ قولهم: إن أخبار ابن سبأ إنما انتشرت بين الناس عن طريق الطبري، والطبري أخذها عن سيف بن عمر التميمي، فسيف المصدر الوحيد لأخبار ابن سبأ، وسيف بن عمر كذاب ضعفه علماء الجرح والتعديل.

ودليلهم هذا يتكون من مقدمتين؛ الأولى[7]: أن الطبري هو المصدر الذي أخذ عنه الناس أخبار ابن سبأ، وقد أخذ الطبري عن سيف بن عمر الذي هو المصدر الوحيد لأخبار ابن سبأ.

والرد على ذلك: أن هذه المقدمة باطلة بدليل أن الطبري لم ينفرد بروايات سيف بن عمر عن ابن سبأ بل لروايات سيف طرق أخرى غير طريق الطبري وردت عند ابن عساكر والمالقي والذهبي ذكرها جميعاً عبدالله الجميلي في كتابه "بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود"[8].

---

[1] انظر: الهلابي، عبد العزيز، عبدالله بن سبأ، حوليات كلية الآداب (الحولية الثامنة) جامعة الكويت، 1987م، ص 73.

[2] انظر: النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، (2/28).

[3] انظر: عمارة، محمد، الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م، ص 155.

[4] انظر: الشيبي، الصلة بين التصوف والتشيع، ص 41 – 43.

[5] انظر: الفياض، عبدالله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، منشورات مؤسسة الأعملي، بيروت، 1975، ص 95.

[6] انظر: العسكري، مرتضى، عبدالله بن سبأ واساطير أخرى، دار الغدير، بيروت، 1972م، (1/148).

[7] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/116).

[8] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/117 – 119).

وأما المقدمة الثانية وهي: أن سيفاً ضعيف، وقد ضعفه علماء الجرح والتعديل، فنقول: إن الذي ذكره أكثر علماء الجرح والتعديل أن سيفاً ضعيف في الحديث، مقبول الرواية في التاريخ، بل إنه عمدة في التاريخ كما وصفه ابن حجر فقال: "ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ"[1]. ولهذا نقل العلماء من محدثين وغيرهم روايات سيف بن عمر عن ابن سبأ واعتمدوها في كتبهم، والإمام الذهبي يجعل كتاب (الفتوح) لسيف بن عمر مصدراً من مصادره في كتابه (تاريخ الإسلام) فيقول: "وقد طالعت على هذا التأليف من الكتب مصنفات كثيرة ومنه دلائل النبوة للبيهقي وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم لابن اسحاق ... والفتوح لسيف بن عمر"[2].

ومن أدلة المنكرين لوجود ابن سبأ قولهم: إن إعراض المؤرخين عن ذكر ابن سبا في حرب صفين دليل على عدم وجوده، فنقول: إن هذا ليس فيه دلالة على عدم وجود ابن سبأ، فالمؤرخون لم يلتزموا بذكر كل تفاصيل ما جرى من الأحداث والوقائع التي ذكروها في كتبهم، هذا على افتراض مشاركة ابن سبا في حرب صفين، وعلى افتراض عدم مشاركته فيها فهل يعد ذلك دليلاً على عدم وجوده فيعارض به ما أثبته المؤرخون من وجود ابن سبأ، وما كان له من دور فعال في إثارة الفتنة؟ وأن هذا الدليل لا يقوى على معارضة ما أثبته المؤرخون والمحققون من سنة وشيعة وتواتر ذكره في كتبهم من وجود ابن سبأ[3]. بل قد أثبت الطبري مشاركة ابن سبأ في معركة الجمل وابداء الرأي في إثارة الفتنة وتهييج الناس بعضهم على بعض[4].

وأما زعمهم أنه شخصية وهمية انتحلها أعداء الشيعة للطعن في مذهبهم بنسبته إلى رجل يهودي فيقال لهم: إن هذه دعوى لا تقوم عليها حجة، فكما أنكم ادعيتم هذا فلغيركم أن يدعي ما يشاء ولكن العبرة بالحجة والدليل، وشخصية ابن سبأ شخصية حقيقية اثبتها المؤرخون والمحققون واصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب عند السنة

---

[1] العسقلاني، ابن حجر، تقريب التهذيب، دار الرشيد، حلب، ط1، 1986م، ص 262.
[2] الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، مكتبة القدس، القاهرة، 1948م، (1/14).
[3] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/124).
[4] انظر: تاريخ الأمم والملوك، (5/494).

والشيعة قديماً، ولا زال أهل السنة والمنصفون من شيعة اليوم وطائفة كبيرة من المستشرقين يثبتون وجودها. وأما إنكار بعض مؤرخي الشيعة المحدثين لوجود ابن سبأ فلعله يرجع إلى عقيدته التي بثها وتسربت إلى عقائدهم، وهي عقيدة تتنافى مع أصول الإسلام، وتضع القوم موضع الاتهام والشبهة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لما للعداء التاريخي في نفوسهم نحو الصحابة رغبة لإظهارهم بأنهم هم الذين أثاروا الفتنة بينهم[1].

يقول الدكتور محمد محزون: "ومن طعن من الشيعة في وجود شخصية ابن سبأ فقد طعن بالتالي في كتبهم التي نقلت لعنات الأئمة المعصومين عندهم في هذا اليهودي الماكر، وكيف يتصور أن تخرج اللعنات من المعصوم على مجهول! مع أنه لا يجوز في معتقد الشيعة تكذيب المعصوم!!!"[2].

والآن سأورد بعض من أثبت وجود ابن سبأ من السنة والشيعة من الأقدمين والمعاصرين، وكذلك من أثبتها من المستشرقين لإثبات حقيقة شخصية ابن سبأ واشتهارها بين العلماء والمحققين قديماً وحديثاً.

أولاً: المثبتون وجود ابن سبأ من أهل السنة:

ابـن حبيب البغدادي (ت 245 هـ) ذكر ابن سبأ وعده من أبناء الحبشيات[3]، والطبري (ت 310 هـ) ذكر قصة ابن سبأ مطولة وإثارته للفتن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه[4].

وأكد ابن عبد ربه المتوفى عام (328 هـ) أن ابن سبأ وطائفته السبئية قد سلكوا مسلك اللغو في علي حينما قالوا: هو الله خالقنا، كما غلت النصارى في المسيح بن مريم عليه السلام[5]. ويذكر أبو الحسن الأشعري المتوفى عام (330 هـ) ابن سبأ وطائفته من ضمن أصناف الغلاة،

---

[1] (?) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 235.
[2] (?) المصدر نفسه، ص 235.
[3] (?) البغدادي، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت 245 هـ)، المحبر، المكتب التجاري، بيروت.
[4] (?) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك (4/340 – 365، 398، 493، 505).
[5] (?) انظر: ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، (2/245).

إذ يزعمون أن علياً لم يمت، وأنه سيرجع إلى الدنيا فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[1].

وابن حبان المتوفى (354 هـ) ذكر ابن سبأ في موضعين من كتاب المجروحين فقال: "وكان الكلبي ـ محمد بن السائب الإخباري ـ سبئياً من أصحاب عبدالله بن سبأ"[2] وفي ترجمته لجابر بن يزيد الجعفي قال: "كان سبئياً من أصحاب عبدالله بن سبأ وكان يقول: إن علياً عليه السلام يرجع إلى الدنيا"[3].

إلا أن علماء الجرح والتعديل لا يفيضون في ذكر ابن سبأ في كتبهم، لأنه لا رواية له في الحديث النبوي، وهي تركز على من روى الحديث[4].

ومطهر بن طاهر المقدسي المتوفى عام (355 هـ) ذكر السبئية فقال: "يقال لهم الطيارة يزعمون أنهم لا يموتون، وأن موتهم طيران في الغلس، وأن علياً لم يمت وأنه في السحاب وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا غضب علي ... وقال عبدالله بن سبأ للذي جاء ينعى علياً: "لو جئتنا بدماغه في صرة لعلمنا أنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه"[5].

وتحدث الملطي المتوفى عام (355 هـ) عن السبئية فقال: "وهم أصحاب عبدالله بن سبأ قالوا لعلي رضي الله عنه: أنت أنت. قال: ومن أنا؟ قالوا الخالق البارئ"[6].

وذكر البغدادي المتوفى عام (429 هـ) أن فرقة السبئية أظهروا بدعتهم في زمان علي رضي الله عنه، وأحرق قوماً منهم ونفى ابن سبأ إلى سباط المدائن حينما بلغه غلوة فيه[7].

ونقل ابن حزم الأندلسي المتوفى عام (456 هـ) في معرض حديثه عن مقالات الشيعة فقال: "وقالت السبئية أصحاب عبدالله بن سبا الحميري

---

[1] (?) انظر: الأشعري، مقالات الإسلاميين، (1/86).
[2] (?) انظر: ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد التميمي، المجروحين من المحدثين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، بدون تاريخ (2/253).
[3] (?) المرجع نفسه (1/208).
[4] (?) انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 220.
[5] (?) المقدسي، مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الأسدي، طهران، ط1، 1962م، (5/129).
[6] (?) الملطي، محمد بن أحمد، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، مكتبة المثنى، بغداد، مكتبة المعارف بيروت، 1968م، ص 18.
[7] (?) انظر: البغدادي، الفرق بين الفرق، ص 206.

اليهودي، أن علي بن أبي طالب حي، وأنه في السحاب، وقال: قال عبدالله بن سبأ إذ بلغه قتل علي رضي الله عنه: لو أتيتمونا بدماغه في سبعين صرة ما صدقنا موته ...."[1].

وتحدث الاسفراييني المتوفى عام (471 هـ) عن السبئية وذكر أنهم أتباع ابن سبأ الذي قال بنبوة علي في أول أمرة، ثم دعا إلى ألوهيته، ودعا الخلق إلى ذلك فأجابته جماعة إلى ذلك في وقت علي[2].

وذكر الشهرستاني المتوفى (548 هـ) ابن سبأ فقال: إن ابن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي[3].

كما أن كتب الأنساب تؤكد نسبة "السبئية إلى عبدالله بن سبأ، منها كتاب "الأنساب" للسمعاني المتوفى عام (568 هـ)[4].

وعرف ابن عساكر المتوفى عام (571) ابن سبأ بقوله: "عبدالله بن سبأ الذي تنسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من اليمن، كان يهودياً وأظهر الإسلام"[5].

ويؤكد فخر الدين الرازي المتوفى عام (606 هـ) خبر إحراق علي لطائفة من السبئية[6].

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى عام (728 هـ) أن أصل الرفض من المنافقين الزنادقة، وأن ابن سبأ هو أول من أظهر الغلو في علي بدعوى الإمامة والنص عليه، وادعى العصمة له[7].

---

[1] ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (2/298).

[2] انظر: الإسفراييني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرقة الهالكين، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مكتبة المثنى، بغداد، 1955م، ص 108.

[3] انظر: الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط7، 1997م (1/204).

[4] انظر: السمعاني، عبد الكريم محمد بن منصور، الأنساب، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار محمد أمين دمج، بيروت: 1980م، (7/24).

[5] ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن، تاريخ دمشق، تحقيق سكينة الشهابي، نشر المجلس العلمي، دمشق، 1984م، (9/328).

[6] انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1938م، ص 75.

[7] انظر: ابن تيمية،تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوي، دار الرسالة، بيروت، 1978م (4/435).

وترجم الذهبي المتوفى عام (748 هـ) لعبدالله بن سبأ فقال: "من غلاة الشيعة ضال مضل"[1].

وجاء في الفِرَق للكرماني المتوفى عام (786 هـ) أن علياً رضي الله عنه لما قتل زعم عبدالله ابن سبأ أنه لم يمت، وأن فيه الجزء الإلهي[2].

وابن كثير المتوفى عام (774 هـ) ذكر ابن سبأ ودوره في تأليب الناس على عثمان رضي الله عنه فقال: "وذكر سيف بن عمر أن سبب تألب الأحزاب على عثمان أن رجلاً يقال له عبدالله بن سبأ كان يهودياً فأظهر الإسلام ..."[3].

ويعرف الجرجاني المتوفى عام (816 هـ) عبدالله بن سبأ بأنه رأس الطائفة السبئية ... وأن أصحابه عندما يسمعون الرعد يقولون: عليك السلام يا أمير المؤمنين[4].

ونقل ابن حجر المتوفى عام (852 هـ) روايات وأخباراً عن ابن سبأ غير روايات سيف بن عمر، ثم قال: "وأخبار عبدالله بن سبا شهيرة في التواريخ، وليست رواية ولله الحمد، وله أتباع يقال لهم السبئية معتقدون إلهية علي بن أبي طالب، وقد أحرقهم علي بالنار في خلافته"[5].

وذكر السفاريني المتوفى عام (1188 هـ) ضمن فرق الشيعة فرقة السبئية وقال: "وهم أتباع عبدالله بن سبأ الذي قال لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه، أنت الإله حقاً، فأحرق من أصحاب هذه المقالة من قدرعليه منهم فخدَّ لهم أخاديد وأحرقهم بالنار"[6].

وقد أثبت وجود ابن سبأ كذلك المعاصرون من العلماء والمحققين ومنهم على سبيل المثال: خير الدين الزركلي: فقد ترجم لابن سبأ في

---

[1] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، المغني في الضعفاء، تحقيق نور الدين عمر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1971م، (1/339).

[2] انظر: الكرماني، محمد بن يوسف بن علي، الفرق الإسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف للمؤلف). تحقيق سليمة عبد الرسول، مطبعة الرشاد، بغداد، 1973م، ص 34.

[3] ابن كثير، البداية والنهاية (7/167).

[4] انظر: الجرجاني، التعريفات، ص 120.

[5] ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي، لسان الميزان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1912م (3/290).

[6] السفاريني، محمد بن أحمد، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية، المكتب الإسلامي، دمشق، ط2، 1985م (1/80).

(الأعلام) وقال: "عبدالله بن سبأ رأس الطائفة السبئية،وكانت تقول بألوهية علي، أصله من اليمن"[1].

والدكتور عبد الرحمن بدوي ناقش قضية عبدالله بن سبأ في كتابه (مذاهب الإسلامين) وسرد كثيراً مما ذكره اصحاب الفرق والمقالات من العقائد التي أحدثها ابن سبأ[2].

وأحمد أمين يقول في كتابه فجر الإسلام: "يذهب بعض الباحثين إلى أن عبدالله بن سبأ رجل خرافي ليس له وجود، ولكنا لم نر لهم من الأدلة ما يثبت مدعاهم"[3].

والدكتور سعدي الهاشمي كتب بحثاً في الرد على من أنكر وجود ابن سبأ هو: "ابن سبأ حقيقة لا خيال"[4].

والدكتور سليمان بن حمد العودة في كتابه "عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام" استعرض ما كتبه العلماء والمحققون من السنة والشيعة، قديماً وحديثاً عن ابن سبأ واستعرض كتابات المستشرقين عنه[5].

والأستاذ الدكتور محمد محزون الذي أفرد مبحثاً كاملاً عن حقيقة السبئية وانتهى به ذلك إلى أن قال: "لقد اتفق المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب الذين تعرضوا للسبئية على وجود شخصية عبدالله بن سبأ الذي ظهر في كتب أهل السنة، كما ظهر في كتب الشيعة شخصية تاريخية حقيقية"[6].

ثانياً: ابن سبأ عند الشيعة:

لا يختلف الحال في إثبات وجود ابن سبأ عند كثير من علماء الشيعة المتقدمين، فقد أورد الناشئ الأكبر المتوفى عام (293هـ) عن ابن سبأ

---

[1] الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986م، (4/88).

[2] انظر: بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الإسلاميين، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1973م، (2/19، 20، 36).

[3] أمين، أحمد، فجر الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط16، 1975م، ص 269.

[4] انظر: الهاشمي، سعدي، عبدالله بن سبأ حقيقة لا خيال، مقال كتبه في مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 1998م.

[5] انظر: العودة، عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، ص 53 – 110.

[6] تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة، ص 213.

وطائفته ما يلي: "وفرقة زعموا أن علياً رضي الله عنه حي لم يمت، وأنه لا يموت حتى يسوق العرب بعصاه، وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبدالله بن سبأ، وكان عبدالله بن سبأ رجلاً من أهل صنعاء يهودياً"[1].

وتحدث القمّي المتوفى عام (301 هـ) عن السبئية، وبين أن عبدالله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة، وتبرأ منهم، وادعى ان علياً أمره بذلك[2].

ويتحدث النوبختي المتوفى عام (310 هـ) عن أخبار ابن سبأ وما أحدثه من القول بفرض إمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول: "وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبدالله بن سبأ كان يهودياً فأسلم، ووالى علياً عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة، فقال في إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في علي عليه السلام بمثل ذلك"[3].

وروى الكشي المتوفى (340 هـ) خمس روايات بسندها إلى أئمتهم في البراءة من عبدالله بن سبأ، ولعنه وذمه، منها ما أورده بسنده إلى أبي جعفر ـ محمد الباقر ـ قوله: "إن عبدالله بن سبأ كان يدعي النبوة، ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله، تعالى عن ذلك علواً كبيراً"[4].

وذكر كبير محدثي الشيعة أبو جعفر الصدوق بن بابويه القمي المتوفى عام (381 هـ) موقف ابن سبأ وهو يعترض على علي رضي الله عنه عند رفع اليدين إلى السماء أثناء الدعاء[5].

وذكر ابن أبي الحديد المتوفى (656 هـ) أن أول من أظهر الغلو في زمن علي رضي الله عنه هو ابن سبأ فقال: "وأول من جهر بالغلو في أيامه

---

[1] (?) الناشئ الأكبر، أبو العباس عبدالله بن محمد الأنباري، مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات، تحقيق يوسف فان إس، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1971م، ص 22 – 23.

[2] (?) انظر: القمي، أبو خلف سعد بن عبدالله الأشعري، المقالات والفرق، تحقيق محمد جواد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطاني، طهران، 1963م، ص 20.

[3] (?) النوبختي، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، تحقيق عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، القاهرة، ط1، 1992م، ص 32.

[4] (?) انظر: الكشي،أبو عمرو بن عمر بن عبد العزيز، معرفة أخبار الرجال، تحقيق علي المحلاني، الطبعة الصفوية، بومباي، الهند، 1899م، ص 98.

[5] (?) القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تحقيق حسن الموسوي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط5، بدون تاريخ، (1/213).

عبدالله بن سبأ، قام إليه وهو يخطب فقال له: أنت أنت، وجعل يكررها، فقال له ويلك من أنا؟ فقال: أنت الله، فأمر بأخذه وأخذ قوماً كانوا معه على رأيه"[1].

وترجم "المامقاني" المتوفى عام (1315 هـ) في "تنقيح المقال" لابن سبأ وذكر أنه جاء ذكره في عدة مصادر شيعية متقدمة عليه[2].

وفي إثبات وجود ابن سبأ عند كثير من أعلام الشيعة يقول إحسان إلهي ظهير ـ وله إطلاع واسع على كتابات الشيعة ـ: "وقد أقر بوجوده من أعلام الشيعة المتأخرين المظفري في كتابه" تاريخ الشيعة، وكذلك كبير القوم السيد محسن الأمين في موسوعته وغيرهم الكثيرون الكثيرون"[3] ولعل إحسان إلهي ظهير عنى بمتأخري الشيعة متأخري قدامى الشيعة، إذ أن أغلب ما كتبه الشيعة المعاصرون عن ابن سبأ هو إنكار لوجوده، فهو عندهم أقرب إلى الوهم منه إلى الوجود، وأقرب إلى الخيال والأسطورة من الواقع، وهناك قلة منهم من أثبت وجوده أمثال (محمد علي المعلم) الذي يقول: "إن شخصية عبدالله بن سبأ حقيقة موجودة، كان لها دور بارز في التاريخ، وليست هي شخصية خيالية كما حاول البعض أن يثبت ذلك، فإن لدينا عدة من الروايات المعتبرة الواردة عن الأئمة عليهم السلام تدل على وجود شخصية بهذا الاسم"[4].

ثالثاً: المثبتون وجود ابن سبأ من المستشرقين:

وإذا كانت شخصية ابن سبأ حقيقة تاريخية لا لبس فيها في أغلب المصادر السنية والشيعية فهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال:

فان فلوتن[5] (1866 – 1903): الذي يرى أن فرقة السبئية تنتسب إلى عبدالله بن سبأ، فيقول: "وأما السبئية أنصار عبدالله بن سبأ الذي كان

---

[1] ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ، (2/99).

[2] المامقاني، عبدالله بن محمد، تنقيح المقال في أحوال الرجال،المطبعة المرتضوية، النجف، 1933م، (2/183).

[3] ظهير، إحسان إلهي، الشيعة والتشيع، إدارة ترجمان السنة، لاهور، 2005م، ص 58.

[4] المعلم، محمد علي، عبدالله بن سبأ، الحقيقة المجهولة، دار الهادي، بيروت، ط1، 1999م، ص 44.

[5] أحد الذين درسوا تاريخ الفتوح الإسلامية وكتب في الدولة الأموية والعباسية، من أهم آثاره الفتح العربي، وبعض العقائد في عصر الأمويين. انظر: العقيقي، المستشرقون (2/662).

يرى أحقية علي بالخلافة منذ أيام عثمان. فكانوا يعتقدون أن جزءاً إلهياً تجسد في علي ثم في خلفائه من بعده"[1].

ويوليوس فلهاوزن[2] (1918م): الذي تحدث عن السبئية وذكر أنهم ينسبون إلى ابن سبأ وأن عقائد الشيعة أقرب إلى اليهود منها إلى الإيرانيين، يقول: "ومنشأ السبئية يرجع إلى زمان علي والحسين، وتنسب إلى عبدالله بن سبأ، وكما يتضح من اسمه الغريب فإنه كان أيضاً يمنياً، والواقع أنه من العاصمة صنعاء، ويقال أيضاً إنه كان يهودياً، وهذا يقود إلى القول بأصل يهودي لفرقة السبئية، والمسلمون يطلقون (اليهودي) على ما ليس في الواقع، بيد أنه يلوح أن مذهب الشيعة الذي ينسب إلى عبدالله بن سبأ أنه مؤسسه، إنما يرجع إلى اليهود أقرب من أن يرجع إلى الإيرانيين"[3].

وجولد تسيهر[4] (1921م): أثبت وجود ابن سبأ وذكر الإغراق في تأليه علي والغلو فيه ونص كلامه: "إن الفكرة المهدية التي أدت إلى نظرية الإمامة، والتي تجلت معالمها في الإعتقاد بالرجعة، ينبغي أن نرجعها كلها كما راينا إلى المؤثرات اليهودية والمسيحية، كما أن الإغراق في تأليه علي، الذي صاغه في مبدأ الأمر عبدالله بن سبأ، حدث في بيئة سامية عذراء، لم تكن قد تسربت إليها بعد الأفكار الآرية"[5].

والخلاصة من القول: أن عبدالله بن سبأ شخصية تاريخية واقعية، تؤكدها الدراسة الموضوعية، ولا يعذر بإنكارها أو التشكيك فيها أحد، وإنما أردت التأكيد على ذلك قبل الدخول إلى بيان الأثر الذي أحدثه ابن سبأ والدور الذي لعبه في الفتنة وشق صف المسلمين، وكونه يمثل الشخصية

---

[1] فان، فولتن، السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمة حسن إبراهيم حسن، ومحمد زكي إبراهيم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1965م، ص 80.

[2] مستشرق الماني، درس اللغات الشرقية من أهم أثاره تاريخ اليهود والتمهيد للتاريخ الإسلامي، وله أيضاً: الخوارج والشيعة، وتاريخ الدولة العربية. انظر: العقيقي، المستشرقون (2/724).

[3] يوليوس، فلهاوزن، الخوارج والشيعة، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2، 1976م، ص 170.

[4] مستشرق مجري انتقل إلى سوريا ومنها إلى مصر والتقى بمحمد عبده من آثاره التصوف الإسلامي، وصنف الأدب العربي في ضوء التاريخ السياسي والعمراني للعرب والإسلام، العقيقي، المستشرقون (2/525).

[5] جولد تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1946م، ص 205.

الاستمرارية لبولس اليهودي، بعد القضاء على الموحدين النصارى إلى ظهور الإسلام ديانة التوحيد.

المبحث الثاني

الوضع السياسي زمن عثمان بن عفان ودور ابن سبأ فيه وأثره في مختلف العصور الإسلامية اللاحقة حتى الوقت الحاضر

قبل الحديث عن الدور الفعال الذي لعبه عبدالله بن سبأ في تحريك الفتنة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأثر ذلك، يحسن أن أذكر بعض مواقف اليهود العدائية للمسلمين منذ ظهور الإسلام. قال تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ" (المائدة: 82)، ومن مظاهر هذه العداوة دورهم في إذكاء النفاق في المدينة المنورة "وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ" (البقرة: 14). ومنها تشكيك المسلمين وفتنتهم عن دينهم "وَقَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (آل عمران: 72)، يضاف إلى ذلك نقضهم المواثيق والعهود برغم المعاهدة التي عقدها معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والسخرية بالمسلمين، والطعن في الإسلام، إلى غير ذلك من المكائد والمؤامرات التي حدت بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى إجلائهم عن المدينة[1].

وبعد ذلك خفت صوتهم في عهدي أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عندما قويت شوكة الإسلام، بل إن عمر أخرجهم من جزيرة العرب تنفيذاً لأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي السنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضي الله عنه وقد بدت في الأفق سمات الاضطراب في المجتمع الإسلامي، أخذ بعض اليهود يتحينون فرصة الظهور مستغلين عوامل الفتنة ومتظاهرين بالإسلام.

وأهم هؤلاء عبدالله بن سبأ، الذي اشتهر أكثر من غيره، ورسم خططاً وأدلى بآراء هدامة ذكرها معظم المؤرخين القدامى في كتبهم، وعلى رأسهم الإمام الطبري الذي اعتبره رأس الفتنة وأساس البلاء[2].

---

[1] انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 241. وانظر: مكائد يهودية، ص 37-84. وص 143-144.

[2] انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/340).

ولقد كانت أول بوادر (الفتنة) التي زرعها (عبدالله بن سبأ) في المسلمين، هي المطالبة بعزل أمير المؤمنين (عثمان بن عفان) رضي الله عنه، والطعن فيه وأنه أخذ الخلافة بغير حق، واستثار بعض من وقعوا تحت تأثيره إلى النهوض، وزين لهم الطعن على الولاة والخروج عليهم في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسناد الأمر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، نظراً إلى أنه – في زعمه – خاتم الأوصياء، فقد قال (ابن سبأ) لأتباعه: "إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهضوا في هذا الأمر فحركوه"[1]، فاستطاع أن يكوّن خلايا سرية في تلك الأمصار تجري بينهم وبينه مكاتبات، ويحيكون مؤامرات ويضعون الخطط للثورة والخروج على الخليفة[2].

وهكذا تفاقمت الفتنة وتجمعت عناصر المؤامرة، وبدأت عناصر من الأقاليم والأمصار كالكوفة ومصر والبصرة يبثون في الظاهر بعض الظلامات والشكاوى من الولاة إلى الخليفة، ويخططون في الخفاء للقضاء على الخلافة الإسلامية، وشعر كبار الصحابة بالخطر حينما توافدت جموع الدهماء إلى المدينة، فحاولوا تهدئة الثائرين، وطلبوا من الخليفة الاستماع إلى شكاياتهم والمظالم التي زعموها، وفعلاً وعد الخليفة بأن يرد الحق إلى نصابه وينصف المظلوم إن كانت لديه مظلمة، وأن يختار لإمارة المسلمين من يرضونه ويُرضي الله تعالى، وبهذا هدأت الأمور وتفرقت الجموع قافلة إلى الأمصار، ويذكر الأستاذ الدكتور محمد محزون استغلال ابن سبأ الأعراب في حملته هذه فيقول عنه: "ركز في حملته على الأعراب الذين وجد فيهم مادة ملائمة لتنفيذ خطته، فالقراء منهم استهواهم عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصحاب المطامع منهم هيج أنفسهم بالإشاعات المغرضة المفتراة على عثمان مثل: تحيزه لأقاربه وإغداق الأموال من بيت مال المسلمين عليهم، وأنه حمى الحمى لنفسه، إلى غير ذلك من التهم والمطاعن التي حرك بها نفوس الغوغاء ضد عثمان"[3].

---

[1] المرجع نفسه، (4/340-341)، انظر أيضا: العنصرية اليهودية، (2/539).

[2] انظر: الخطيب، محمد، الفرق الإسلامية، نشر جامعة القدس المفتوحة، عمان، 1996م، ص 17.

[3] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 244.

ولما عادت الجموع إلى الأمصار، لم تلبث أن عادت مرة أخرى، بعد أمر الكتاب الذي زُوِّر على لسان عثمان رضي الله عنه واتخذوه ذريعة ليستحلوا دمه ويحاصروه في داره إلى أن قتلوه رضي الله عنه[1]. فقد جاء في رواية أبي سعيد مولى أبي أسيد الأنصاري أن وفد أهل مصر عندما قفلوا راجعين إلى المدينة "فبينما هم في الطريق إذا راكب يتعرض لهم ثم يفارقهم ثم يرجع إليهم ثم يفارقهم ويسبقهم. قالوا له: مالك – إن لك لأمراً. ما شأنك – فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتشوه، فإذا هم بكتاب على لسان عثمان عليه خاتمه إلى عامله بمصر أن يصلبهم أو يقتلهم أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فأقبلوا حتى قدموا المدينة، فأتوا علياً، فقالوا: ألم تر إلى عدو الله أنه كتب فينا كذا وكذا، وأن الله قد أحل دمه، قم معنا إليه، قال علي: والله لا أقوم معكم، فقالوا: فلم كتبت إلينا – فقال: والله ما كتبت إليكم كتاباً قط. فنظر بعضهم إلى بعض ثم قال بعضهم لبعض: ألهذا تقاتلون، أو لهذا تغضبون – فانطلق علي فخرج من المدينة إلى قرية، فانطلقوا حتى دخلوا على عثمان فقالوا: كتبت فينا بكذا وكذا. فقال: إنهما اثنتان: أن يقيموا رجلين من المسلمين أو يميني بالله الذي لا إله إلا هو ما كتبت ولا أمليت ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرجل وينقش الخاتم على الخاتم، قالوا: قد أحل الله دمك ونقضت العهد والميثاق، وحصروه في القصر – الدار – رضي الله عنه"[2].

وهذه الرواية تكشف لنا قصة هذا الراكب، إذ أنه لم يكن رسولاً عادياً بل أخذ على عاتقه تنفيذ مهمته بسرية دون أن يعلم أمره أحد، فهذا هو شأن المرسلين بالأمور الخطيرة. غير أن هذا رغم خطورة المهمة التي يحملها كان يريد أن يكتشفه القوم، حيث كان يرافقهم تارة وينفصل عنهم تارة أخرى، وهو بهذا يريد أن يلفت النظر إليه، وأن يثير الشبهة وأن يمسك فيسأل عما معه، ويستوقف. وعندما سألوه عن حاله، لم يتردد بإخبارهم وإجابتهم أنه رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، وبهذا قد ألقى الشبهة على نفسه. وهو ما يريده لأن غايته أن يكتشف الوفد أمره ويعرف حاله ويصل إلى النتيجة التي أرادها مدبرو أمر الرسول والكتاب وهي نقض العهد

---

[1] انظر: المرجع نفسه، ص 246.
[2] الطبري، تاريخ الرسل، 4/354.

والميثاق وتأليب القوم على الخليفة، وإجبارهم على العودة وتنفيذ المؤامرة الخفية بالخليفة[1].

وعلاوة على ذلك هناك ما يؤكد تزوير هذا الكتاب، إذ ليس هو الكتاب الوحيد الذي يزور على لسان الصحابة، بل اتهم الوافدون علياً بأنه كتب إليهم أن يقدموا عليه المدينة، فأنكر ذلك عليهم وأقسم "والله ما كتبت إليكم كتاباً"[2]، ونسبوا إلى الصحابة كتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمد قد فسد وترك، والجهاد في المدينة خير من الرباط في الثغور البعيدة"[3].

وبناء على ما تقدم نجد أن أخبار الفتنة وصلتنا من طرق أخرى غير طريق سيف بن عمر التميمي وهذه الروايات بعمومها لا تخالف رواية سيف وإنما تؤكد صحتها، ولقد جاء في رواية سيف ما يؤكد أن مدبر مكيدة الكتاب المزور هو "ابن سبأ" فقال: "إن معهم ابن السوداء"[4]، ولذلك أخذ المؤرخون برواية سيف، لأنهم وجدوا فيها كشفاً لليد الخفية التي كانت وراء تنظيم المعارضة على عثمان، وتزوير الكتب وإشاعة الأخبار الكاذبة التي تسيء إلى الخليفة عثمان، فما تلك اليد الخفية التي كانت تخطط وراء الستار لتوقع الفرقة بين المسلمين، وتدبر مكيدة الكتاب المرسل إلى عامل عثمان على مصر، وتستغل الأمور لتقع الفتنة إلا ذاك اليهودي الذي يظهر من رواية سيف أنه هو وأتباعه هم الأيدي المحركة للفتنة، وهذه الرواية تسير مع الروايات الصحيحة ولا تصطدم بها، فالمنهج التاريخي يقبلها لأنها لا تخالف الأخبار الصحيحة التي أشارت إليهم ورسمت هيكلهم[5].

بعد ذلك مارست السبئية دورها في أحداث خلافة علي بن أبي طالب، ونشطت في إفساد ذات البين وتوسيع شقة الخلاف.

لقد أدى مقتل عثمان رضي الله عنه إلى فتح أبواب الفتنة على مصاريعها، ولم تجد البيعة لعلي رضي الله عنه في استقرار الأحوال، فقد

---

[1] انظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 246-247. وانظر: درادكة، صالح موسى، العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1992م، ص 407.

[2] الطبري، تاريخ الرسل، (4/355).

[3] المصدر نفسه، (4/336-337)، وانظر: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة، ص 247.

[4] الطبري، تاريخ الرسل، (4/349).

[5] انظر: تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة، ص 248.

طالب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه علياً قبل أن يبايعه بالخلافة أن يقتص من قتلة عثمان رضي الله عنه، ولكن عليا كان يقول: "أدخل فيما دخل فيه الناس، وأحاكمهم إلى أن أحكم فيهم بالحق"[1].

كما أن جماعة من الصحابة على رأسهم أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير رضي الله عنهم، خرجوا على علي رضي الله عنه واتجهوا إلى البصرة مغاضبين، واحتج هؤلاء جميعاً لموقفهم هذا بدم عثمان، وذهبوا إلى أنه لابد من القصاص من قتلته، ولم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً الخلافة، ولا دعوا إلى أحد منهم ليولوه الخلافة، وإنما أنكرت هي ومن معها على علي منعه من قتل قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم"[2].

وحاول علي أن يرد هؤلاء إلى الصواب، مبيناً أنه لم يشترك في قتل عثمان رضي الله عنه، ولم يظاهر عليه، ودعا على قاتليه باللعنة، وبذل أمير المؤمنين علي جهده في إقناع أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير، حتى اقتنعوا بالمصالحة وراجعوا موقفهم، وقد سُر أمير المؤمنين علي لمراجعتهم موقفهم وموافقتهم على الصلح[3].

فبات الناس على نية الصلح، وعاد كل إلى عسكره، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، لا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وبات الذين أثاروا الفتنة (عبدالله ابن سبأ وأعوانه) يخططون خطوط المؤامرة، ويحكمون نسيجها. قال الطبري: "فباتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذين أشرفوا عليه والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشر ليلة باتوها قط قد أشرفوا على الهلكة (يقصد ابن سبأ وأعوانه)، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها"[4].

وقال ابن كثير: "وبات الناس بخير ليلة، وبات قتلة عثمان بشر ليلة"[5].

---

[1] ابن حجر، فتح الباري، (12/284).
[2] المصدر نفسه، (13/56).
[3] انظر: الخطيب، الفرق الإسلامية، ص 19.
[4] الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/506).
[5] ابن كثير، البداية والنهاية، (7/240).

فكانت ليلة حاسمة لم تنم فيها عيون اليهودية البغضاء، وعيون أبنائها الحاقدين على الإسلام وعلى الملة الإسلامية، وعيون المخدوعين بهم.

وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، وقال قائلهم: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم – وذلك حين طلب من الناس أن يرتحلوا في الغد ولا يرتحل معه أحد أعان على عثمان بشيء – ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا مع علي فعلى دمائنا[1].

وتكلم ابن سبأ وهو المشير فيهم فقال: "يا قوم إن عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون"[2].

فاجتمعوا على هذا الرأي بإنشاب الحرب في السر، فغدوا في الغلس وعليهم ظلمة، وما يشعر بهم جيرانهم، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربيعيهم إلى ربيعيهم، ويمانيُّهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السيوف، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه الذين باغتوهم، وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر، فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يرأسها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، والميسرة يرأسها عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد وثبتا في القلب، فقالا: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: وما علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ويستحل الحرمة، وإنه لم يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقاتل أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع عليٌّ وأهل الكوفة الصوت، وقد وضع السبئية رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذلك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيّتونا فرددناهم، وقال علي لصاحب ميمنته: أنت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: أنت الميسرة ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا وأنهما لن يطاوعانا، والسبئية لا تفتر إنشابا[3].

---

[1] انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/493-504).
[2] المرجع نفسه، (5/494).
[3] انظر: الطبري، (5/507)، وابن الأثير، (3/124).

وأثناء تلك المعركة المؤسفة التي لم تكن برضا الطرفين من الصحابة، كان علي رضي الله عنه يتوجع على قتلى الطرفين ويقول لابنه الحسن: "يا بني ليت أباك مات قبل هذا اليوم بعشرين عاماً"[1].

وصلّى رضي الله عنه على قتلى الطرفين من أهل البصرة والكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء فكانوا مدنيين ومكيين، ودفن أطرافهم في قبر عظيم[2].

وكانت هناك مبالغات في عدد القتلى، وأنهم بلغوا عشرة آلاف نصفهم من أصحاب علي رضي الله عنه ونصفهم من أصحاب عائشة رضي الله عنها[3]. إلا أن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

1. قصر مدة القتال، حيث أخرج ابن أبي شيبة بإسناد صحيح، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه[4].
2. الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.
3. تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.
4. قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك "ثلاثة آلاف شهيد" ومعركة القادسية "ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد"، وهي التي استمرت عدة أيام، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم[5].
5. أضف إلى ذلك أن المبالغة في عدد القتلى يرضي رغبة أعداء الصحابة من السبئية وأتباعهم، في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة التي يجمعها حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] ابن كثير، البداية والنهاية، (7/241).
[2] انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/538).
[3] المرجع نفسه، (4/539).
[4] انظر: ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، (ت235هـ)، المصنف في الحديث والآثار، تحقيق: عبد الخالق الأفغاني، الدار السلفية، بومباي، 1979م، (7/546).
[5] انظر: الصلابي، علي محمد، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره، دار الإيمان، الإسكندرية، 2003م، ص 516.

وجدير بالإشارة أن أثر السبئية في موقعة الجمل وإشعال فتيل الحرب مما يكاد يجمع عليه المؤرخون والعلماء سواء أطلقوا عليهم إسم الغوغاء، أو المفسدين أو الأوباش أو أطلقوا عليهم صراحة السبئية.

ومن تلك النصوص:

يقول الإمام الطحاوي : "... فجرت فتنة الجمل على غير اختيار من علي ولا من طلحة والزبير، وإنما أثارها المفسدون بغير اختيار السابقين"[1].

ويقول الذهبي بأن الفريقين اصطلحا، وليس لعلي ولا لطلحة قصد في القتال ... فترامى أوباش الطائفتين بالنبل، وأكد ذلك قائلاً: "والتحم القتال من الغوغاء وخرج الأمر عن علي وطلحة والزبير"[2].

ويقول الأستاذ الدكتور محمد محزون "ما يمنع من وجود صلة مباشرة بين أولئك الغوغاء والسبئية، وإن لم تكن لهم أهداف كأهدافهم، حيث شكلوا أرضية استغلتها السبئية لإثارة الإضطرابات وإضرام نار الحرب، كما هو الحال بالنسبة للحركات الغوغائية التي تستغل عادة وتوجه من قبل فئة من المفسدين[3].

هكذا كانت أحوال السبئية وسعيهم بالفتنة والفساد أيام عثمان رضي الله عنه ومن بعده في أيام علي رضي الله عنه، بل لم يقف أثر السبئية عند هذا الحد، بل استمر دورهم في الإفساد بعد ذلك، فحينما فرغ علي رضي الله عنه من موقعة الجمل نظر في بيت مال البصرة، فإذا به ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه الوقعة، فأصاب كل رجل خمسمائة، وقال: لكم إن أظفركم الله بالشام مثلها إلى أعطياتكم، وخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي من وراء وراء[4]. ولكنهم لم يجرؤوا على الثورة عليه علناً، وإنما سكتوا وأضمروا الحقد وعملوا ضده سراً، ببث دعايتهم بين جماعته وأنصاره وإشاعة الفرقة بين حزبه[5].

ولم تر السبئية البقاء في البصرة طويلا بعد انتهاء الحرب، فأعجلت علياً في المقام حيث ارتحلوا بغير إذنه، فأدرك علي غرضهم ومخالفتهم له، فارتحل في أثرهم ليقطع عليهم أمراً إن كانوا أرادوه[6].

---

[1] الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 321هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، مكتبة دار البيان، دمشق، 1981م، ص 456.

[2] الذهبي: دول الإسلام، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، 1944م، ص 68.

[3] تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة، ص 445.

[4] انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/541).

[5] انظر: تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة، ص 446.

[6] المرجع نفسه، (4/543-544).

هذا في الجانب السياسي ودور ابن سبأ فيه، إلى جانب ذلك فقد أتى ابن سبأ بآراء ومعتقدات ادعاها واخترعها من قبل نفسه وافتعلها من يهوديته التي بنى عليها كثيراً من مبادئه الفاسدة، وجعل يروجها لغاية ينشدها وغرض يستهدفه، لم يجرؤ أن يعزو دعواه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنّى له ذلك وجمهور الصحابة له بالمرصاد يردون كذبه ويوقفونه عند حده. وخلاصة ما جاء به أن أتى بمقدمات صادقة وبنى عليها مبادئ فاسدة راجت لدى السذج والغلاة وأصحاب الأهواء من الناس، وسلك في ذلك مسالك ملتوية لبَّس فيها على من حوله حتى اجتمعوا عليه، فطرق باب القرآن يتأوله على زعمه الفاسد حيث ادعى بأن محمداً يرجع، وقد قال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ" (القصص: 85)، فمحمد أحق بالرجوع من عيسى[1].

كما سلك طريق القياس الفاسد في ادعاء إثبات الوصية لعلي رضي الله عنه بقوله: "إنه كان ألف نبي، ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء"[2]. إلى أن انتهى به المطاف إلى تأليه علي رضي الله عنه. إن كثيراً من المبادئ الغالية ليست إلا امتداداً لعقائد يهودية محرفة تبناها كثير من طوائف غلاة الشيعة، بل إن من جملة الآراء التي وضعتها السبئية ورسخ الحكم عليها بالغلو أنها زعمت أن علياً رضي الله عنه والأئمة من بعده آلهة عن طريق التناسخ[3].

وسأوضح هذه المعتقدات التي أظهرها ابن سبأ في المطلب القادم الذي يظهر من خطط السبئية أنها كانت أكثر تنظيماً، إذ كانت بارعة في توجيه دعايتها ونشر أفكارها لامتلاكها ناصية الدعاية والتأثير بين الغوغاء والرعاع من الناس، مستغلة العصبية القبلية ومتمكنة من إثارة مكامن التذمر عند الأعراب والعبيد والموالي، ولم ينته شأن ابن سبأ بموته وإنما استمرت آثاره الهدامة بفعل ما جاء بعده متأثراً بأفكاره، ومتشيعاً بمعتقداته.

---

[1] (?) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، (4/340).

[2] (?) انظر: ظهير، إحسان إلهي، الشيعة والسنة، إدارة ترجمان السنة، باكستان، 2005م، ص23.

[3] (?) انظر: السامرائي، عبدالله سلوم، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، دار واسط للنشر، لندن، بغداد، ط3، 1988م، ص 87.

المبحث الثالث

عبدالله بن سبأ والسبئية

لم يبتعد ابن سبأ كثيراً – فيما دعا إليه – عن بولس، في قضايا تعتبر من القضايا الأساسية التي انطلقا منها وكانت معول هدم للأديان، وأولى القضايا وأهمها هي قضية (التأليه)، إلا أن العوامل التي توافرت لدى بولس لم تتوافر لدى ابن سبأ، إذ لم يستطع ابن سبأ أن يلعب هذا الدور مع النبي محمد صلى الله عليه وسلم لأن شخصه الإنساني مطروح في القرآن الكريم، فاستغل شخصية قريبة من الرسول صلى الله عليه وسلم هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال عبد القاهر البغدادي: "وقال المحققون من أهل السنة: إن ابن السوداء كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في علي وأولاده، لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام"[1].

وكانت بداية الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين ذكر ابن سبأ أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً، وأن عليا رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه آخر الأوصياء كما أن محمداً آخر الأنبياء[2]. ثم زعم أنه كان نبياً، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة، ورفع خبرهم إلى علي رضي الله عنه فأمر بإحراق قوم منهم، ثم خاف من إحراق الباقين منهم شماتة أهل الشام، وخاف اختلاف أصحابه عليه فنفى ابن سبأ إلى ساباط المدائن[3].

فلما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام وقال: "كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عيسى كذلك كذبت النواصب والخوارج في دعواها قتل علي، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبهوه بعيسى، كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علي، وعلي قد صعد إلى السماء، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه"[4].

---

[1] الفرق بين الفرق، ص 206.
[2] الملل والنحل (1/204).
[3] الفرق بين الفرق، ص 205.
[4] المرجع نفسه، ص 206.

ولم يكف ابن سبأ وأعوانه ما زعموه في علي رضي الله عنه بل قالوا: إن علياً في السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه، ومن سمع من هؤلاء صوت الرعد قال: "عليك السلام يا أمير المؤمنين"[1]. وقال ابن سبأ وهو بالمدائن للذي نعى علياً: "كذبت يا عدو الله. ولو جئتنا بدماغه في سبعين صرة، وأقمت على قتله سبعين عدلاً ما صدقناك، ولا يموت حتى ينزل من السماء، ويملك الأرض بحذافيرها"[2].

من خلال هذه الأقوال والأفكار التي طرحها ابن سبأ تبلورت لدى غلاة الشيعة شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه فغلوا فيه إلى أبعد مدى، وتجاوزوا به كل الحدود، حتى جعلوه في منزلة الإله، والرب المعبود، ونسبوا إليه نصوصاً تشهد على كفرهم وغلوهم فيه ومن ذلك زعمهم أن الله وعد بأن لا يعذب من والى علياً وإن كان عاصياً، ولا يرحم من عادى علياً وإن كان طائعاً.

روى الصدوق في أماليه أن جبريل هبط على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا محمد الله العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، ويقول محمد نبي رحمتي، وعلي مقيم حجتي، لا أعذب من والاه وإن عصاني ولا أرحم من عاداه وإن أطاعني"[3].

بل إنهم زعموا أن حكم علي ليس خاصاً ببني آدم، بل حتى الملائكة يتحاكمون إليه بزعمهم، فقد افترى شيخهم المفيد[4] على الصحابي عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "أتيت فاطمة صلوات الله عليها، فقلت لها: أين بعلك؟ فقالت: عرج به جبريل ـ عليه السلام ـ إلى السماء، فقلت: في ماذا؟ فقالت: إن نفراً من الملائكة تشاجروا في شيء، فسألوا حكماً من الآدميين فأوحى الله تعالى أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب"[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص 205.

[2] انظر: النوبختي والقمي، فرق الشيعة، ص 33، وانظر أيضاً: إحسان إلهي ظهير، الشيعة والتشيع، ص 52.

[3] القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالصدوق، أمالي الصدوق، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط5، ص 524.

[4] المفيد هو: محمد بن محمد بن النعمان (ت 413 هـ) في العراق، لقبه بالمفيد علي موسى الرماني النحوي لبروزه في الحجاج على خصومه من آثاره: الإرشاد إلى فضائل الأئمة الأمجاد وتصحيح الاعتقاد بصواب الانتقاد (أو شرح عقائد الصدوق).

[5] النعمان، محمد بن محمد الملقب "بالمفيد"، الاختصاص، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات: جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم، بدون تاريخ، ص 213.

ويتمادى هؤلاء في غلوهم في علي رضي الله عنه فيزعمون أن علياً يدخل الجنة من يشاء ويدخل النار من يشاء. جاء في كتاب (علل الشرائع) عن سماعة بن مهران قال: "إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل، فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب يدخل الجنة من يشاء وينادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق هذا علي بين أبي طالب يدخل النار من يشاء"[1].

إن هذه الروايات وغيرها الكثير في كتب غلاة الشيعة ليست إلا ثماراً لتلك العقيدة الفاسدة التي غرسها الضال المضل عبدالله بن سبأ في نفوس هذه الطائفة عندما ادعى الألوهية في علي رضي الله عنه بقصد ضلالتهم وصرفهم عن عبادة الله إلى عبادة المخلوقين.

ولم يقتصر هذا الغلو على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل تعداه إلى الأئمة، حيث رفعهم أتباعهم فوق البشر وأطلقوا عليهم من الصفات ما لم يثبت لأحد، بل هي مما اختص به رب العالمين دون سائر المخلوقين، ومن هذه الصفات التي يطلقونها على أئمتهم: ادعاؤهم أنهم يعلمون الغيب وأنهم لا يخفى عليهم شيء في السماوات ولا في الأرض وأنهم يعلمون ما كان وما سيكون إلى قيام الساعة.

جاء في كتاب "بحار الأنوار" عن الصادق عليه السلام أنه قال: "والله لقد أعطينا علم الأولين والآخرين فقال له رجل من أصحابه: جعلت فداك أعندكم علم الغيب؟ فقال له: ويحك إني لأعلم ما في أصلاب الرجال وأرحام النساء، ويحكم وسعوا صدوركم، ولتبصر أعينكم، ولتع قلوبكم، فنحن حجة الله تعالى في خلقه ولن يسع ذلك إلا صدر كل مؤمن قوي قوته كقوة جبال تهامة إلا بإذن الله، والله لو أردت أن أحصي لكم كل حصاة عليها لأخبرتكم، وما من يوم وليلة إلا والحصى تلد إيلاداً، كما يلد هذا الخلق، والله لتتباغضون بعدي حتى يأكل بعضكم بعضاً"[2].

---

[1] (?) القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف، 1966م، ص 164.

[2] (?) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط2، 1983م، (26/27، 28).

وبرروا معرفتهم للغيب بأن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغ بعض الأحكام وترك بعض الأحكام للإمام والأوصياء من بعده لينشروها في الوقت المناسب، ثم أولوا بعض الآيات لذلك، ومنها قوله تعالى "يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته" (المائدة: 67)، بأنها دالة على إمامة علي، ويؤولون الآية الكريمة "إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين" (الأعراف: 128)، بأن الأئمة هم الورثة المتقون وهم الشفعاء عند الله فالإيمان من معرفتهم والكفر في جهلهم فلا تضر مع معرفتهم معصية ولا تنفع مع جهلهم طاعة[1].

ومن ذلك أيضاً ما نسبوه إلى أئمتهم من العصمة[2] فما دام الإمام مفوضاً ومعيناً من الله لإقامة دينه ليكون مرجع الخلق في أمور دينهم ودنياهم فلا بد لتحقيق هذه الوظيفة أن يكون معصوماً عن الخطأ حتى لا يضل بخطئه الناس.

وقد نقل إجماعهم على عصمة الأئمة شيخهم المفيد الذي يقول: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام، وإقامة الحدود، وحفظ الشرائع وتأديب الأنام، معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم صغيرة إلا ما قد تم ذكر جوازه على الأنبياء، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين، ولا ينسون شيئاً من الأحكام"[3].

ومما نسبوه لأئمتهم تأييدهم بالمعجزات والخوارق، كما أضفوا عليهم صفة الألوهية، ومن ذلك قولهم إن محمداً بن الحسن بن علي بن محمد "العسكري" الذي يشك في ولادته أصلاً قد تكلم في المهد وهو يقرأ القرآن بلسان عربي مبين[4].

ومن المهم أن نوضح في الإمامة أمراً مهماً هو أن هذه المسألة كانت أكبر عامل شق لصفوف المسلمين وشتات شملهم وجعلهم شيعاً

---

[1] انظر: الأمين، عبدالله، دراسات في الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، دار الحقيقة، بيروت، ط2، 1991م، ص 65.

[2] العصمة عند الشيعة معناها: "أن الأئمة معصومون من الذنوب ـ صغيرها وكبيرها ـ فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمداً ولا نسياناً ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه". انظر: المجلسي، بحار الأنوار (25/211). وانظر: القفاري، ناصر بن عبدالله، أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، دار الرضا، القاهرة، (2/941).

[3] المفيد، محمد بن محمد النعمان، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص 71.

[4] انظر: الأمين، دراسات في الفرق والمذاهب، ص 95.

وأحزاباً يكفر بعضهم بعضاً، وذلك بعد أن قصر ابن سبأ الإمامة على علي رضي الله عنه دون غيره، يقول الشهرستاني في الإمامة: "وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان"[1]. ولذلك صرنا نرى دولة سنية بها أقلية شيعية وهناك دولة شيعية بها أقلية سنية، كما فتح الباب للانتقاص من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقدح في ذمتهم وأمانتهم[2].

ومن الأفكار التي نادى بها عبدالله بن سبأ وتبناها السبئية وغالبية فرق الشيعة من بعده "الغيبة والرجعة" وهي ادعاؤه أن علياً رضي الله عنه لم يمت وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلاً"[3]، وكل من قرأ كتبهم وعرف مذهبهم يعرف ويعلم هذا عنهم، يقول إحسان إلهي ظهير: "فإنهم ما قالوا بإمامة أحد من علي إلى ابن الحسن العسكري الموهوم إلا واعتقدوا رجوعه بعد موته"[4].

ومن الأفكار والمعتقدات التي أوجدها السبئيون دفعاً للحجج الدامغة في بطلان الإمامة "التقية" حين قيل لهم لو أن الإمام علياً رضي الله عنه عين وصياً وإماماً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاز له أن يبايع أبا بكر وعمر فاختلقوا التقية لرد هذه الحجة فقالوا بايعهما تقية لئلا يفرق صف المسلمين. ومن الأهداف الماكرة وراء هذه الفكرة أن يعتاد المسلمون النفاق المشروع فيقولون خلاف ما يؤمنون به[5].

ويجب أن أذكر أن فكرة الغيبة والرجعة كانت مبرراً أيضاً لانتقال الإمامة من الأئمة إلى دعاتهم الذين حل بهم السر الإلهي فادعوا النبوة والألوهية وبذلك حلت فكرة "التناسخ" محل فكرة الثواب والعقاب وأنكروا الجنة والنار لأن النار عندهم حلول روح الميت في جسم كلب أو خنزير تتعذب فيها وهكذا[6].

وهذه العقيدة أي عقيدة "التناسخ والحلول" موجودة عند غلاة الشيعة الذين أورد مبادئهم كثير من العلماء.

---

[1] الملل والنحل (1/31).
[2] انظر: الأمين، دراسات في الفرق والمذاهب، ص 94.
[3] انظر: الفرق بين الفرق، ص 206.
[4] الشيعة والسنة، ص 51.
[5] انظر: الأمين، دراسات في الفرق والمذاهب، ص 95.
[6] المرجع نفسه، ص 95.

ومن أفكار ابن سبأ الطعن في الخلفاء الراشدين وأكثر الصحابة بل رميهم بالردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بزعمهم أنهم تركوا مبايعة علي رضي الله عنه روى الكليني: "عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّواْ عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى" (سورة محمد: 25) فلان وفلان وفلان[1]، ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام"[2].

ومن أفكاره أيضاً "التأويل": الذي يظهر أيضاً عند الفرق الباطنية الغالية: الذين قالوا للقرآن ظاهر وباطن؛ أما المعنى الظاهري فيعرفه العلماء وأما المعنى الباطني فيعرفه الإمام ومن ينوب عنه (كالأوصياء)[3] يقول عبدالله الأمين: "وبهذا فتحوا ثغرة في الإسلام لا يمكن سدها حين طمسوا معالم الإسلام بتأويل آياته وأحكامه وتشريعه حتى لم يبق من الإسلام إلا اسمه"[4].

كل هذه الأفكار التي أتى بها ابن سبأ انطلق فيها من أصوله اليهودية الحاقدة، ويؤكد ذلك عدة أمور منها:

1. أن عقائد الغلاة التي انفردوا بها عن سائر الفرق الإسلامية كعقيدة الوصية والرجعة والبداء والتقية، وما يدعونه في أئمتهم من الغلو ليس لها أصل في الإسلام، ولا يوجد نص واحد لا من كتاب ولا من سنة يدل على هذه العقائد، بل إن الكتاب والسنة وإجماع الأمة تشهد ببطلانها وبراءة الإسلام منها[5].
2. أن عقائد الغلاة التي انفردوا بها عن سائر الطوائف الإسلامية، انتقلت إليهم من اليهودية، أو لها أصل عند اليهود[6].
3. تصريح العلماء من سنة وشيعة بل وحتى مستشرقين بأن أول من أحدث الغلو في علي رضي الله عنه وأحدث عقيدتي الوصية والرجعة هو عبدالله بن سبأ اليهودي[7].

---

[1] بين شارح الكافي أن المراد من فلان وفلان وفلان أبو بكر وعمر وعثمان. الصافي شرح الكافي، ص 47، نقلاً عن: إحسان إلهي ظهير الشيعة والسنة، ص 42.
[2] أصول الكافي (1/420)
[3] المرجع نفسه، ص 96.
[4] المرجع نفسه، ص 96.
[5] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/149).
[6] المرجع نفسه (1/151).
[7] المرجع نفسه (1/151).

4. تصريح عبدالله بن سبأ عن نفسه بأنه أخذ عقيدة الوصية من التوراة فقد نقل البغدادي أن ابن السوداء ذكر لأهل الكوفة: "أنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي الله عنه وصي محمد صلى الله عليه وسلم"[1] هذه الأدلة إضافة إلى ما أوردناه سابقاً عن العلماء سنة وشيعة، وشهادات بعض المستشرقين[2]، كلها تدل على أصول عبدالله بن سبأ اليهودية.

---

[1] الفرق بين الفرق، ص 205.
[2] انظر ما ورد ص 90 – 96.

المبحث الرابع

أثر عبدالله بن سبأ في الفكر الإسلامي ودوره في شق صف المسلمين

تحدثت في المطلب الأول من هذا البحث عن الدور السياسي لعبدالله بن سبأ في إذكاء الفتنة، وفي هذا المطلب سأتحدث عن الجانب الديني الذي قام به ابن سبأ وأثر ذلك في شق صف المسلمين.

لا شك في أن الروايات التي تتحدث عن بدايات عبدالله بن سبأ رأت أن له دوره في شق صف المسلمين، هذا وقد سبقته بعض قبائل اليهود إلى ذلك، فقد حدثتنا السيرة النبوية بأن قبائل بني النضير حاولوا قتل الرسول صلى الله عليه وسلم حين حاولوا رمي حجر عليه من فوق حائط كان يستظل به في قريتهم، كما بينت أن قبيلة بني قريظة قد خانت العهد الذي عقدته مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق كيداً للإسلام. ولما فشلت جميع وسائل المكر والكيد التي اتخذها اليهود ضد الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين حاولوا أن يدسوا السم للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم لجأوا إلى وسائل الضعفاء مرة أخرى، فحاولوا أن يستخدموا وسيلة السحر ضد الرسول صلى الله عليه وسلم[1]، إلا أن هذه المكائد لم تنجح أيضاً مع اليهود.

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بدا دور عبدالله بن سبأ، كأنه انتقام لقومه من المسلمين، إذ أنه لجا إلى إدخال الكثير من الأفكار والمعتقدات الباطلة إلى الإسلام، حيث تعلقت بها بعض الأطراف الغالية رغم أنها غريبة وبعيدة كل البعد عن أي فكر إسلامي صحيح. وهناك عدة اسباب وجهت عبدالله بن سبأ وشجعته على ذلك منها: غياب الرسول صلى الله عليه وسلم عن المسلمين بسبب وفاته، كما إن فشل المؤامرات اليهودية السابقة وما نتج من عقوبات أدت إلى قتل رجالاتهم ربما أدت إلى محاولات الإنتقام من المسلمين عن طريق زرع الفتن الكبيرة التي كان لها دور في شق صف المسلمين من جانب، وبروز أمور اعتقادية أدت إلى ظهور فرق الغلاة [2].

---

[1] (?) انظر: مكائد يهودية، ص 112 – 113.

[2] (?) انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/56).

ومنذ مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه بدت هناك بوادر لظهور فرق كان نتيجتها الإضرار بوحدة المسلمين والدس في تعاليم الإسلام والنقمة عليه والانتقام منه، فانحازت إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وغالت كلها في النظرة إليه، وبدأت بالكيد للمسلمين، فبرزت لنا عدة أمور هي:

أ. تكوين اليهود فئة باسم الإسلام تحت قيادة ابن سبأ ترفض كل عقائد المسلمين، وتسمي علي ابن ابي طالب إلهاً، وهذا ما دعا إليه عبدالله بن سبأ، وأدى ذلك إلى توسع في أفكاره لتأخذ هذه الفرقة شكل طوائف مغالية كثيرة لا زالت تعيش إلى اليوم، تنشر وتروج لأفكارها، وتزرع بذور الفساد في صفوف المسلمين[1].

ب. إثارة الفتنة بين المسلمين، والتآمر على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه، وشق عصا الطاعة عليه، لتنقطع الفتوحات وينشغل الناس بعضهم ببعض، وتتفرق صفوف المسلمين وجموعهم، وهكذا كانت حصيلة المؤامرة التي استمرت إلى يومنا هذا.

ج. نشر بعض الأفكار اليهودية في الفكر الإسلامي كالرجعة وعدم الموت وملك الأرض والقدرة على أشياء لا يقدر عليها أحد من الخلق، والعلم بما لا يعلم أحد، وغير ذلك من الخرافات[2].

وإذا تعمقنا في أصل كل فرقة من فرق الشيعة فإننا لا يمكن أن نعزل ذلك عن جهود ابن سبأ والسبئيين وأثرهم في المغالاة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، "حتى رأينا النزعة السبئية بكل غلوها في علي تطل علينا من خلال روايات الاثني عشرية وغيرها من الفرق الشيعية، يدرك هذا من راجع مجرد عناوين أبواب الكافي والبحار[3]"[4].

---

[1] (?) انظر: الشيعة والسنة، ص 15.
[2] (?) المرجع نفسه، ص 19 – 20.
[3] (?) بحار الأنوار، للمجلسي، محمد باقر (ت 1130 هـ). والكافي، للكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، وهما من أشهر كتب الشيعة.
[4] (?) أصول مذهب الشيعة (2/981).

لقد كان لعبدالله بن سبأ وأفكاره أثر في كل أعمال (الرافضة) فيؤكد لما لا يحتاج إلى مزيد من البيان أن غلو الرافضة وسيرهم على خطا ابن سبأ، ليس في ذمة التاريخ بل لا يزال تياره مستمراً متدفقاً[5].

ولم يفت علماء الشيعة الإثني عشرية أن ينقدوا ابن سبأ أو ينكروا وجوده أصلاً وذلك محاولة منهم لدثر آثاره في عقائدهم، أما بقية الفرق الغالية القائلة بألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد تجاهلت ذكر عبدالله بن سبأ وأثره في ذلك لأنها اعتبرت ألوهية علي رضي الله عنه أمراً بديهياً لا يحتاج ابن سبأ ليقول فيه رأيه.

كما أدى ظهور ابن سبأ وانتشار أفكاره إلى تكفير الكثير من الصحابة، ونظرة الشيعة واحدة في "دعاء صنمي قريش"[2] التي يُشتم فيها أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما تكفي لذلك، كما أن الصحابة ـ عدا من وقف مع علي رضي الله عنه ـ ليس لهم أي احترام ديني عند معظم الفرق الشيعية، فماذا كان ابن سبأ يبغي بفتنته أكثر من ذلك؟

لقد كفَّر الزنادقة الكثير من الصحابة وهم حملة القرآن، فمن الذي رواه ومن الذي فسره. إن تفاسير معظم الشيعة متأخرة وكل التفاسير تعتمد على آراء الصحابة فإذا رفض هؤلاء الغلاة وغيرهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعنى ذلك أنهم قد حرفوا القرآن، لأنهم يروون عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يقوله الإمام فقط، وأكثرهم متأخرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

قام عبدالله بن سبأ بدعوة من اغتر به من عوام المسلمين إلى بعض المبادئ الفاسدة وغلف دعوته هذه بالتظاهر بحب آل البيت والدعوة إلى ولايتهم، والبراءة من أعدائهم، فاغتر به جماعة ممن لم يتمكن الإسلام في قلوبهم من حديثي العهد بالإسلام، ليصبحوا بعدئذ فرقاً دينية تخالف في عقيدتها العقيدة الإسلامية.

---

[5] انظر: السالوس، علي أحمد، مع الشيعة الاثني عشرية في الأصول والفروع، دار التقوى، القاهرة، 1997م، ص 271 – 272.

[2] المرجع نفسه، ص 261 – 263.

[3] هناك أمثلة كثيرة على تحريف القرآن عند الشيعة انظر: كتاب "الشيعة والقرآن" لإحسان إلهي ظهير، وكتاب مال الله، محمد، الشيعة وتحريف القرآن، مديرية المكتبات والوثائق الوطنية، ط2، 1985م.

وأما ما يستدلون به من أدلة لصحة هذه العقائد فهو يعتمد على أحاديث منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يدعون روايتها من قبل الأئمة ويرويها رجالات الشيعة الموثوقون لدى تلك الطائفة وكثير منها روايات موضوعة لا يصح الاستدلال بها في قواعد البحث العلمي عند أهل السنة عموماً، وإن كان الشيعة يرون أنها أحاديث صحيحة لأنها تروى عن إمام من الأئمة[1].

من خلال ما تقدم أستطيع القول إن باب الفتنة فتح على مصراعيه على يد هذا اليهودي، ولم يقف أمر الإفتراق عند هذه الفرق، بل سرعان ما تحولت تلك الآراء إلى مذاهب، وتحول الأمر إلى خلاف فكري، ومن هنا بدأت محاولات تحديد معنى الإيمان، أو الشروط التي ينبغي توافرها حتى يعد الشخص مؤمناً، ونشأت مذاهب عقائدية أخرى[2]، وإن لم تكن هذه الفرق والتيارات والأفكار جميعاً وليدة هذه الفتنة، إلا أنه بلا شك هوالمثير والمؤجج لهذه النار وهذه الإنقسامات، وإن ما يحدث في الوقت الحاضر في العراق لهو أكبر دليل على أثر تلك الإنقسامات وانشغال السنة والشيعة بمقاتلة بعضهما البعض، مع إبقاء المحتل ومباركة العدو الحقيقي، إلى غير ذلك من تكفير بعض المسلمين لبعض لتنوع الآراء واختلاف الإتجاهات، بل يكاد أصحاب كل طائفة وفرقة أن يقصر دخول الجنة على أصحابه فقط.

---

[1] (?) انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/150).
[2] (?) انظر: الخطيب، الفرق الإسلامية، ص 21.

الفصل الرابع

دراسة مقارنة في التحريفات البولسية والسبئية

ـ المبحث الأول:

المطلب الأول: تأثير بولس في العقائد والتشريعات

المطلب الثاني: تأثير ابن سبأ في العقائد

ـ المبحث الثاني:

المقارنة بين بولس وعبدالله بن سبأ

ـ المبحث الثالث:

استمرار اليهود في محاولاتهم لهدم المبادئ المسيحية والإسلامية

المبحث الأول

تأثير بولس وابن سبأ في العقائد والتشريعات

المطلب الأول: تأثير بولس في العقائد والتشريعات

إن أعظم محنة نزلت برسالة المسيح عليه السلام هي عملية غزوها من الداخل التي قام بها "شاول" (بولس) بعد اعتناقه الديانة النصرانية فجاء بتعاليم مناقضة لتعاليم المسيح، وإن ما يبعث على الدهشة والاستغراب أن (بولس) استطاع أن يحتل هذه المكانة في النصرانية ويصبح قديساً يغير ويبدل كيفما يشاء، رغم أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا من حوارييه، فلقد كان (بولس) أهم من كان له دور في مسخ النصرانية وتحريفها عن أصولها، حتى تعود ديانة لا تتفق مع العقل ولا مع الوحي[1].

وكما مر معنا سابقاً[2]، فإن تأثير (بولس) في النصرانية تمثل في مجموعة من العقائد والتشريعات، فأما تأثير (بولس) في العقائد فقد شمل القول بألوهية المسيح وادعاؤه بأن المسيح ابن الله، وادعاؤه أن الغاية من مجيء المسيح عليه السلام هو الصلب وتكفير الخطايا، فبولس لم يهتم بتوسيع العقيدة وتنميتها، ولكنه علم الناس أن عيسى لم يكن المسيح المدعو فحسب، بل إنه ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر[3]، ومن الأمور التي ابتدعها بولس أيضاً نزول عيسى عليه السلام وتجسده بين البشر، والقول بقيامة المسيح من قبره بزعمه أن المسيح مات على الصليب ودفن، وكذلك عقيدة بنوة المسيح والمسيحيين لله ، وحلول الله فيهم، بالإضافة إلى ادعائه مواعيد الله لإبراهيم وحصره للنبوة في نسل إسحاق، وادعى بولس أيضاً أن دعوة المسيح عليه السلام كانت عامة لجميع بني البشر ونقلها من دعوة خاصة لبني إسرائيل إلى دين عالمي ودعوة عالمية.

أما ما يتعلق بتأثير بولس في التشريعات فقد شمل إلغاء شريعة موسى عليه السلام ودعواه أن الإنسان ينجو بالإيمان المجرد بدون عمل

---

[1] انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 151.

[2] انظر ما سبق، ص 63

[3] انظر، شلبي، المسيحية، ص 89.

حتى أباح كل شيء بفتوى الإباحة العامة[1]، بما في ذلك إلغاء الختان واستبداله بالمعمودية، وتحليله لحم الخنزير والخمر.

وكذلك اختلاقه للعشاء الرباني، بالإضافة إلى ما يلاحظ من وجود المزامير والأغاني والتراتيل في الكنائس.

ومن الأمور التي ابتدعها في الشرائع تفضيله التبتل والرهبنة على الزواج.

هذه معظم التحريفات والتأثيرات التي قام بها بولس ودعى إليها في رسائله، فقامت عليها النصرانية وطغت تعاليمه على تعاليم المسيح عليه السلام بل آلغتها وحلت محلها.

المطلب الثاني: تأثير ابن سبأ في العقائد

ذكرنا فيما سبق أن ابن سبأ لم يبتعد كثيراً ـ فيما دعا إليه ـ عن بولس، وإن كانت العوامل التي توافرت لدى بولس هي التي ساعدته في إبراز كثير من المعتقدات بعكس ابن سبأ الذي لم تختلف نواياه عن نوايا من سبقه بإرادته إفساد دين المسلمين، وإدخال التأويلات الفاسدة، لكي يعتقدوا ما اعتقده النصارى في عيسى عليه السلام، دون المقدرة على تغيير شيء من الشرائع آنذاك، فأدخل في دين المسلمين كثيراً من المعتقدات الفاسدة، حيث تشربها بعض المسلمين ومن انساقوا خلف أهوائهم، وقد تمثل تأثير "عبدالله بن سبأ" في العقائد فيما يلي:

1. إعتقاد السبئية بألوهية علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بالغين في ذلك منتهى الغلو والتطرف، ومنتهين إلى حد أدى بعلي إلى إحراق بعضهم[2]. وهذه العقيدة تؤكدها أكثر المصادر الموجودة بين أيدينا بل وتؤكد على أن الذي جاء بها هو عبدالله بن سبأ.
2. تحريف آي القرآن، إذ يزعم السبئية أن القرآن قد حرف وأسقطت منه بعض السور وكثير من الآيات، يقول الكليني: "إن القرآن الذي نزل به الوحي على محمد سبعة آلاف آية، والآيات التي نتلوها ثلاث وستون ومئتان وستة آلاف فقط، والباقي مخزون عند آل البيت"[3]. بل يزعم

---

[1] انظر ما سبق، ص 75

[2] انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في احداث الفتنة، ص 207.

[3] الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران. (1/239).

الكليني أن الصادق قال عن القرآن الذي جمعه علي بن أبي طالب في زعمه: "هو مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد"[1]. فهم يزعمون أنهم اهتدوا لوحي ضل عنه الناس، وعلم خفي، كما أنهم يرومون إتباع المتشابه من القرآن ابتغاء الفتنة، وهذه المقالة التي اعتقدتها السبئية، ترجع أصولها إلى زعيمهـم "عبدالله بن سبأ" الذي زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند علي، فضربه علي ونفاه بعدما كان هم به[2].

3. الغلو في الأئمة وجعلهم ـ أي السبئية ـ أئمتهم فوق البشر، وفوق الأنبياء والرسل، بل آلهة يعلمون أعمار الناس وآجالهم. ولا يخفى عليهم خافية، جاء في الكافي: "أن أمير المؤمنين كان كثيراً ما يقول: لقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ولم يعزب عني ما غاب عن بشر بإذن الله"[3]، بل أوردوا قصصاً تتحدث عن شفاء أضرحة الأولياء للأمراض المستعصية، بل حتى الحيوانات تذهب لأضرحة أئمتهم طلباً للشفاء، فهذا حيوان يتمرغ على القبر لشفاء جرحه فيشفى[4].

4. الولاية والوصية: بل جعلهما السبئية من بعده أساساً لدينهم بل هناك روايات تجعل الولاية أعظم أركان الإسلام، روى الكليني بسنده عن أبي جعفر قال: "بني الإسلام على خمس: الصـلاة، والزكـاة والصوم والحـج والولاية فأخذ الناس بأربع وتركوا هذا ـ يعني الولاية ـ"[5] بل فضلوا الولاية على الصلاة والزكاة والصوم والحج، فقالوا: "إن من أقر بولايتنا ثم مات عليها قبلت منه صلاته، وصومه، وزكاته وحجه، وإن لم يقر بولايتنا بين يدي الله عز وجل لم يقبل الله عز وجل شيئاً من أعماله"[6]، ومن ثم تطرقوا إلى حذف الجميع وإبقاء الولاية وحدها، يروون عن أبي عبدالله أنه قال: "ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبياً قط إلا بها"[7].

---

[1] المرجع نفسه، (1/240).
[2] انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 206.
[3] أصول الكافي (1/196 – 197)، وروايات أخرى ساقها في باب أن الأئمة هم أركان الأرض.
[4] انظر: بحار الأنوار (42/318).
[5] أصول الكافي (2/18).
[6] أمالي الصدوق، ص 154 – 155.
[7] أصول الكافي (1/438).

5. الرجعة: وهي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت. والرجعة عند ابن سبأ: هي ادعاؤه أن علياً لم يمت وأنه سيرجع ويملأ الأرض عدلاً[1]. فمن مقتضيات عقيدة الرجعة عند السبئية القول بأن علياً حي لم يمت ولم يقتل، ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه. بل حينما بلغ ابن سبأ خبرموته قال للذي نعاه: كذبت يا عدو الله، لوجئتنا بدماغه في صرة وأقمت على مقتله سبعين عدلاً ما صدقناك"[2] ويعلل السبئية اختفاء علي "بالغيبة" ولذلك قالوا بغيبته بعد موته، ومن هنا كانوا يعتقدون أن الرعد صوته، وأن البرق سوطه، وأنه في السحاب، وإذا نشأت سحابة بيضاء صافية مبرقة قاموا إليها يبتهلون ويتضرعون ويقولون: قد مر علي بنا في السحاب[3]، ويدَّعون أن صفوة الخلق وهم أنبياء الله ورسله يتحولون إلى جند لعلي كما يقول هؤلاء: "لم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا رد جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين"[4].
6. العصمة: وهذه العقيدة نشأت بعد اعتقادهم ـ أي السبئية ـ أن الإمام مفوض ومعين من الله لإقامة دينه، ليكون مرجع الخلق في أمور دينهم ودنياهم، فذهبوا إلى أن الأئمة معصومون في كل حياتهم لا يرتكبون صغيرة ولا كبيرة ولا تصدر عنهم أي معصية، ولا يجوز عليهم خطأ ولا نسيان[5]، إذ لابد لتحقيق هذه الوظيفة أن يكون معصوماً عن الخطأ حتى لا يضل بخطئه الناس، حتى أصبحت العصمة وصفاً ملازماً للإمام، ونقل الإجماع على ذلك شيخهم المفيد، فقال: "إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام وإقامة الحدود وحفظ الشرائع وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء، وإنهم لا يجوز منهم كبيرة ولا صغيرة، وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء من الدين ولا ينسون شيئاً من الأحكام، وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ منهم، وتعلق بظواهر روايات لها تأويلات على خلاف ظنه الفاسد من هذا الباب"[6].

---

[1] انظر: الفرق بين الفرق، ص 206.
[2] المرجع نفسه، ص 206.
[3] انظر: عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة، ص 209.
[4] بحار الأنوار (53/41).
[5] انظر ما سبق ص 107.
[6] أوائل المقالات، ص 35.

7. التقية: ومعناه عند الشيعة: كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا[1]، اختلق السبئية هذا المعتقد لتفسير أحداث تاريخهم، فذهبوا إلى أن سكوت علي عن أبي بكر وعمر وعثمان كان تقية، وتنازل الحسن عن الخلافة لمعاوية كان تقية، حتى أصبحت هذه العقيدة من أهم العقائد التي يدينون بها، بل جعلوها هي الدين كله ولا دين لمن لا تقية له، جاء في أصول الكافي أن جعفر بن محمد قال: "إن تسعة أعشار الدين في التقية ولا دين لمن لا تقية له"[2].
8. البداء: وله في اللغة معنيان:

(1) الظهور بعد الخفاء، تقول: بدا سور المدينة أي ظهر، ومنه قوله تعالى: "وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ" (البقرة، 284).

(2) نشأة الرأي الجديد، قال الجوهري: بدا له في الأمر بداء أي: نشأ له فيه رأي[3]، ومنه قوله تعالى: " ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ" (يوسف: 35).

وواضح أن البداء بمعنييه يستلزم سبق الجهل وحدوث العلم، وكلاهما محال على الله، ونسبته إلى الله من أعظم الكفر، ووجد هذا المعنى المنكر في كتب اليهود، فقد جاء في التوراة: "ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور فكر قلبه يتسم دائماً بالإثم، فملأ قلبه الأسف والحزن لأنه خلق الإنسان وقال الرب: أمحو الإنسان الذي خلقته على وجه الأرض"[4] ويبدو أن ابن سبأ اليهودي قد حاول إشاعة هذه المقالة التي أخذها من (توراته) في المجتمع الإسلامي، تحت مظلة الدعوة إلى ولاية علي رضي الله عنه، مدعياً أن الأمر سيعود وينتهي إليه بعد أن بدا لله سبحانه ما اقتضى تغيير هذا الوعد[5].

9. تعطيل الشريعة: لقد نتج عن هذا كله تعطيل للشريعة في كثير من أحكامها، فقد عطلوها فعلاً، وقالوا: "إن النجاة ليس مدارها على العمل

---

[1] تصحيح الاعتقاد، ص 115.
[2] أصول الكافي (2/217).
[3] الصحاح (6/278).
[4] سفر التكوين 6: 5 – 6.
[5] انظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية (2/1136).

بالكتاب والسنة، بل مدارها على التمسك بأقوال أئمتهم، ولو خالفوا في ذلك صريح الكتاب والسنة"[1]

[1] انظر: الشيعة والسنة، ص 48.

المبحث الثاني

المقارنة بين "بولس" و"عبدالله بن سبأ"

المتمعن في قصة تحول بولس إلى المسيحية، وتظاهر عبدالله بن سبأ بالدخول في الإسلام، ليحس بتقارب الصورة والفكرة من هذا التحول المفاجئ، وخصوصاً أن الأسلوب الذي سلكه كل منهما أسلوب عرف به اليهود في كل عصورهم، أسلوب الخداع والنفاق والتكتم، وعدم إطلاع غيرهم على حقائق الأمور، وموقف "بولس" لم يختلف كثيراً عن موقف عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وأشعل الثورات، ونشر من المبادئ الفاسدة ما كان يعجز عن عمل جزء قليل منه لو ظل على يهوديته، ولكن الفرق بينهما أن أفكار عبدالله بن سبأ لم تستطع أن تعيش وتنمو كما نمت أفكار بولس، ذلك أن القرآن كان محفوظاً ومكتوباً وهو خير حارس للإسلام. أما إنجيل عيسى فضاع بين طيات الأحداث، ولم تجد المسيحية من يحميها من الصدمات العنيفة التي أنزلها بها أعداء الداخل والخارج، فخرّت نصرانية عيسى، وقامت على أنقاضها مسيحية جديدة هي مسيحية "بولس"[1].

ولكن قبل المقارنة بين أفكار "بولس" ومعتقداته وبين أفكار عبدالله بن سبأ ومعتقداته أريد أن أذكر بعض القواسم المشتركة بين هذين الرجلين في أمور عامة اشتركا بها:

أولاً: الأصول اليهودية التي ينتمي إليها "بولس" و"عبدالله بن سبأ":

فأما "بولس" فقد اعترف بأصوله اليهودية، إذ جاء على لسانه في سفر أعمال الرسل "أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس الواقعة في مقاطعة كيليكيَّة"[2]، وينتمي إلى الفريسيين، يذكر عن فريسيته: "أنا فريسي، ابن فريسي، وإني أحاكم الآن لأنني اعتقد أن للموتى رجاء بالقيامة"[3]، وأما ابن سبأ فقد أجمعت المصادر على يهوديته، بل حتى المصادر الشيعية وكبار فرق الشيعة ومحققوها يعترفون بيهودية ابن سبأ، وأنه هو الذي

---

[1] انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 142.
[2] أعمال الرسل 22: 2
[3] أعمال الرسل 23: 6

أشهر القول بالوصية، فكان يقول بوصية موسى ليوشع في يهوديته، وأدخل هذه العقيدة حين أسلم في الفكر الإسلامي حين قال في علي ابن أبي طالب رضي الله عنه أنه وصي النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه أول من نادى بإمامة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]، وغيرها من العقائد التي تدل على الأصول اليهودية لهذه العقائد التي أظهرها ابن سبأ.

ثانياً: التحول المفاجئ "لبولس" من اليهودية إلى النصرانية، وتحول "عبدالله بن سبأ" من اليهودية إلى الإسلام:

إنه لمن المعلوم بداهة أن التحول عادة يحدث من الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك والوثنية إلى التوحيد، ولكننا نعجب حين نقرأ أن العكس تماماً قد حصل لبولس، فبولس صاحب عقيدة التوحيد، وعالم من علماء التوراة يتحول من مؤمن وموحد بالله إلى القول بألوهية البشر، وعلى الرغم من وضوح التناقض فيما بينه وبين عيسى ـ عليه السلام ـ إلا أنه مارس مهمته، وبشر بدعوته، مدعياً أنه يسير على نفس طريق عيسى ـ عليه السلام ـ.

أما ابن سبأ فلم أقف على مصدر واحد يذكر قصة تحوله من اليهودية إلى ادعائه الإسلام، إلا أنه لم يختلف عن بولس اليهودي كثيراً، حيث ادعى ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأظهر كثيراً من المعتقدات الباطلة التي لا تتصل قطعاً بأي دين قويم[2].

والذي أريد أن أوضحه أيضاً أن كثيراً من العلماء ذهب إلى أن هذا التحول الذي حدث من "بولس" و"عبدالله بن سبأ" كان بتخطيط دقيق، وإرادة مبيتة، لجأ إليها كلا الرجلين بعد فشلهما في القضاء على الموحدين من الخارج بأسلوب القوة والاضطهاد، يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري: "يميل العقل الاختزالي الذي ينسب لليهود كل الشرور أن يجعلهم مسؤولين عن كل الحركات الهدامة ويراهم مسؤولين عن هدم النصرانية ثم الإسلام"[3].

---

[1] انظر: أصول مذهب الشيعة (2/792).

[2] انظر: الشنطي، موقف بولس من تعاليم عيسى عليه السلام، ص 105.

[3] المسيري، اليد الخفية "دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية"، ص 75.

وهذا أمر لا نبعده عنهم، إذ كيف يتحول بولس من مضطهد للنصارى، وحاقد على المسيح وأتباعه، وينتهي به الحال إلى القرار الخطير في التحول المفاجئ إلى جانب النصارى، لا كتابع، ولكن كرسول، بل زاد عنهم بادعائه عالمية الرسالة، ليستطيع ترويج أفكاره ومحاربة أفكار خصومه بحرية تامة[1].

وكذلك الأمر مع ابن سبأ الذي أراد مزاحمة هذا الدين، بالنفاق والتظاهر بالإسلام، لأنه عرف هو وأتباعه أنه لا يمكن محاربة الإسلام وجهاً لوجه، ولا الوقوف أمامه جيشاً لجيش، ومعركة بعد معركة، فإن أسلافهم بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع جربوا هذا فما رجعوا إلا خاسرين، فخطط هو ويهود صنعاء، وبثوا في نفوس المسلمين سموم الفتنة، والفساد[2]، ويستشهد ابن حزم لتحول بولس بتحول عبدالله بن سبأ للإسلام لتخريب الإسلام وتدميره، وهو مثال واقعي لا جدل فيه، فيقول: "فاعجبوا لهذا ـ وهذا أمر لا نبعده عنهم ـ ، لأنهم قد راموا ذلك فينا وفي ديننا فبعد عليهم بلوغ إربهم من ذلك، وذلك بإسلام عبدالله بن سبأ المعروف ابن السوداء اليهودي الحميري لعنه الله، ليضل من أمكنه من المسلمين، فنهج لطائفة رذلة يتشيعون في علي رضي الله عنه أن يقولوا بإلهيته على نهج بولس لأتباع المسيح عليه السلام وأن يقولوا بإلهيته، وهم الباطنية والغالية إلى اليوم"[3].

ويؤكد هذا أيضاً الدكتور أحمد شلبي فيقول: "يرى كثير من الباحثين أن عداوة بولس للمسيحية هي التي دفعته ليتظاهر بالدخول فيها ليستمر في حربها بسلاح جديد، سلاح التهديم من الداخل بإفساد معالمها وطمس مظاهرها ومسخها، فهو قد دخلها في الظاهر ليأخذ من اعتناقه الظاهري لها سلاحاً يطعنها به، ومثل هذا كثير في تاريخ الأديان، وفي الإسلام كثيرون من هذا النوع، من أشهرهم عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بالإسلام"[4].

---

[1] (?) انظر: اليهودي شاول بولس الطرسوسي، ص 38.
[2] (?) انظر: السنة والشيعة، ص 14.
[3] (?) الفصل في الملل والأهواء والنحل (1/146).
[4] (?) شلبي، المسيحية، ص 113.

أما عند المقارنة بين أفكار "بولس" ومعتقداته مع أفكار "عبدالله بن سبأ" ومعتقداته فنجد أنهما اتفقا في كثير من المبادئ التي دعوا إليها، وسنأتي إلى بيان ذلك فيما يلي:

أولاً: دعوى "بولس" ألوهية المسيح عليه السلام، ودعوى "عبدالله بن سبأ" ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

لقد كانت فكرة التأليه لعيسى عند بولس من أهم مبادئه، فقد تحدث عن الله بصفته الأب لهذا الكون، وعندما تحدث عن المسيح زعم أنه إله وابن إله، وارتفع يسوع عند بولس من كائن بشري بحت إلى كائن بشري إلهي سبق خلق العالم، وبه تم خلق العالم، وهو سابق للكون والزمن، تتمثل فيه روح القدس التي تعتبر جوهره الرباني، وإنما نزل إلى الأرض بشكل إنسان ليعمل على تنفيذ خطة الله الكبرى فيتحمل الألم والصلب والإهانة من أجل بعث الإنسانية وخلاصها[1].

ومعنى هذا أن الإله لم يرتفع قدره بأن انتقل من الإنسانية إلى مرتبة الألوهية، ولكنه على العكس من ذلك انحط قدره فنزل من مرتبة الألوهية إلى مرتبة البشرية تعالى عن ذلك، ثم أطلق بولس بعد ذلك ألقاب الله على المسيح، واعتقد أنه يعمل أعمال الله من خلق وتدبير، وأنه يغفر الخطايا ويتوجه إليه العباد بالعبادة[2].

فمن الألقاب التي أطلقها على المسيح ما جاء في إنجيل متى: "ويدعون اسمه عمانوئيل" أي "الله معنا"[3]. ويستدل المسيحيون منها على أن المسيح هو الله. كما يطلقون عليه "الرب" وقد دعي المسيح رباً في العهد الجديد حوالي "400" مرة[4].

ويدعي بولس أن المسيح له نفس أوصاف الله فهو الأزلي كما في رسالة بولس إلى العبرانيين: "يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد"[5].

---

[1] دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 215.
[2] النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 228.
[3] إنجيل متى 1: 23.
[4] النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 228.
[5] العبرانيين 13: 8.

وهو الحاضر في كل مكان: "وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذي نزل من السماء، وهو ابن الإنسان الذي في السماء"[1].

وهو القدوس: "قدوس بلا شر ولا دنس، لا عيب فيه، ولا نجاسة، قد انفصل عن الخاطئين، وارتفع حتى صار أسمى من السماوات"[2].

بل يعمل أعمال الله فهو الخالق، به تكوَّن كل شيء، وبغيره لم يتكون أي شئ مما تكوَّن"[3]. والعهد الجديد يحوي نصوصاً كثيرة على هذه المعاني، يستدل بها النصارى على ألوهية السيد المسيح، إلا أن النصوص الصريحة منها تجدها في الإنجيل الرابع إنجيل "يوحنا" ورسائل بولس.

ولعل من العوامل المساعدة التي أدت إلى تبني بولس فكرة ألوهية المسيح، ولادة المسيح من غير أب، وهي بلا شك أمر خارق لمألوف العادات، كانت عاملاً ساعد بولس في استجابة الناس إليه، حتى إذا جاء القرن الرابع عمت الفكرة ورسخت في أذهان الكثيرين في ذلك المجتمع[4].

وأما فكرة التأليه لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عند "عبدالله بن سبأ" فهي لم تبتعد كثيراً عن فكرة التأليه عند "بولس" في أصلها، وإن اختلفت في جوانبها، والعوامل المساعدة التي ساعدت "بولس" أكثر من عبدالله بن سبأ، وهنا لابد من الإشارة إلى أمر مهم، يتعلق بنشأة الإسلام ونشأة النصرانية، فبينما نمت النصرانية في حضانة الوثنيات التي سادت المجتمع الروماني، والمجتمع اليوناني، قضى الإسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرماً، ونشر تعاليمه التي تقوم على الوحدانية دون لبس أو غموض، وهذا الأمر حد من انتشار المبادئ السبئية فيما بعد.

وكانت قضية "التأليه" من أخطر هذه المعتقدات، إلا أن ابن سبأ لم يستطع أن يؤثر على رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن شخصه الإنساني مطروح في القرآن الكريم فاستغل شخصية قريبة منه، وهو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فاندس في محبيه، وصار يبث في السر دعوى نبوة علي، فانخدع بكلامه ودسائسه بعض الأغرار من العامة، ثم أسرع فارتقى بدسيسته مرة أخرى ونقلها إلى طور جديد، فصار يبث بين

---

[1] يوحنا 3: 13.
[2] العبرانيين 7: 26.
[3] يوحنا 1: 3.
[4] النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 230.

المنخدعين به ألوهية علي رضي الله عنه، يقول عبد الرحمن الميداني "فغلوا في علي غلواً فاحشاً وكفروا بذلك، وصنع هذا اليهودي ابن سبأ في علي ـ رضي الله عنه ـ مثلما صنع من قبله أستاذ الدسائس على الأديان اليهودي الأسبق "بولس" في عيسى عليه السلام"[1].

ولما قتل علي رضي الله عنه زعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن علياً، وإنما كان شيطاناً تصور للناس في صورة علي، وأن علياً صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم عليه السلام[2]. ومن خلال هذه الفكرة تبلورت لدى غلاة الشيعة شخصية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فغلوا فيه إلى أبعد مدى، وتجاوزوا به كل الحدود، حتى جعلوه في منزلة الإله والرب والمعبود.

وأريد فقط أن أنهي حديثي عن التأليه عند "بولس" و"عبدالله بن سبأ"، بنصين وردا على لسان الرجلين وأترك للقارئ المجال في أن يقارن بين هذين النصين: يقول بولس في رسالته إلى العبرانيين "يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد"[3] ويقول عبدالله بن سبأ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أيضاً "أنت هو هو"[4] فما عسى القارئ يظن بقصدهم الصريح بقولهم "هو هو" إلا ادعاء الألوهية لهم.

ثانياً: التأويلات "البولسية" و"السبئية" للإنجيل والقرآن:

لقد ظهر تحريف "بولس" للإنجيل من خلال تحريفه للعقائد والشرائع انطلاقاً من تبنيه فكرة "التأليه" والقول بأن عيسى عليه السلام "ابن الله" وهذه الفكرة مخالفة تماماً لدعوة الرسل التي تضمنت عبادة الله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد، ثم نقلها من دعوة خاصة لبني إسرائيل إلى دين عالمي ودعوة عالمية، يقول "بولس" في رسالته إلى أهل غلاطية: "وبعد أربعة عشر سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معي تيطس أيضاً، وإنما صعدت بموجب إعلان وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرّز به بين الأمم"[5]، وهذا خلاف ما جاء به عيسى عليه السلام بنصوص واضحة تعارض

---

[1] مكائد يهودية، ص 155.
[2] انظر: الفرق بين الفرق، ص 205.
[3] العبرانيين 13: 8.
[4] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (1/123).
[5] الرسالة إلى أهل غلاطية 2: 1 – 2.

أقوال بولس بعمومية الدعوة المسيحية[1]، ثم إن رسالة عيسى عليه السلام موجهة لليهود وحدهم وقاصرة على تقويم الضالين فيهم كما قال عيسى عليه السلام[2]، فرسالته استكمال لرسالة موسى عليه السلام، وموجهة لبني إسرائيل دون غيرهم[3].

وكذلك اختلاقه لبعض الشرائع المخالفة لما جاء به عيسى عليه السلام مثل: العشاء الرباني، وما يلاحظ اليوم من وجود المزامير والأغاني والتراتيل في الكنائس، وهذا بلا شك لم يؤثر عن المسيح عليه السلام ولم يأمر به ولا عن حوارييه وتابعيه، وإنما هو ابتداع بولس المحرف، يقول في رسالته إلى أهل أفسس: "محدّثين بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأناشيد روحية، مرنمين ومرتلين بقلوبكم للرب، شاكرين كل حين وعلى كل شيء لله والآب باسم ربنا يسوع المسيح"[4].

وكذلك ابن سبأ فقد عمد إلى التحريف بالفهم والتأويل في القرآن الكريم ليخدم أقواله ومعتقداته، ثم أتى من بعده من أتباعه ليكرسوا عقيدة أن القرآن الكريم محرف ومبدل، حتى في ألفاظه، مخالفين بذلك النصوص الصحيحة الواردة في القرآن والسنة، ومعارضين كل ما يدل عليه العقل والمشاهدة، مكابرين للحق وتاركين للصواب[5]. وبذلك أستطيع القول إنهم شابهوا بذلك النصارى ومن قبلهم اليهود في تحريفهم للقرآن.

وقد ذهب السبئية وغلاة الشيعة بل أشهر علماء الشيعة أمثال (الكليني) والشيخ (المفيد) و(الطبرسي) صاحب الاحتجاج، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم إلى القول بتحريف القرآن[6]، وأنه أُسقط من القرآن كلمات بل آيات، ومما ذكره الكليني من الافتراءات حول القرآن الكريم ما رواه عن ابن جعفر قوله: "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبي طالب والأئمة من بعده"[7].

---

[1] (?) انظر ما ورد في ص 74 من هذا المبحث.
[2] (?) انظر ما ورد في ص 74 من هذا المبحث
[3] (?) انظر: تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ، ص 190.
[4] (?) الرسالة إلى أهل أفسس 5: 19 – 21.
[5] (?) انظر: الشيعة والسنة، ص 61.
[6] (?) انظر: الفرق الإسلامية، الخطيب، ص 164.
[7] (?) أصول الكافي (1/228).

ويزعم في رواية أخرى أن أكثر من ثلثي القرآن قد أسقطت آياته وسوره، ففي رواية عن أبي عبدالله يقول: "وإن عندنا لمصحف فاطمة، وما يدريهم ما مصحف فاطمة؟ قال الراوي: قلت وما مصحف فاطمة؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد"[1].

وأورد الكليني الكثير من الآيات التي زعم أنها قد حرفت وبدلت عن طريق إسقاط بعض العبارات والألفاظ ومن ذلك ما رواه عن أبي عبدالله في قوله تعالى: " وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (في علي وولاية الأئمة من بعده) فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" (الأحزاب آية: 71). قال "هكذا نزلت"[2].

ومن ذلك أيضاً ما رواه عن أبي عبدالله في قوله تعالى: " وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ (كلمات في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم) فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً" (طه آية: 115)[3].

ولعل السبب في تحريف القرآن عند الشيعة، هو عدم وجود تلك المعتقدات التي أظهرها ابن سبأ اليهودي في الدين الإسلامي، مثل الولاية والوصاية والإمامة التي اختلقها ابن سبأ واصطنعها لهم، فالتجأوا لدفع هذا الإيراد إلى القول بأن القرآن قد غير ونقص منه أشياء، واتهموا في ذلك الصحابة العدول رضوان الله عليهم بأنهم هم من أسقط حقهم ـ ولا يتهم وإمامتهم ـ وخلافتهم ونيابتهم عن النبي صلى الله عليه وسلم حسب زعمهم[4].

ثالثاً: عدم اعتدال النصارى وغلاة الشيعة في حبهم وتقديسهم: فالنصارى لا يعدلون في حبهم لعيسى عليه السلام، بل جاوزوا بعيسى قدره وهو مقام العبودية، إلى مقام الألوهية، بإطلاقهم ألقاباً على المسيح لا تليق إلا بالله، وأوصافاً لا يتصف بها إلا الله عز وجل، وانتقلوا بعد ذلك إلى القول بعصمة البابا، وتعظيمه وإصدار صكوك غفران لمن يخطئ من النصارى، ولم يختلف الأمر عند غلاة الشيعة

[1] المرجع نفسه (1/239).
[2] المرجع نفسه (1/414).
[3] أصول الكافي (1/427).
[4] انظر: الشيعة والقرآن، ص 52.

كثيراً فقد غلوا في علي رضي الله عنه حتى أوصلوه إلى مقام الألوهية، وجاوزوا فيه الحدود، ولم يقتصر هذا الغلو على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، بل تعداه إلى الأئمة، حيث رفعهم أتباعهم فوق البشر، وأطلقوا عليهم من الصفات ما لم يثبت لأحد، ومن ذلك ادعاؤهم أن الأئمة يعلمون الغيب، وادعاؤهم العصمة لهم، فما دام الإمام مفوضاً ومعيناً من الله لإقامة دينه ليكون مرجع الخلق في أمور دينهم، فلا بد لتحقيق ذلك أن يكون معصوماً عن الخطأ حتى لا يضل بخطئه الناس[1]. ولم يكتف غلاة الشيعة بهذا الأمر بل قاموا بإصدار صكوك غفران لهم على أيدي أسيادهم ومرجعياتهم.

والنصارى غالوا في مسألة صلب المسيح عليه السلام حتى أصبح الصليب شعاراً لهم وعلامة لعقيدة النصارى هذه، وغلاة الشيعة عندما قتل الحسين رضي الله عنه غالوا فيه شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تربة الحسين شعاراً لهم وعلامة لمذهبهم.

وعند النصارى طقوس بمناسبة اليوم الذي صلب فيه عيسى عليه السلام ـ على حد زعمهم ـ تشابه الطقوس التي عند الشيعة بمناسبة اليوم الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه، مثل ضرب أنفسهم بالسلاسل وإقامة العزاء في الحسينيات، وغير ذلك مما نشاهده بالعيان، واتخذ النصارى الصليب في بيوتهم وسائر أماكنهم لأجل التبرك والتعبد، وكذلك غلاة الشيعة الذين ترافقهم التربة في بيوتهم وسائر أمكنتهم كذلك[2].

وهذا الغلو أدى إلى تشابه الشيعة مع النصارى في كثرة الأعياد وكثرة الصور، فمن أمثلة أعياد النصارى: عيد القيامة، وعيد ميلاد المسيح عليه السلام، وعيد رأس السنة الميلادية وعيد الغطاس، ومن أعياد الشيعة: عيد غدير خم، وعيد النيروز واحتفالهم بيوم عاشوراء، وكذلك اتخاذ النصارى صوراً للمسيح ومريم، واتخاذ الشيعة صوراً للحسين وغيرها في احتفالاتهم.

رابعاً: ومن الأفكار التي تشابه فيها النصارى وغلاة الشيعة الرجعة: التي أخذها ابن سبأ من اليهودية، فعند اليهود أن

---

[1] انظر: الأمين، دراسات في الفرق والمذاهب، ص 95.
[2] انظر: حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة، ص 126.

النبي إلياس عليه السلام صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون، ووجدت الفكرة في النصرانية في عصورها الأولى[1].

ففكرة الرجعة ذاتها ليست من ابتكار ووضع الشيعة وإن كانت من عقائدهم التي اختصوا بها، إلا انها تسربت إليهم عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية[2].

ولو أردنا أن نعقد مقارنة بين تصور اليهود أصحاب هذه الفكرة ونظرتهم للمسيح المنتظر وبين تصورات ابن سبأ لرجعة الإمام علي لوجدنا تشابهاً كبيراً بين الأمرين. يقول اليهود عن المسيح المنتظر: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً، وتدعو اسمه عمانوئيل، وحين يعرف أن يميز بين الخير والشر يأكل زبداً وعسلاً، لأنه قبل أن يعرف الصبي كيف يرفض الشر ويختار الخير ... في ذلك اليوم يُربِّي واحد عِجلة بقر وشاتين. ولوفرة ما تدرُّ من حليب يأكل الزبد، لأن الزبد والعسل يأكلهما كل من يستبقى من الأرض"[3]. ويقول ابن سبأ عن الإمام علي: "والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان تفيض إحداهما عسلاً والأخرى سمناً ويغترف منهما شيعته"[4].

ويصور ابن حرب تلميذ ابن سبأ حالة عودة ابن الحنفية[5] بصورة تقترب كثيراً من حالة عودة المسيح عند اليهود فهو يصوره بصعوده إلى السماء وقد سخر له في سيفه ما سخر لموسى عليه السلام في عصاه فيهزم دون قرن الشمس وهو يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً، ويتأسى في عدله بسليمان بن داود وذي القرنين في ملكهما وعندئذ يخصب الناس حتى يتركوا البيع والادخار[6] وهذا الكلام يشابه كلام ابن سبأ كثيراً في علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأما مشابهة هذه الصورة بمشابهة صورة المسيح فقد وردت في نبوءة أشعيا: "وتكون مسرته في تقوى الرب، ولا يقضي بحسب ما تشهد عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه، إنما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض

---

[1] انظر: الشيعة والتشيع، ص 55.

[2] انظر: الأصول العقدية للإمامية، ص 61.

[3] اشعيا، 7: 14، 15، 21.

[4] الفرق بين الفرق، ص 206.

[5] هو أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية، ينسب إليها تمييزاً عن أخويه الحسن والحسين، حمل الراية في الجمل وصفين، توفي في المدينة سنة (81 هـ) ودفن بالبقيع.

[6] انظر: الأصول العقدية للإمامية، ص 62.

بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه، لأنه سيرتدي البر، ويتمنطق بالأمانة"[1].

وعلى ضوء تلك المقارنات بين تصورات اليهود في أسفارهم عن المسيح المتنظر، وتصورات ابن سبأ لرجعة الإمام علي رضي الله عنه، نجد أن اليهود كان لهم دور كبير في فكرة الرجعة عند الغلاة[2].

وعقيدة الرجعة عند الشيعة خلاف ما علم من الدين بالضرورة من أنه لا حشر قبل يوم القيامة، كما أنها خلاف الآيات والأحاديث المتواترة المصرحة بأنه لا رجوع إلى الدينا قبل يوم القيامة، قال تعالى: " قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ" (المؤمنون: 99 – 100).

---

[1] أشعيا، الإصحاح، 11: 3 - 5.

[2] انظر: الأصول العقدية للإمامية، ص 64.

خامساً: تولي المسيح عليه السلام الجزاء والحساب عند النصارى وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك عند غلاة الشيعة: إذا يعتقد النصارى أن المسيح هو الذي يتولى الحساب والجزاء، ورد في إنجيل يوحنا: "والأب لا يحاكم أحداً، بل أعطي الإبن سلطة القضاء كلها، ليكرم الجميع الإبن كما يكرمون الأب"[1].

وقال بطرس: "هو الذي عينه الله ديَّاناً للأحياء وللأموات. له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا"[2]. ورد في قاموس الكتاب المقدس تحت كلمة (دان ـ دين ـ دينونة) ما نصه: "تطلق هذه الكلمات على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم، وقد أعطيت الدينونة للرب يسوع المسيح فهو الديان الذي يقف أمامه جميع البشر لكي يعطوا حساباً عن أعمالهم في الجسد خيراً كانت أم شراً، وهذه الدينونة عامة وشاملة، وحكم هذه الدينونة نهائي ولا يقبل النقض ولا الإستئناف، وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح وأفراحها، ويذهب الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي"[3].

وقال بولس: "إن الله قد أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل، برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات"[4]. والنص يشير إلى ان الله قد عيَّن يوماً للحساب، قد عيَّن الله له رجلاً ليدين المسكونة ـ أي الأرض كلها بالعدل ـ، ونلاحظ هنا تناقضاً صريحاً في كون المسيح دياناً. ورد في إنجيل يوحنا: "فكما يقيم الآب الموتى ويحييهم، كذلك يحيي الإبن من يشاء والآب لا يحاكم أحداً، بل أعطي الإبن سلطة القضاء كلها"[5]. وورد في نفس الإنجيل: "لأنه كما أن للآب حياة في ذاته، فقد أعطي الإبن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطةً أن يدين، لأنه ابن الإنسان"[6] هذان النصان اللذان يثبتان أن المسيح هو الذي يتولى الحساب يتناقضان مع نص ثالث في إنجيل يوحنا: "أما أنا فلا أحكم على

---

[1] إنجيل يوحنا 5: 22.
[2] أعمال الرسل 10: 43.
[3] قاموس الكتاب المقدس، ص 382.
[4] أعمال الرسل 17: 21.
[5] إنجيل يوحنا 5: 21.
[6] إنجيل يوحنا 5: 27 – 28.

أحد، مع أنه لو حكمت لجاء حكمي عادلاً، لأني لا أحكم بمفردي، بل أنا والآب الذي أرسلني"[1]، وكما نرى فإن النص الأول ينفي عن الأب الدينونة لأحد، ولكن المسيح وحده هو الذي يدين، لأن الآب أعطى كل الدينونة للإبن والنص الثاني يقرر ما ذكره النص الأول، أما النص الثالث فينفي في بدايته الدينونة عن المسيح، ثم بعد ذلك يثبتها له، ولكنه يدين مع الآب الذي أرسله. وهذا تناقض واضح وصريح بين نصين في إنجيل واحد[2]. ولعلي أترك الجواب للمسيحي لكي يجيب على هذا التناقض الواضح.

وكذلك ابن سبأ وأتباعه لم يبتعدوا كثيراً في تقولهم وكذبهم عن النصارى فـي تولـي علـي ـ رضي الله عنه ـ الجزاء والحساب، يقول البرسي[3] في كتابه: "مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين" إن الإمام علياً ـ رضي الله عنه ـ خطب خطبة تسمى بالتطنجية، إليك بعضاً مما تقوله على علي رضي الله عنه وعلي منه براء: قال: "أنا صاحب الخلق الأول قبل نوح الأول، أنا عندي مفاتح الغيب، أنا وليُّ الحساب، أنا الذي لا يبدل القول لدي، وحساب الخلق إلي، أنا باب الله الذي لا يفتح لمن كذب به ولا يذوق الجنة، أنا الذي بيدي مفاتيح الجنان، ومقاليد النيران، أنا ديان الدين، أنا محصي الخلائق وإن كثروا، أنا محاسبهم..."[4] فما تقول غلاة الشيعة في هذا؟ هل هذه أوصاف بشر أم إله؟

هذا هو اعتقادهم في علي ـ رضي الله عنه ـ يعتقدون أنه الرب، وأنه هو الحاكم على الخلق في الدنيا والآخرة. روى الكليني عن أبي جعفر بأن علي بن أبي طالـب ـ رضي الله عنه ـ "ينزل أهل الجنة منازلهم ويزوجهم، ويدخل أهل النار النار، وأبواب الجنة والنار إليه"[5].

---

[1] إنجيل يوحنا 8: 17 – 18.
[2] أنظر: فرج الله عبد الباري، يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية والإسلام، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2004م، ص 212.
[3] هو رجب بن محمد البرسي، والبرسي نسبة إلى قرية برس التي تقع بين الكوفة والحلة من علماء الشيعة الإمامية توفي سنة (813 هـ).
[4] البرسي، رجب بن محمد، مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص 166 – 170.
[5] أصول الكافي (2/159).

وفي بحار الأنوار: "أن علياً قال على منبر الكوفة: والله إني لديان الناس يوم الدين، وقسيم الله بين الجنة والنار لايدخلها داخل إلا على أحد قسميّ، وأنا الفارق الأكبر ..."[6].

بل إنهم تجاوزوا في ذلك، فحكم علي ليس خاصاً ببني آدم فقط، بل الملائكة يتحاكمون إليه بزعمهم، فقد افترى شيخهم المفيد على عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: "أتيت فاطمة صلوات الله عليها، فقلت لها: أين بعلك؟ فقالت: عرج به جبريل ـ عليه السلام ـ إلى السماء، فقلت: في ماذا؟ فقالت: إن نفراً من الملائكة تشاجروا في شيء، فسألوا حكماً من الآدميين، فأوحى الله تعالى أن تخيروا، فاختاروا علي بن أبي طالب"[2].

ويتمادى هؤلاء في غلوهم في علي، فيزعمون أن علياً يدخل الجنة من يشاء ويدخل النار من يشاء، جاء في كتاب علل الشرائع عن سماعة بن مهران، قال: "إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق، فيصعد عليه رجل، فيقوم عن يمينه ملك، وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب يدخل الجنة من يشاء، وينادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ يدخل النار من يشاء"[3].

ويتمادى المسيحيون وغلاة الشيعة في ذلك أيضاً، إذ يدعي المسيحيون أنهم سيدينون العالم، جاء في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس: "أما تعلمون أن القديسين سيدينون العالم؟ وما دمتم ستدينون العالم، أفلا تكونون أهلاً لأن تحكموا في القضايا البسيطة؟ أما تعلمون أننا سندين الملائكة؟ أفليس أولى بنا أن نحكم في قضايا هذه الحياة؟"[4].

وغلاة الشيعة يدعون أن الأئمة يدينون الناس يوم القيامة، فموقفهم من الأئمة واحد وإن كانت المنزلة العليا في تولي الحساب والجزاء يوم القيامة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

سادساً: صلاة النصارى فرادى، وصلاة الشيعة كذلك:

فالنصارى يصلون أغلب الصلوات فرادى مستدلين بما كان يفعله

---

[6] (?)المجلسي، بحار الأنوار، (26/153).
[2] (?)المفيد، الاختصاص، ص 213.
[3] (?) أمالي الصدوق، ص 164.
[4] (?) الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس 6: 2 – 3.

المسيح ـ عليه السلام ـ طيلة حياته كما هو مذكور في الأناجيل، بل كان يدعو إلى الصلاة الانفرادية بقوله: "أما أنت فعندما تصلي، فادخل غرفتك، وأغلق الباب عليك، وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، وأبوك الذي يرى في الخفاء، هو يكافئك"[1].

ويدل على ذلك أيضاً قول متى في إنجيله: "وبعد ما صرف الجموع، صعد إلى الجبل ليصلي على انفراد"[2]، إلا أن الأمر الثابت الصحيح أنه عليه السلام كان يصلي وحده في الأوقات الحرجة أو عزمه على أمر جليل[3].

ومنذ مطلع القرن الرابع الميلادي بدأ تأليف أول صلاة مسيحية عندما أمر مجمع نيقية (325م) بذلك. ثم بدأ المسيحيون في القرن السابع الميلادي بأداء الركوع المشابه للمسلمين، وبدأت الصلاة الجماعية في الكنيسة حيث يقوم الحاضرون بالترنيم والدعاء وأغلب وقتهم يقضونه جالسين. ولا يترتب على ترك الصلاة عندهم أي حكم ديني لأن الصلاة يعدونها من خصائص الإنسان ومن مشمولاته الشخصية[4].

وتتميز الصلاة الأسبوعية في يوم الأحد بخطبة يقدمها القس في موضع يقتضيه الحال وفيها وصف المسيح بأوصاف ما أنزل الله به من سلطان، وعندها يخر الحاضرون على ركبهم ويجثون. ويعقب الصلاة "العشاء الرباني" وهو تذكار العشاء الأخير الذي تناوله المسيح في حياته، أما الآن فيقوم مقامها النقود التي يقدمها الحاضرون إلى القسس[5].

أما الشيعة فقد ألغوا شعيرة من أعظم شعائر الدين وهي الصلاة مع جماعة المسلمين بعد اختفاء إمامهم المزعوم محمد بن الحسن العسكري[6]، فأكثر شيعة اليوم لا يصلون الجمعة، وإن دخل بعضهم فيها أحياناً مع غير الشيعة من باب التقية أو الحرص على مظهرية وحدة الصف[7]، ولما رأى الخميني أن زمن غيبة المهدي قد طالت، مما ترتب على ذلك تعطيل كثير من المصالح الدينية والدينوية عندهم، لجأ لحل هذه

---

[1] (?) إنجيل متى 6: 6.
[2] (?) إنجيل متى 14: 23.
[3] (?) انظر: الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال، العبادات في الأديان السماوية (اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام)، دار الأوائل، دمشق، ط1، 2001م، ص 159.
[4] (?) العبادات في الأديان السماوية، ص 162.
[5] (?) المرجع نفسه، ص 164.
[6] (?) انظر: الأصول العقدية للإمامية، ص 292.
[7] (?) المرجع نفسه، ص 292.

المشكلة بما أسماه (ولاية الفقيه) وأنه لابد أن يقوم من الفقهاء من ينوب عنه في تصريف شؤون الرعية[1]. إلا أن كثيراً منهم لا يؤدي الصلاة جماعة، وهذا الأمر يتناقض مع ما جاءت به النصوص الصحيحة في الكتاب والسنة الدالة على أهمية صلاة الجماعة[2].

والذي أريد إيضاحه أكثر أن الشيعة حتى وإن كانوا أكثر من خمسين أو مائة أو ألف ولم تتوافر شروط الفقيه في أحدهم صلوا فرادى.

سابعاً: عدد الحواريين عند النصارى، وعدد الأئمة عند الشيعة الإمامية: فنعرف جميعاً أن عدد الحواريين عند النصارى إثنا عشر كما هو مذكور في إنجيل متى وهم: "سمعان المعروف باسم (بطرس) ـ واندراوس أخو سمعان ـ ويعقوب بن زبدي ـ ويوحنا أخو يعقوب ـ وفيليبس ـ وبرثولماوس ـ وتوما ـ ومتى العشّار ـ ويعقوب بن حلفي ـ ولباروس الملقب (تدَّاوس) ـ وسمعان القانوني (الغيور) ـ ويهوذا الاسخريوطي[3].

والشيعة كذلك ساقوا الإمامة في اثني عشر إماماً رتبوهم تاريخياً على النحو التالي: علي ابن أبي طالب ـ والحسن بن علي ـ والحسين بن علي ـ وعلي (زين العابدين) بن الحسين ـ ومحمد (الباقر) بن علي ـ وجعفر (الصادق) بن محمد ـ وموسى (الكاظم) بن جعفر ـ وعلي (الرضا) بن موسى ـ ومحمد (الجواد) بن علي ـ وعلي (الهادي) بن محمد ـ والحسن (العسكري) بن علي ـ ومحمد (المهدي) بن الحسن[4].

وكذلك الأسباط وهم حفدة يعقوب عليه السلام وذراري أبنائه عددهم اثنى عشر وهم: "رأوبين، وشمعون ولاوى ويهوذا وزبلون ويساكر ودان وجاد وأشير ونفتالي وبنيامين ويوسف.

ثامناً: البابا عند النصارى والمرجع عند الشيعة: فالنصارى يأخذون جميع تعاليم دينهم من الباباوات إلى غير ذلك مما يضيفونه إليهم من القداسة والعصمة، بل ومغفرة الذنوب، وكذلك الشيعة عندهم المرجعيات ومنهم يأخذون تعاليم دينهم ودنياهم.

---

[1] انظر: بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود (2/676).
[2] المرجع نفسه (2/677).
[3] انظر: إنجيل متى 10: 1 – 5.
[4] انظر: الفرق الإسلامية، ص 156.

تاسعاً: عصمة البابا عند النصارى وعصمة الإمام عند الشيعة: فالنصارى يقرون بعصمة البابا، الذي تقرر عندهم في مجمع روما عام (1769م)[1]، حيث أصبح للبابا حق التشريع كرأس للكنيسة، وكذلك الشيعة الذين يقرون بعصمة الإمام عندهم، نقل الكليني في أصول الكافي: "قال الإمام جعفر الصادق: نحن قوم معصومون أمر بطاعتنا ونهي عن معصيتنا، نحن حجة الله البالغة على من دون السماء وفوق الأرض"[2].

إلى هنا أكون قد أتيت على كثير من الأمور التي تتشابه كثيراً بين النصارى وغلاة الشيعة، والتي كان أساسها قطعاً هما (بولس) و(ابن سبأ). اللذان استمدا أفكارهما من الديانة اليهودية وغيرها من الديانات الوثنية، ولا نستغرب ما أحدثاه إذا علمنا أن هذا هو ديدن اليهود منذ البدايات، فمحاولاتهم لتحريف الدين ليست وليدة تلك الأزمنة فحسب بل استمرت إلى وقتنا الحاضر، ولهذا رأيت أن أبين فيما بقي، استمرار اليهود في طرح الشخصيات المختلفة لتخريب الاديان في محاولة منهم للسيطرة على العالم.

---

[1] (?) انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 261.
[2] (?) أصول الكافي (2/142).

المبحث الثالث

استمرار اليهود في محاولاتهم لهدم المبادئ النصرانية والإسلامية

لقد رأت القيادة اليهودية ـ في سبيل تحقيق حلمها بعيد المدى ـ أن تقيم جداراً غليظاً بين الديانة اليهودية وبين الأديان الأخرى، ورأت أن أهم عامل على تدمير الديانات وجعلها في طوع اليهودية "التحريف والتدليس والتلبيس" في التاريخ لطمس الجرائم التي ارتكبتها وما تزال، وكانت تسلّم قيادة العمل في كل مرحلة إلى داهية خبيث من دهاتها، فبدأت بالنصارى وحاولت كسب عطفهم، بعد جرائمها السابقة التي ارتكبتها في حق المسيح نفسه، والمذابح العديدة التي قامت بها ضد المسيحية والمسيحيين على مر الزمن، وفي الأزمنة التي كان اليهود فيها ضعفاء عاجزين عن الفتك بالنصارى وإبادتهم كانوا يلجأون إلى الحرب الأدبية مستخدمين نفوذهم المالي في العالم لنشر الكتب التي تهاجم المسيحية وتتطاول على المسيح والسيدة مريم العذراء. وقد تم ذلك في أزمنة مختلفة تحت مسمع المسيحيين أنفسهم[1].

وبعد ذلك استطاعوا حمل الكنائس البروتستانتية على إزالة جميع النصوص والكتابات التي تتهم اليهود بصلب المسيح، وأصدر المجمع الفاتيكاني العالمي في روما عام (1960م) وعبر قيادة النصارى الدينية العليا وثيقـة تبرئ اليهود مـن فعلتهم النكراء بعيسى ـ عليه السلام ـ[2].

فكيف انقلبت العداوة بين اليهود والنصارى إلى صداقة وتعاون؟.

لقد كان لحركة الإصلاح الديني "البروتستانتية" أثر كبير في إحداث تغيير في طبيعة العلاقة بين اليهود والنصارى، والتغيير بدأ في القرن السادس عشر حين أطاحت هذه الحركة بحق الكنيسة في احتكار تفسير الكتاب المقدس، وتحديد النظرة المسيحية الفكرية، وتم بذلك إحياء النص التوراتي، وبدأ التفسير الحرفي للنصوص المتعلقة باليهود يحل محل

---

[1] انظر: التل، عبدالله، جذور البلاء، دار الإرشاد، بيروت، ط1، 1971م، ص 92.

[2] انظر: الساموك، موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة، ص 250.

التأويلات والتفسيرات التي تبنتها الكنيسة الكاثوليكية الأم، وبدأت النظرة إلى اليهود تتغير تدريجياً[1].

واعتمد هذا التغيير على المبدأ الذي نادى به "مارتن لوثر"[2]وهو إلغاء احتكار الكنيسة ورجال الدين حق تفسير الكتاب المقدس، وكان أخطر ما حملته مطالب لوثر دعوته للعودة إلى كتاب التوراة (العهد القديم) وإعادة قراءته بطريقة جديدة بالإضافة إلى اعتماد الطقوس العبرية في الصلاة عوضاً عن الطقوس الكاثوليكية المعقدة[3]. وقام (لوثر) بتعليق احتجاج صارخ على باب كنيسة مدينة (فينتبرج) في (31/اكتوبر / تشرين الأول عام 1517م) تضمن (95) نقطة طالب فيها بإلغاء الكاثوليكية آنذاك[4]. وقد حدث هذا الانقلاب اللوثري على الكنيسة بعد زيارته عام (1510م) لروما للتبرك بالمقر الرسولي، وكان يتمنى رؤية القديسين والرهبان الزهاد، غير أنه ما إن حل بروما حتى فوجئ بالفساد داخل الكنيسة الكاثوليكية على أعلى مستوياته، وكانت الكنيسة آنذاك تبيع صكوك الغفران، فأثرت تلك الصورة في نفسيته المتحمسة، فقرر إصلاح الكنيسة وتقويض سلطة البابا[5].

بداية تهويد المسيحية: مما زاد في غضب (لوثر) أن البابا في روما أرسل مندوبين يبيعون صكوك الغفران في ألمانيا ليجمع الأموال لإعادة بناء كنيسة القديس بطرس وتوسيعها وتجميلها (1518م) وهنا ثار (لوثر) وأعلن بطلان صكوك الغفران، واعتبرها وسيلة حقيرة لابتزاز الأموال، فتهيج الرأي العام، وغضب البابا، وأصدر قراره بحرمان (لوثر)،

---

[1] (?) انظر: هالسل، غريس، النبوءة والسياسة، ترجمة: محمد السماك، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط1، 1990م، ص6.

[2] (?) مارتن لوثر: مصلح ديني ألماني ومؤسس البروتستانتية، ولد في (آيسلين) عام (1483م) ومات في المدينة نفسها (1546م)، درس القانون حسب رغبة والده، لكن بعد أن سار (لوثر) في هذه الوجهة بوقت قليل نذر أن يدخل الدير تحت وقع الرعب الذي انتابه في أثناء عاصفة كاد أن يهلك فيها وتقيد بالتوجيهات التي تعطى إليه حتى عين مدرساً للاهوت عام (1509م)، عرض أفكاره في رسالته في حرية المسيحي (1520م)، ثم في كتاباته الاصلاحية، وما عاد يعترف إلا بالأسرار التي ورد ذكرها بالإسم في العهد الجديد. انظر: طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 542.

[3] (?) انظر: النبوءة والسياسة، ص 9.

[4] (?) انظر: آغا، اليهود فتنة التاريخ، ص 193.

[5] (?) المرجع نفسه، ص 114.

ولعنه، واعتباره من الخارجين على الكنيسة، وأهدر دمه وحرم قراءة كتاباته وإحراقها[1].

لجأ لوثر بعد ذلك إلى العمل السري، فعمل على استمالة اليهود الذين كان لهم نفوذ كبير في المجتمع، وأصدر كتابه (عيسى ولد يهودياً) سنة (1523م)، ويرى كثير من الكتاب والمؤرخين أن هذه الفترة هي الولادة الحقيقية والفعلية للمسيحية اليهودية، وقد أدى هذا الأمر إلى هجرة البروتستانت إلى أمريكا بعد صراعهم مع الكاثوليك، وأدى ذلك إلى آثار مباشرة وواضحة في بلورة الشخصية الأمريكية بالصورة التي نراها اليوم.

علاقة الإنجيليين[2] بالمسيحيين الصهاينة: لقد كان لحركة الاصلاح الديني التي قام بها (لوثر) وبعض أتباعه الدور الأكبر والأساسي في تحويل مسار العلاقة بين اليهود والنصارى من صراع دموي إلى تحالف استراتيجي، والأساس الأول الذي بنيت عليه الصهيونية المسيحية الملتزمة بدعم قيام كيان لليهود في فلسطين، ودعم إسرائيل بدون حدود[3].

والإنجيليون يتبعون المذهب البروتستانتي ولهم أنشطة واسعة الانتشار، وهم الذين جعلوا (ريجان) يوافق على أن العام (1984م) هو عام الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد[4]. ويمثلون أقوى الفئات المسيحية في أمريكا، ويقيم الإنجيليون تحالفاً معلناً وصريحاً ـ ليس فقط مع إسرائيل الدولة، بل مع الحركات والمنظمات الدينية اليهودية المعنية بإعادة بناء الهيكل[5]، ويظهر هذا الدعم لإسرائيل بصورة واضحة في الولايات المتحدة الامريكية، فكلما جاء رئيس جديد كان التزامه بدعم إسرائيل أكثر من سابقه وأوضح مثال (جورج بوش الابن) الأكثر تعصباً للصهيونية المسيحية[6]. إلا أن

---

[1] انظر: البار، دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 462.
[2] الإنجلية: حركة دينية مسيحية تتبناها جماعات من المحافظين البروتستانت تتميز تعاليمها بالتشديد على المعنى الحرفي لنصوص الكتاب المقدس، ظهرت هذه الحركة في أوروبا وأمريكا خلال القرن الثامن عشر، في عام (1846م) شُكِّل الاتحاد الإنجيلي في لندن، وتنامت هذه الحركة في أمريكا بسبب شعبية عدد من دعاتها. منشورة على شبكة الإنترنت على موقع www.wikpedia.com.
[3] انظر: دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 466.
[4] انظر: قبل أن يهدم الأقصى، ص 192.
[5] المرجع نفسه، ص 192.
[6] انظر: دراسات في العهد الجديد والعقائد النصرانية، ص 466.

من المسيحيين أنفسهم من يرى أن (لوثر) أفسد العقيدة المسيحية بمنحه اليهود مكانة رفيعة جعلتهم يستعملون المذهب البروتستاني لتحقيق أهدافهم الخاصة.

أما استمرار اليهود في محاولاتهم لهدم المبادئ الإسلامية فكثيرة جداً منها:

1. من الفتن التي حققها اليهود بأفكارهم وأقلامهم ومكرهم الإسرائيليات[1] حيث أجمع المؤرخون على أن كثيراً من البدع التي ألصقت بالإسلام لم تكن من الإسلام في شيء، وإنما كانت بفعل روايات إسرائيلية مغرضة لا صلة لها بالقرآن الكريم والسنة النبوية، بل تشتمل الإسرائيليات ما زجه اليهود في بعض التفاسير من ملاحم خيالية، وأحاديث مدسوسة، تساهل بعض المفسرين في نقلها. وشرع اليهود في تدبير كل هذا لإضعاف الإسلام وتشويهه منذ القرن الأول الهجري، وقد استغلها المستشرقون من اليهود وغيرهم للنيل من الإسلام[2]. ويمكن القول بأن حركة غزو الإسرائيليات للدين مرت في ثلاث مراحل:

أولاها: كانت لأحبار يهود في عصر البعثة، ممن تظاهروا بالدخول في الإسلام نفاقاً ليكيدوا به، فبثوا في الفكر الإسلامي إسرائيليات من تراثهم الديني وأسطوريات أسلافهم.

والثانية: تولى أمرها يهود مستشرقون تخصصوا في دراسة الإسلام، فوثّقوا الإسرائيليات بردِّها إلى مصادر من كتبهم، ثم أضافوا إليها شحنة من مقولات بثوها فيما نشروا، وسيطروا بها على المفكرين في العصر الحديث.

والثالثة: تكفل بها دعاة من قومنا، تلاميذ مدرسة الاستشراق ومن تأثروا بإسرائيلياتها عن فتنة واستهواء أو عن هوى وضلال، حملوها إلينا وروجوا لها في الفكر العام القديم منها والحديث[3].

2. ميمون بن ديصان المعروف بالقداح ورفاقه: وهو امتداد لسلسلة المكائد اليهودية، حيث لم تكد تخبو جذوة الفتنة السبئية حتى أعد اليهود مكيدة

---

[1] (?) انظر ما سبق ص 26.
[2] (?) انظر: اليد الخفية، ص 79.
[3] (?) انظر: عبد الرحمن، عائشة، الإسرائيليات في الغزو الفكري، دار غريب للطباعة، القاهرة، 1975م، ص 85.

جديدة قادها هذا اليهودي الذي ظهر في الكوفة سنة (276 هـ)[1]، فنشر مبادئ الإلحاد والهدم والإباحية تحت ستار التشيع لآل البيت، قاصداً بذلك إخفاء معالم دعوته، حيث ادعى انتسابه إليهم ولأولادهم من بعدهم، إلا أنه يهودي متعصب قال اليماني: "وكان هذا الملعون ـ يعني ميمون ـ يعتقد اليهودية ويظهر الإسلام، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة في الشام يقال لها "سليمة"، وكان من أحبار اليهود وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب"[2]. التقى ميمون في الكوفة برجل اسمه (حمدان بن قرمط) الذي تنسب إليه القرامطة، واتفقا على تأسيس جمعية سرية تعمل على هدم الإسلام ووضع المبادئ الإعتقادية الإلحادية، تحل للمنتسبين إليها كل ما يشتهون من قتل ومال ونساء وغير ذلك من صفات معهودة عند اليهود[3]، فالقرامطة استعملوا اليهود في دولتهم، في شؤون الإدارة والسياسة، ولا غرابة في ذلك، فهم الموجهون الحقيقيون للباطنية[4].

ظهر القرامطة سنة (281 هـ) أيام خلافة المعتضد بالله، واشتدت شوكتهم، وأرهبوا المسلمين وغدوا خطراً يهددون بإسقاط الدولة العباسية، ولعل أعظم مجزرة وحشية أقدموا عليها هي قتلهم لعشرات الألوف من الحجاج سنة (317 هـ) عندما استولوا على مكة فاقتلعوا الحجر الأسود من مكانه وحملوه إلى البحرين، ثم رُدَّ إلى مكانه بعد تدخل الخليفة الفاطمي الذي كان على علاقة حسنة مع القرامطة، فالحركة القرمطية عامل تخريب في قواعد الإسلام، تظاهرت بأنها تهدف إلى خدمة الطبقة الفقيرة، فخففت عنها أعباء المعيشة وأعباء الدين أيضاً، فرفعت فروض الصلاة والصوم وألغت شعائر الإسلام. لقد كانت اليد اليهودية في تلك المؤامرات متخفية إلى أن ظهر زيفهم وانكشفت نياتهم بما ارتكبوا من أخلاق رذيلة، وأعمال فاضحة، ومخالفة للشرائع واضحة[5].

---

[1] انظر: مكائد يهودية، ص 158.

[2] اليماني، محمد بن الحسن الديلمي، قواعد عقائد آل محمد، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، مكتبة اليمن الكبرى، اليمن، 1987، ص 13.

[3] انظر: جذور البلاء، ص 166.

[4] انظر: عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، منشورات المكتب الإسلامي، ط 1، 1969م، ص 24.

[5] انظر: جذور البلاء، ص 168.

3. الماسونية: هي منظمة يهودية سرية، تعمل في خفاء، محكمة التنظيم، ترتدي قناعاً إنسانياً إصلاحياً، تهدف من وراء ذلك إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتمهد لقيام دولة إسرائيل العظمى[1].

والماسونية كلمة خداعة توهم السامع بأنها مهنة شريفة، واسم الواحد منهم (Free Mason) ومعناها البنَّاء الحر، وهم يرمزون بها إلى البناء الذي سيبني هيكل سليمان، والذي يمثل بزعمهم رمز سيطرة اليهود على العالم[2]، ولها عدة شعارات خداعة فتحت شعار الحرية: تحارب الأديان (غير اليهودية) وتنشر الفساد والفوضى، وتحت شعار الإخاء: تحاول التخفيف من كراهية الشعوب الأخرى لليهود، وتحت شعار المساواة: تنشر الفوضى الاقتصادية والسياسية وتحرض على اغتصاب حقوق الناس وأموالهم وأعراضهم[3].

أما نشأتها فأغلب الظن أن الماسونية نشأت في بداية القرن الأول الميلادي حوالي سنة 43م[4]، عندما كان (حاخامات) اليهود يتوقعون قرب ظهور نبي جديد، وكانت تتلخص مهمة هذه الجمعية في التخلص والقضاء على الدين الجديد، وهو دين عيسى عليه السلام.

والماسونية قرينة الصهيونية إلا أن الصهيونية يهودية بحتة في مظهرها، وأسلوبها ومضمونها وأشخاصها، في حين أن الماسونية يهودية مبطنة فهي الوجه المقنّع لليهود، حيث تظهر شعارات إنسانية عامة[5].

أما طريقة دخول الماسونية: فإن ذلك يتم في جو مرعب مخيف وغريب، حيث يقاد إلى الرئيس معصوب العينين ثم يؤدي القسم، ويتعهد أمام الحاضرين أن يصون ويكتم الأسرار الماسونية ولا يطبعها، ولا يدل عليها أحداً، وأن يمنع بكل قدراته من يريد أن يفعل ذلك.

---

1 (?) انظر: القفاري، ناصر عبدالله، والعقل، ناصر عبد الكريم، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، الرياض، دار الصميعي، ط1، 1992م، ص 46.
2 (?) انظر: الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، ص 110.
3 (?) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب، ص 47.
4 (?) المرجع نفسه، ص 49.
5 (?) انظر: الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، ص 113.

وعلى المنضمين للمحافل أن يستلهموا الأفكار والتعليمات الماسونية ويدافعوا عنها، وإلا فهم مهددون بالاغتيال والقتل[6].

أنواع الماسونية: لقد تنوعت الماسونية حسب أهدافها التي رسمت لها من قبل اليهود إلى ثلاثة أنواع:

أ. الماسونية الرمزية العامة: وسميت كذلك لأنها جعلت الرموز لغة التحاور بين أعضائها، وتنقسم إلى درجات تبدأ بالدرجة الأولى إلى أعلى الدرجات، وهي الثالثة والثلاثون، ورمزها (م. م. م. 33) أي موسوي مسيحي مسلم[2].

وهذه الفئة من الماسونية عمومية يمكن أن يدخلها من كان، ولكن يختارهم روَّاد الماسون، ممن يرون بهم سمات رجال المستقبل الذي تسعى الماسونية إليهم، فهي تسعى إلى أن تضم إلى عضويتها رؤساء الدول والوزراء وكبار الشخصيات في البلاد التي تستهدفها لتحقق من خلالها مآربها، وتسهل لهم مآربهم أيضاً[3].

ب. ماسونية العقد الملوكي: وهي عبارة عن محافل ماسونية مقتصرة على اليهود من الماسون، وطورت قوانينها، لتسمح لبعض رؤساء محافل الماسونية الرمزية من الأمميين بالانتساب إليها، من الذين يبحثون عن مجد شخصي، والتي تمكنت الماسونية من إقناعهم أنه لن يتأتى لأي منهم الظهور والمجد والشهرة إلا بقوة خفية مقدَّسة[4].

ج. الماسونية الكونية الحمراء: وهي خاصة بكبار اليهود، بل إنهم رؤساء محافل ماسونية العقد الملوكي فقط، ومحصورة في محفل واحد لا غير، مكون من اثني عشر عضواً، وهؤلاء جميعهم منتخبون من كبار حاخامات اليهود وأحبارهم وكهنتهم[5].

أما أهداف الماسونية: فتتركز على القضاء على جميع الأديان غير اليهودية، وتكوين جمهوريات عالمية لا دينية تحت تحكم اليهود، والعمل على إسقاط الحكومات الشرعية، ونشر الإباحية والفساد، والسيطرة على

6(?) المرجع نفسه.
2(?) انظر: عرابي، سفر التاريخ اليهودي، ص 423.
3(?) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب، ص 51.
4(?) انظر: عرابي، سفر التاريخ اليهودي، ص 424.
5(?) انظر: الحمد، رسائل في الأديان والمذاهب والفرق، ص 116.

الإعلام، والمنظمات الدولية، وإقامة دولة إسرائيل (مملكة إسرائيل العظمى)، وتتويج ملك اليهود في القدس يكون من نسل داود، ثم التحكم في العالم، وتسخيره لما يسمونه شعب الله المختار[1].

4. يهود الدونمة: اشتهر لقب يهود "الدونمة" في تركيا، أطلقه العارفون من الأتراك على من يدعون الإيمان ظاهراً والكفر باطناً. وكلمة "دونمة" أو "دومنة" من تركيب تركي عامي، مركبة من "دو" أي اثنين (فارسية الأصل)، و"نمة" أو "منة" بمعنى نوع، أي الفرق القائمة على نوعين من الأصول، النوع اليهودي والنوع الإسلامي[2]. يقول الدكتور اسعد السحمراني: "يهود الدونمة هم يهود أظهروا الإسلام، وظلوا على عقيدتهم وإيمانهم بيهوديتهم، وذلك ليستروا حقيقة حالهم. وأتباع هذه الفرقة يقيم غالبهم في تركيا حتى يومنا هذا"[3].

ويهود الدونمة ـ في الأصل ـ من يهود إسبانيا الذين فروا منها بسبب الإضطهاد الديني الذي لحق بهم بعد خروج العرب المسلمين من إسبانيا، وإجبارهم على التنصر أو الرحيل، فهاجروا إلى الدولة العثمانية، وهم من أتباع "شبتاي زيفي" الذي ادعى أنه المسيح المنتظر، ثم ادعى دخول الإسلام خوفاً من العقاب والقتل، وبقي على دينه باطناً، وذلك في عهد السلطان "محمد أفندي"، ثم نفاه السلطان إلى مدينة "دلسيكنوفي" في "ألبانيا" حتى توفي فيها سنة (1676م)[4].

ليهود الدونمة دور كبير مستور في تاريخ الأتراك الحديث، وكان أخطر مؤامراتهم إسقاط الخلافة العثمانية في تركيا على يد "مصطفى كمال أتاتورك" الذي عبر عن صدق ولائه لهم، فأصدر مرسوماً يقضي بإغلاق الجمعيات الإسلامية، وتغيير نظام الميراث، ومنع الأذان باللغة العربية، ووصل إلى درجة في عداء الإسلام أكبر من عداء اليهود أنفسهم، فقال: "تمنيت أن أخلع الإسلام من تركيا كما أخلع حذائي هذا" ومنع لبس العمائم إلا في المساجد، ومنع الحجاب، وشجع الإباحية، وطاف في مدن تركيا مع زوجته وهي بثياب تتنافى والشريعة الإسلامية، وكان بذلك ينفذ أفكار

---

[1] (?) المرجع نفسه، ص 117.
[2] (?) انظر: ظاظا، الفكر الديني اليهودي، ص 310.
[3] (?) السحمراني، من اليهودية إلى الصهيونية، ص 98.
[4] (?) انظر: سفر التاريخ اليهودي ص 376. وانظر أيضاً: دراسات في اليهودية، ص 371.

وتوجيهات صديقته اليهودية "خالدة أديب" وهي من يهود الدونمة التي ادعت حبها للأدب والفنون فاسست مدرسة للخلاعة، لهدم البنية الأخلاقية في المجتمع التركي، وادعت حبها للمتاحف فحول لها "أتاتورك" بعض المساجد إلى متاحف[1].

كان من الطبيعي أن تدافع أجهزة الإعلام التركية الخاضعة للدونمة عن (إسرائيل) وتصنع لها رأي عام تركي مؤيد لإسرائيل وغير متعاطف مع العرب.

وفرقة يهود الدونمة (اليهود المنافقون) ليست وقفاً على تركيا أو غيرها من دول العالم ولكن هذه فرقة من ضمن الفرق التي يقيمها اليهود في كل وقت وفي كل عصر لتنفيذ مآربهم دون أن يشعر بهم أحد[2].

5. الصهيونية: وهي منظمة يهودية سياسية عنصرية تهدف إلى جمع اليهود في فلسطين، وإلى تنفيذ المخططات المرسومة لإعادة مجد بني إسرائيل، وبناء هيكل سليمان، ثم إقامة مملكة إسرائيل، ثم السيطرة على العالم مستخدمة العنف لغرض الوصول إلى أهدافها[3]. وكانت مهمتها في مراحلها الأولى تحريض اليهود على العودة إلى أرض فلسطين، وتأسيس دولة إسرائيل الكبرى، أما في العصر الحديث فقد بدأت نواتها الأولى عام (1806م) حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من نابليون لاستغلال أطماع اليهود، وتحريضهم على مساعدته.

والصهيونية الحديثة هي المنسوبة لـ "تيودر هرتـزل"[4] الصحفـي اليهـودي النمسـاوي (1860 – 1904م) وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم.

أقام (هرتزل) أول مؤتمر صهيوني عالمي في (بازل) بسويسرا عام (1897م)، ونجح في تجميع يهود العالم حوله، كما نجح في جمع دهاة اليهود الذين صدرت عنهم أخطر مقررات في تاريخ اليهود، هي (بروتوكولات حكماء صهيون)[5] ومن ذلك الوقت بدأ حكماء اليهود يتحركون بدقة ودهاء

---

[1] انظر: سفر التاريخ اليهودي، ص 337.
[2] انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص 374.
[3] انظر: الساموك، مقارنة الأديان، ص 90، وانظر أيضاً: رسائل في الأديان والفرق، ص 94.
[4] انظر: ما سبق، ص 45.
[5] انظر: ما سبق، ص 24.

وخفاء، لتحقيق أهدافهم التدميرية، وقد توصل المؤتمر إلى نتيجة ملخصها: "إن مصدر الخطر الحقيقي على الدول الاستعمارية إنما يكمن في المناطق العربية من الدولة العثمانية، لا سيما بعد أن أظهرت شعوبها يقظة سياسية ووعياً قومياً ضد التدخل الأجنبي والهجرة اليهودية والحكم التركي أيضاً"[1]، فبدأ الصهاينة بمحاولة الإطاحة بالخلافة الإسلامية، حتى تحقق لهم ما يريدون عام (1924م)[2].

استخدمت المنظمة الصهيونية العالمية وسائل عدة من أجل كسب الجالية اليهودية في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها، وركزت على عدة شعارات ونداءات منها: أن الصهيونية شارة الشرف اليهودي، واليهودي الذي لا يهتم بشعبه لا يتهتم بقضيته، وأن ما تحقق من أعمال على أيدي اليهود في فلسطين هو نجاح عظيم ومثال حي للجنس البشري بأسره، ويجب على يهود الولايات المتحدة أن يقدموا كل الدعم والمساعدة لباقي اليهود في العالم. بل قامت المنظمة الصهيونية بتزويد الصحافة الأمريكية بمئات المقالات والبيانات الموجهة لخدمة الصهيونية، بالإضافة إلى توزيعها عام (1943 – 1944م) أكثر من مليون نشرة وكراس عن المكتبات ورعاة الكنائس والمراكز الإجتماعية[3]، وعلى المحررين والكتّاب الذين ساعدوا على انتشار الصهيونية في الولايات المتحدة، ولذلك نرى أن الصهيونية هي التي تسيطر على أجهزة إسرائيل فصهيونية اليوم هي صهيونية الأمس التي لن يهدأ لها بال، إلا بمواصلة مساعيها في إقامة دولة تجمع شتات اليهود في العالم، مسيطرين عليه ولو على حساب القيم والمبادئ والأخلاق[4].

لقد صاغت الصهيونية أفكارها واستمدتها من (بروتوكولات حكماء صهيون) والتي نشرت لأول مرة عام (1905م) ومن تلك المعتقدات والأفكار ما يلي:

أ. أنها تعد جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية.

---

[1] انظر: من اليهودية إلى الصهيونية، ص 192 – 193.

[2] انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، ص 95.

[3] أبو ستة، أيمن محمد علي، (2003م). نشاط المنطقة الصهيونية العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية (1897 – 1948م)، إشراف: محمد عبد اللطيف عبد الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص 69.

[4] حجازي، الصهيونية نشأتها وقيادتها ومنظماتها السرية، ص 80.

ب. تهدف إلى إقامة حكومتها، وسيطرة اليهود على جميع العالم كما وعدهم إلههم (يهوه).

ج. العمل على دفع الزعماء إلى قبضتهم، وتعيينهم واختيارهم حسب وفرة أنصبتهم من الأخلاق الدنيئة[1].

د. هدم الدين من قلوب الشعوب، ونزع فكرة وجود الله من العقول، وإحلال القوانين الرياضية المادية مكانها.

هـ. السيطرة على دور النشر والمجلات والصحف.

و. العمل على محو القيم الاجتماعية، والبدء بمرحلة تغيير الجامعات، وتأسيسها حسب مخططاتهم. وغير هذا الكثير[2].

6. البهائية: نسبة إلى "بهاء الله" اللقب الذي أطلق على "حسين علي بن الميرزا عباس بزرك المازندراني النوري (1817 – 1892م)، نسبة إلى (مازندران) في إيران، اشتهر باسم (بهاء الله) وهو لقب يعني حلول الله بنوره وظهوره فيه. ولد الميرزا في أسرة كانت لها علاقات طيبة وطيدة مع السفارة الروسية بطهران[3]. درس علوم الصوفية، واطلع على كتبهم كما كان مطلعاً على كتب الباطنية وكتب الفلاسفة. لذلك نجد تعاليم البهائيين لا ترتبط بها فكرة موحدة، وإنما هي أخلاط من الأقوال التي أخذها الميرزا حسين من المذاهب والأديان السابقة، وتعود جذورها إلى البابية التي ظهرت في القرن الثالث عشر الهجري في إيران، على يد رجل شيعي يدعى (الميرزا علي محمد الشيرازي)[4] الذي ظهر بفكرة الباب إلى المهدي المنتظر، وسبب تسميته بالباب زعم الشيعة أن المهدي محمد بن الحسن العسكري دخل في الغيبة، وأن الطريق إليه

---

[1] المرجع نفسه، ص 99.

[2] لمزيد من الاطلاع ارجع إلى كتاب: بروتوكولات حكماء صهيون، عجاج نويهض، وانظر أيضا: التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط10، 2003م.

[3] انظر: عبد المنعم، نمر، النحلة اللقيطة في البابية والبهائية، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط1، 2001م، ص21.

[4] ولد في شيراز عام (1819م) ولم يكن جاداً في تحصيل العلوم، آراؤه ومعتقداته تدل دلالة واضحة على أنه كان متصلاً بالصوفيين الحلوليين، إدعى انه الباب إلى الإمام المنتظر ثم ادعى أنه هو نفسه، ثم ادعى النبوة، ثم تعداها إلى ادعاء الربوبية عن طريق حلول روح الإله فيه، استتيب فلم يتب ورجع إلى الدعوة إلى معتقداته الفاسدة، فأصدر العلماء فتوى بقتله، ونفد الحكم عام (1850م). انظر: الحمد، محمد بن إبراهيم، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 2006م، ص 272.

إنما يكون عن طريق الأبواب. ومن معتقدات البابية وتعاليمهم نسخ الشريعة الإسلامية والعمل على ذلك، وإنكار جميع أمور الآخرى والتأويلات الباطنية وتقديس الرقم (19)[1].

علاقة البهائية باليهود:

الحركة البهائية من الحركات التي نشأت تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية، فبعد إخفاق الحركة البابية في إيران، وإعدام الميرزا، ومطاردة أتباعه أرادوا أن يخطوا الخطوة التالية، وهي دفع تلميذ من تلامذة الباب إلى إعلان ظهوره ليساهم في هدم مبادئ الإسلام وإبطال الجهاد[2]. وهيأوا له الظروف الملائمة، فساعدوه في بغداد، متعاونين مع الأوساط الإستعمارية، ثم نقلوه إلى تركيا، ومنها دبروا نقله إلى عكا، حيث المؤامرة الكبرى. التي كانت تنص على أن يعلن الميرزا نفسه رباً للجنود، ومسيحاً جاء لهداية العالم، مستدلاً على ذلك بما جاء في التوراة من آيات تشير بمجد يهودا، وبعبارة أخرى أراد الميرزا ـ حسب مخطط اليهود ـ أن يثبت أحقية اليهود في فلسطين، فاتخذ من فكرة تجمع اليهود فيها دليلاً على أنه هو المقصود بما جاء في التوراة حول ظهور الأب السماوي، والمجد الأبوي[3].

لقد قضى (الميرزا حسين) حياته في الدعوة إلى التجمع الصهيوني على أرض فلسطين، قال في كتابه الذي زعم أنه وحي ينزل عليه من السماء: "هذا يوم فيه فاز الكليم بأنوار القديم ... هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقاً للقائه وصاح الصهيون قد أتى الوعد، وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعالي العزيز المحبوب"[4].

ويقول ابنه (عبد البهاء عباس) عن هذه الدعوى الماكرة لهذا التجمع الصهيوني: "وفي زمن ذلك الغصن الممتاز، وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة"[5] ولا يكتفي بهذا بل يدافع عنهم

---

[1] عبد الحميد، محسن، حقيقة البابية والبهائية، منشورات المكتب الإسلامي، ط1، 1969م، ص 49 – 51.

[2] المرجع نفسه، ص 188.

[3] المرجع نفسه، ص 188.

[4] المرجع نفسه، ص 189.

[5] انظر: اليد الخفية، ص 141.

فيقول: "وقد اعتبر المسيحيون والمسلمون أن اليهود شياطين، وأنهم أعداء، ولذلك لعنوهم واضطهدوهم، وقتلوا الكثيرين منهم، وأحرقوا منازلهم، ونهبوا أموالهم، وأسروا أطفالهم"[1].

من هنا يتبين لنا عمق العلاقة التي تربط البهائيين باليهود، التي استمرت حتى وقتنا هذا، فقد كان عباس أفندي أحد زعماء الحركة البهائية يرى أن الخلاص مرتبط بعودة اليهود إلى أرض الميعاد، وكتب أشوجي أفندي رباني أحد زعمائهم أيضاً عام (1948م) إلى أحد زعماء الصهيونية يعبر فيها عن أطيب تمنياته من أجل رفاهية الدولة الجديدة مشيراً إلى أهمية تجمع اليهود في "مهد عقيدتهم" وقامت الجماعة اليهودية بإعداد قصر ضخم في حيفا حتى يكون مزاراً لكل بهائيي العالم[2].

7. الاستشراق: لقد نجح اليهود في التسلسل إلى حقل الاستشراق، الأكثر تمشياً مع فكرهم الذي يقوم على إخفاء ديانتهم، وارتداء كل ما من شأنه توصيلهم إلى أهدافهم، فالثابت تاريخياً أن المستشرقين اليهود استطاعوا أن يكيفوا أنفسهم ليصبحوا جزءاً من الحركة الاستشراقية الأوروبية ويكونوا عنصراً أساسياً في إطار الحركة الاستشراقية الأوروبية النصرانية، فقد دخلوا هذا المجال بوصفهم الأوروبي لا بوصفهم اليهودي[3]، لأنهم يدركون أن في الإفصاح عن الهوية اليهودية ما سيثير الحفائظ ضدهم، ويؤدي إلى عزلهم، وبالتالي يقل أثرهم الهدام، لذلك ألغوا مسمى "الاستشراق" فقد اجتمع المستشرقون في مؤتمرهم السنوي قبل أكثر من سبعين عاماً، ليعلنوا أنهم قد ألغوا الاستشراق، وأن الاجتماعات القادمة ستكون تحت اسم "مؤتمر العلوم الإنسانية"[4].

لقد تحرك الاستشراق اليهودي، وتعرف على المخططات التي يقوم بها المستشرقون في سبيل احتواء الفكر الإسلامي والتاريخ الإسلامي، وسيطروا على معظم كراسي الأدب العربي والدراسات الإسلامية، بل أعطوا أولئك المستشرقين شهادات عليا تكرمة لهم عن محاولاتهم لهدم

---

[1] المرجع نفسه، ص 140.
[2] المرجع نفسه، ص 141.
[3] انظر: زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الشروق، القاهرة، 2002م، ص 25.
[4] الجندي، أنور، إطار إسلامي للفكر المعاصر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1981م، ص 17.

المفاهيم العربية الإسلامية[1]، واتصل الأمر بمؤامرات ومؤتمرات لتحريف التاريخ الإسلامي وفي مقدمتها "مؤتمر بلتيمور" الذي عقد عام (1948م)، الذي حضره لفيف من قادة الصهيونية، استهدف تنظيم عمليات تزييف تاريخ العرب ومضاعفتها، وإخراج دراسات جديدة تحمل الشبهات التي تتصل بمؤامرات القرامطة والباطنية وغيرهم، وإعادة طرح أفكارها وتاريخها في أفق الفكر الإسلامي بوصفها حركات تهدف إلى العدالة الاجتماعية[2].

وسأذكر بعض أسماء المستشرقين اللامعة اليهودية الخطيرة في مجال الاستشراق:

1. جولد تسيهر (1850 – 1921): ولد في هنغاريا (المجر حالياً)، وقصد أشهر مدارس الاستشراق، تخرج باللغات السامية على كبار أساتذتها في (بودابست)، عين أستاذاً محاضراً في كلية العلوم بجامعة بودابست (1873م) انتدبته الحكومة للقيام برحلة إلى سوريا، ثم تركها إلى فلسطين ومصر حيث تضلع من العربية على شيوخ الأزهر. يعد من أعلام المستشرقين، إشتهر بتحقيقه كتب تاريخ الإسلام وعلوم المسلمين وفرقهم وحركاتهم الفكرية[3]، وأهم كتبه (العقيدة والشريعة في الإسلام) وله أيضاً كتاب (مذهب المسلمين في تفسير القرآن).

ولا جدال في أنه كان واسع الإطلاع، كثير الإنتاج، ذائع الشهرة، وقد مكنه ذلك من الدس على الإسلام في كتاباته، مع القدرة الفائقة على التمويه والخداع ومن هنا تكمن خطورته[4].

وجولد تسيهر يحاول في مجمل رأيه أن يصور الفقه الإسلامي بأنه من صنع الصحابة والتابعين، وأن السنة من وضع الصحابة والتابعين نقلاً عن الشريعة الرومانية، كما هاجم القرآن واتهمه بالتناقض وعدم الوضوح. وإذا وجد الجرأة على آيات القرآن، فإن السنة أرحب عنده مجالاً وأيسر منالاً وأقرب مدخلاً، ومن ذلك دعواه الفاحشة المرسلة التي يحكم بها على الحديث النبوي جملة، كقوله: "إذا ما نظرنا إلى المواد المعتبرة في

---

[1] المرجع نفسه، ص 18.

[2] المرجع نفسه، ص 19.

[3] انظر: العقيقي، المستشرقون (3/906).

[4] انظر: عليان، محمد عبد الفتاح، أضواء على الإستشراق، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1980م، ص 113.

الحديث، ونظرنا إلى الأدب الديني اليهودي، فإننا نستطيع أن نعثر على قسم كبير دخل الأدب الديني الإسلامي، من هذه المصادر اليهودية"[1] لقد كان مدفوعاً في كتاباته بغرض سياسي خاص هو إظهار أن التشريع الإسلامي كان قابلاً للمؤثرات الغربية، دون أن يكلف نفسه إيراد شواهد من نصوص الحديث أو من المصادر اليهودية للأدب الديني تدل على دعواه.

2. صموئيل زويمر (1867 – 1952): رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، هو رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين ورئيس جمعيات التنصير. تولى إدارة مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية التي أنشأها سنة (1911م)، دخل البحرين عام (1890م)، وفي عام (1894م) قدمت له الكنيسة الإصلاحية الأمريكية دعمها الكامل، يعد من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث، أسس معهداً باسمه في أمريكا لأبحاث تنصير المسلمين، له مصنفات في العلاقات بين المسيحية وبين الإسلام، أفقدها بتعصبه واعتسافه وتضليله قيمتها العلمية منها: "بلاد العرب منذ الإسلام"، و"الإسلام في العالم" وغيرها[2]. أدار عدداً من المؤتمرات التبشيرية من إدنبره في انجلترا ـ إلى لكنهو في الهند، وصموئيل هذا يهودي مات على اليهودية عام (1952م) يدَّعي "زويمر" أن المسلمين في تعريفهم لإلههم يختلف عـن تعريف المسحيين؛ فإلـه المسلمين ليس لـه قداسـة ـ في نظره ـ[3]. ويقول هذا اليهودي في مؤتمر القدس التبشيري عام (1935م) "مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً ... وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"[4].

يقول الأستاذ "عبدالله التل": "وأعجب العجب أن يعلم القارئ بأن صموئيل زويمر الذي قاد معارك التبشير طوال ستين عاماً، كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه، وذلك بأن طلب حاخاماً يلقنه

---

[1] انظر: الإسرائيليات في الغزو الفكري، ص 129.
[2] العقيقي، المستشرقون (3/1005).
[3] انظر: جذور البلاء، ص 207.
[4] المرجع نفسه، ص 275 – 276.

في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره، وقد أخبرني راهب من أصدقائي أيام معركة القدس، أن الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل، ولا تبوح به، حتى لا تتكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانيةـ"[1]. لقد كان صموئيل زويمر وجولدتسيهر وأمثالهم من اليهود المستشرقين، يفحصون تراثنا ويحصون ما نشب في الفكر الإسلامي من إسرائيليات سلفهم، ليصوبوا منها السهام إلى الموقع الديني الذي امتنع طويلاً على الأعداء.

وهناك أفراد من اليهود دخلوا الديانتين الإسلامية والنصرانية لخدمة أغراض اليهود ومصالحهم ومحاربة الإسلام والنصرانية من الداخل بعيداً عن مسمى الاستشراق ومن هؤلاء:

1. دزرائيلي (بن إسرائيل) (1804 – 1881م): سياسي بريطاني ومسيحي في الظاهر، تولى رئاسة الوزراء غير مرة، من أخطر "حكماء صهيون" في العصر الحاضر[2]. ولد بنيامين ابن إسرائيل (الذي حول اسمه إلى دزرائيلي) في لندن عام (1804م) وختن ختاناً يهودياً في اليوم السابع من ميلاده، اعتنق أبوه المسيحية سنة (1817م) ثم تبعه إبنه في ذلك، واشتهر عنه فيما بعد بالرغم من اعتناق المسيحية أنه بذل روحه ومهجته في سبيل تعزيز قوة إنكلترا وترسيخ قدمها في الشرق وخاصة في فلسطين، وذلك لتحقيق مطامع اليهود ومراميهم في أرض الميعاد، وهو الذي اشترى حصة مصر من أسهم القناة (قناة السويس) عندما باعها الخديوي إسماعيل وفاء لديونه، ليكون وجود اليهود في فلسطين حارساً لقناة السويس شريان المواصلات البريطانية الهام على طريق الهند، وبعد سنة رُقي دزرائيلي إلى اللوردية، وبقي في سدة الحكم إلى (1880م) ومات عام (1881م).

لقد كانت كتابات اليهودي المتنصر "دزرائيلي" ذات تأثير عظيم في اجتذاب العطف على اليهود، فقد حمل قضية التميز اليهودي التي اعتبرها "سيجمند فرويد" قوة البقاء العنصري، إذ لم يكن أمام "دزرائيلي" ـ وقد رفض الإندماج ـ إلا أن يسقط في الفخ نفسه، يقول في مقتطفات من

---

[1] المرجع نفسه، ص 228.

[2] انظر: عرابي، رجا عبد الحميد، سفر التاريخ اليهودي، الأوائل، دمشق، ط1، 2004م، ص 386.

روايته "دافيد آلروي" (1833م): "إن كل شيء عرق، ليس ثمة حقيقة أخرى، ففي الحقيقة إنك لا تستطيع أن تهدم عرقاً صافياً، إنها حقيقة سيكولوجية، إنها قانون الطبيعة البسيطة"[1]، وفي كتابه "كوننغربي" يعرض صورة شخصية يهودية تدعى "سيدونيا" يحاول فيها عرض هذه الشخصية ويصورها بالصورة التي يريد من الناس أن يروه فيها، محاولاً إخفاء كثيراً من الحقائق التي طالما عرفت عن اليهود. وقد عرفت الصهيونية له فضل هذا العمل فكان بمثابة الأرضية التي مهدت لوعد "بلفور" وعملها على قيام دولة لليهود في فلسطين[2].

2. تشارلز داروين (1809 -1882م): ولد في مدينة شروزيري في بريطانيا، توفيت والدته وهو في الثامنة من عمره وتولت تربيته أخته الكبرى عام (1825م)، ذهب إلى أدنبرة في أسكتلندا لدراسة الطب ولكنه لم ينجح وكره دراسته، انتقل إلى كامبرج حيث درس العلوم الدينية في كلية المسيح سنة (1828م)، كان يبدي ميولاً كبيرة لتجميع ودراسة الحشرات والنباتات ودراسة الكتب الطبيعية والجيولوجية، قام بنشر العديد من المقالات والأبحاث عن اكتشافاته الجيولوجية والحيوانية. في عام (1859م) أظهر جزءاً من نظريته التي تتعلق بالاختيار الطبيعي (التطور) وأصدر كتابه الأول (اصل الخلائق عن طريق الاختيار الطبيعي)، وفي عام (1871م) أصدر كتابه الثاني (ظهور الإنسان والاختيار بالنسبة للجنس)، وفي عام (1882م) توفي تشارلز داروين بعد معاناة طويلة من مرض (تشافاس)، والذي انتقل إليه من عض حشرة أثناء وجوده في البرازيل وقد خلف ثمانية أبناء[3].

تقوم نظرية داروين على افتراض تطور الحياة في الكائنات العضوية من السهولة وعدم التعقيد إلى الدقة والتعقيد، وأن الفروق الخلقية داخل النوع الواحد تنتج أنواعاً جديدة مع مرور الأحقاب الطويلة، فهو يفترض أن

---

[1] كنعاني، عدنان، دراسة في الأدب الصهيوني، مقال منشور على الإنترنت على موقع www.arabicstory.com.

[2] انظر: عجاج نويهض، بروتوكلات حكماء صهيون (2/279).

[3] حقيقة نظرية داروين، حامد إسحاق خوجة، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منشورة على شبكة الإنترنت على موقع www.nooran.org.

أصل الكائنات العضوية ذات الملايين من الخلايا كائن حقير ذو خلية واحدة وهي (الأميبا)[1].

وحسب قانون "الانتفاء الطبيعي وبقاء الأنسب" نمت في نظر داروين الأنواع التي استطاعت التكيف مع البيئة ومصارعة الكوارث المفاجئة وتدرجت في سلم الرقي في حين هلكت التي لم يحالفها الحظ في ذلك.

وهذه النظرية في حقيقتها أدت إلى تأصيل الكفر بالله وإصباغ الصبغة المزيفة على قضية الكفر والإلحاد، وخلافاً لما يروج له أنصار هذه النظرية فإن النظرية لم يكن همها في قضية تطور الكائنات الأولى، إلا إنكار وجود خالق وإظهار تفوق العنصر الغربي (الأوروبي)[2]، بل أدت إلى نفي فكرة الغاية والقصد التي أرادها الخالق واقتضتها حكمته النافذة، فلما ظهرت هذه النظرية ونادت بأن الإنسان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة لم يعد هناك ما يدعو إلى التفكير في الغاية من خلق الإنسان[3].

ونظرية داروين لم تكتف بأن جعلت بين الإنسان والقردة نسباً بل زعمت أن الجد الحقيقي للإنسان هو جرثومة صغيرة عاشت في مستنقع راكد قبل ملايين السنين، وهذه النظرية هي الأساس الذي قامت عليه نظرية "فرويد" الجنسية، ودوركايم الاجتماعية وغيرهما من النظريات.

وأستطيع أن أقول إن اليهودية الحاقدة كان لها أثر بارز في نشر هذه النظرية في مختلف مجالات الحياة وميادين الفكر جاء في بروتوكولات حكماء صهيون بالبرتوكول الثاني "لا تتصوروا تصريحاتنا كلمات جوفاء ولاحظوا هنا أن نجاح داروين وماركس ونيتشه قد رتبناه من قبل والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي سيكون واضحاً لنا على التأكيد"[4].

3. كارل ماركس (1818 – 1883م): فيلسوف واقتصادي ألماني، ولد في (تريير)، اضطر أبوه إلى تغيير ديانته اليهودية إلى المسيحية ليتمكن من ممارسة مهنته، أما أمه فبقيت يهودية، ولم تعتنق البروتستانتية إلا في

---

[1] انظر: الحوالي، العلمانية، ص 178.
[2] المرجع نفسه، ص 178.
[3] المرجع نفسه، ص 193.
[4] التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط10، 2003م، ص 106.

عام (1825م)، وهكذا صار كارل ماركس مسيحياً في عامه السابع، التحق بجامعة (بون)عام (1835م) لدراسة القانون، وأظهر اهتماماً بالفلسفة رغم معارضة والده الذي أراد له أن يصبح محامياً، وقام بتقديم رسالة الدكتوراه في الفلسفة عام (1841م)[1]. ولما مات أبوه جعل يسترسل في حقه في الميراث حتى مال على نصيب أمه وأخوته وضاقت أمه بهذه الأنانية المفرطة الحمقاء، ولقد كان شرهاً يحب ملكية المال فعندما خطبت ابنته (لورا) رد خطيبها ريثما يتحقق من صحة ميراث الخطيب أنه أحد أبناء ملاك الإقطاع في أمريكا الجنوبية. وبسبب الفاقة وسوء التغذية وعدم صلاحية السكن كانت الأمراض تصيب أفراد أسرة ماركس، مات سنة (1883م). ألف كتاب "المسألة اليهودية" وكتاب "رأس المال" تعرض من أجل بعض ما كتب لهجوم اليهود والمسيحيين عليه، وتتناول آراؤه: إنكار وجود الله، واعتبار المادة أزلية أبدية، وهي كل شيء في الوجود، والشيوعية هي المذهب الاقتصادي الذي يقوم على إلغاء الملكية الفردية شيئاً فشيئاً حتى تدخل وتندمج في ما هو أكبر منها وهكذا إلى أن تنحصر هذه الأملاك في أيدي معدودة، وجعل الدول الممثلة للمجتمع هي المالكة لكل شي[2]. ومن أفكاره إقامة نظام اجتماعي في الدولة الشيوعية تطلق فيه الحريات الشخصية على أوسع مدى، بشرط أن لا تمس المبادئ الشيوعية أو نظام دولتها وأوامرها، وحينما تصل الدولة الشيوعية إلى غايتها، تلغى الأسرة وتكون العلاقات أو الممارسات الجنسية مشاعاً فكل الرجال لكل النساء، أما الذرية فهي للدولة الشيوعية، وتلغى الأخلاق والقيم المتعارف عليها بين الناس، وتقوم بدلاً منها الطاعة للدولة الشيوعية، مهما كان منافيه للأخلاق.

لقد بثت الشيوعية وآراء ماركس الأحقاد والفرقة والعداوة بين المجتمعات وأوجدت صراع الطبقات، ونشرت الإلحاد والفساد والإباحية، وحاولت القضاء على الأديان عدا اليهودية، إذ لليهود في معظم الحكم

---

[1] (?) انظر: طرابيشي، معجم الفلاسفة، ص 571.

[2] (?) انظر: شلبي، رؤوف، التضليل الماركسي، دراسة مقارنة للسخيمة الشيوعية، دار القلم، الكويت، ط2، 1981م، ص 87.

الشيوعي تمكين سري، وحماية وحصانة، ومعاملة خاصة[1] ليست لغيرهم، واتهمت الأديان بالتخلف والرجعية، وسعت لهدم الضمير الديني وحاولت جعل العبادات مجرد عادة لا تقوم على الشعور الديني والتركيز على الأذهان[2].

4. سيجموند فرويد (1856 – 1939م): ولد في مدينة فريبورج بجمهورية (تشيكوسلوفاكيا) من أبوين يهوديين، تعلم في حداثته اللغة العبرية، ويهوديته ممتدة إلى الجوانب الثقافية والوجدانية والعقائدية، التحق بالجامعة عام (1873م)، واشتغل بالطب، تمت بعد ذلك تزكيته لمنصب مدرس بقسم الطب العصبي بالجامعة، كان جل أصدقائه من اليهود وما كان ليأنس لغيرهم، كان دائماً ما يجهر بعدم الإيمان بالله، ويعد الدين وهماً ولوناً من المرض النفسي الوسواسي[3]، كانت له علاقة بتيودرهرتزل [4] وسعيا معاً لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية التي ينتميان إليها، يقول أنور الجندي: "هناك في حياة فرويد ما يوحي بأنه كان صديقاً لـ "هرتزل" الذي حمل لواء الدعوة إلى الصهيونية والذي كان على رأس مجموعة الحاخامات الثلاثمائة في "بازل" عام (1892م) ومعهم صحائف بروتوكولات صهيون"[5].

ذكر المليونير اليهودي "ولتر راثنون" في جريدة ألمانية (The wiener press) بتاريخ (25/12/1909م) أن هنالك (300) رجل كل منهم يعرف جميع زملائه الآخرين، يتحكمون في مصير أوروبا، إنهم ينتخبون خلفاءهم من الأشخاص المحيطين بهم، وهؤلاء اليهود يملكون الوسائل التي تمكنهم من القضاء على أية حكومة لا يرضون عنها"[6]. طرح فرويد عدة مفاهيم ونظريات ما هي إلا أصول للفلسفة التلمودية الصهيونية اليهودية مصاغة في قالب براق يظنه الجاهل علماً، سعى من خلاله إلى هدم العقائد

---

[1] انظر: الحمد، محمد بن إبراهيم، الشيوعية، دار ابن خزيمة، الرياض، ط1، 2002م، ص 63.

[2] المرجع نفسه، ص 64.

[3] انظر: جرجس، صبري، التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي أضواء على الأصول الصهيونية لفكر "سجمند فرويد"، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1970م، ص 222.

[4] انظر ما سبق ص 45.

[5] الجندي، إطار إسلامي للفكر المعاصر، ص 83.

[6] الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن، حقيقة اليهود، سلسلة نصائح إسلامية، ص 62.

والأخلاق الدينية، واستغلال النوازع والغرائز، ونشر الإلحاد، لضرب الإسلام والمسيحية وتدميرهما[1].

لقد طرح مفاهيم تدعو إلى الانحلال والإباحية، وتتلخص نظرية "فرويد" للنفس الإنسانية بأنها تنبع من جانب واحد من جوانب الحيوان، هو الجنس المسيطر على كل أفعال الإنسان. فحقيقة الإنسان الباطنية العميقة ليست الطاقة الشهوانية فحسب، وإنما هي على وجه التحديد الطاقة الجنسية، فالمولود يرضع ثدي أمه بدافع جنسي، ويتبرز بدافع جنسي، ويتعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده، أما الدين عند "فرويد" شعور بالندم استولى على أبناء الأسرة البشرية البدائية الأولى حين قتلوا أباهم، ولماذا قتلوه؟ لأنه كان يحول بينهم وبين اللقاء الجنسي مع الأم، فابتدأ الدين في صورته الأولى عبادة للأب، ثم تطور إلى عبادة الطوطم، ثم تطور إلى عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي. والأخلاق تطورت في المراحل نفسها باعتبارها جزءاً من الدين أو مستمدة منه[2] وهذه النظرية إستفاد الإعلام الصهيوني منها وقدمها على نحو يغري الناس بالتحلل من القيم لتتسع هوة الرذيلة والفساد، ويسهل لليهود السيطرة على الشعوب المتحللة، خدمة لأهداف الصهيونية.

5. دور كايم (1858 – 1917م): يهودي فرنسي، ولد في فرنسا بمدينة إبينال، حيث نشأ في عائلة من الحاخامين، التحق بالدراسات العليا سنة (1879م) تخصص في علم الاجتماع، له عدة نظريات في هذا العلم، حتى صار عند المؤرخين رائد المدرسة الاجتماعية الفرنسية ورئيسها.

ويظهر أن حال "دور كايم" كحال "فرويد" من قبله، في محاولته هدم الدين والأخلاق وأهم ما يريد التوصل إليه دور كايم هو "إقامة فكرة التطور المطلق التي تلغي مفهوم الدين القائم على إطار من الثوابت في داخله حركة وتغيير، بالإضافة إلى نفي القداسة عن الدين والأسرة والتشكيك في قيمها، ويدعو إلى تحطيم الدين لأنه يعيق المتطور، بل يدعو إلى فكرة القهر الخارجي الذي يقهر الفرد على غير رغبة منه، وذلك ليلغي مفهوم

---

[1] انظر: إطار إسلامي للفكر المعاصر، ص 82.

[2] الحوالي، سفر عبد الرحمن، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الطيب، القاهرة، ط2، 1999م، ص147 - 148.

الدين القائم على الإرادة الفردية والمسؤولية الفردية والجزاء الفردي، فدور كايم ينفي أن يكون الدين والزواج والأسرة فطرية في الإنسان وإنما هي عمل (العقل الجمعي) ذي السطوة القاهرة على الأفراد، وهذا العقل دائم التطور والتغير، فإذا قال العقل الجمعي في طور من أطواره: ليكن دين أو زواج أو أسرة فليكن ذلك، أما إذا قال حسب هواه: ليكن لا دين ولا زواج ولا أسرة، فسرعان ما يخضع الأفراد لقهره، وهو في هذا يحاول إرساء قاعدة فاسدة، تتعارض مع الفطرة البشرية، ترمي إلى القول بأن التحلل والإنحلال أمر حتمي[1]. ويـرى "دور كايم" أن أصـل الـدين شـيء خارجي هو ـ الأرواح أو القوى الطبيعية ـ وأن الإنسان ابتدأ تدينه بالسحر والشعوذة، ثم تطور إلى عبادة آلهة متعددة، ثم تطور إلى التوحيد الذي يمثل آخر حلقة في عصر الدين، ثم أعقبها عصر العلم الذي ينفي الدين بجملته[2]. لقد حاول أن يطبق نظرياته على الدين وما يتصل به من أخلاق وعقائد ويتلخص هذا التطبيق في ثلاث نقاط:

أ. إن الدين ليس إلهياً لأن فكرة الألوهية في نظره ليست إلا تعبيراً عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها، ويكون الإله فيها رمزاً للدرجة التي وصل إليها تطوره.

ب. إن الدين ظاهرة اجتماعية يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد في بعض البيئات والمراحل دون أن يكون لهم حرية الاختيار في ذلك.

ج. إن الدين والأخلاق والأسرة ليست من الأمور التي فطر عليها البشر[3].

6. هربرت صموئيل (1870 – 1963م): رجل سياسة بريطاني يهودي، ارتبط استعمار فلسطين وتسليمها للصهاينة باسمه، ولد لعائلة يهودية تعمل بتجارة الذهب، تدرج في عدد من الوظائف إلى أن أصبح وزيراً في الوزارة البريطانية[4]، من أكبر أعوان الصهيونية في بريطانيا، كتب (صموئيل) مذكرة عام (1915م) مررها إلى أعضاء الوزارة البريطانية

---

[1] (?) انظر: إطار إسلامي للفكر المعاصر، ص 83.
[2] (?) الحوالي، سفر، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص 204.
[3] (?) المرجع نفسه، ص 148.
[4] (?) انظر: اليد الخفية، ص 67 – 68.

تنطلق من افتراض أن تركيا ستهزم، واقترح فيها إنشاء محمية إنجليزية في فلسطين بعد الحرب وتشجيع الاستيطان اليهودي فيها، وإعطاء الأولوية للهجرة اليهودية، ولعل أبرز ما سجله في فلسطين هو إصداره كتابه الأبيض في حزيران (1920م) بعد ثورة العرب في نيسان من نفس العام، وقد تضمن هذا الكتاب دستوراً لفلسطين يقضي بإقامة مجلس تشريعي من اثنين وعشرين عضواً بينهم عشرة موظفين بريطانيين يعينهم هو، وثمانية مسلمين وثلاثة مسيحيين ويهوديان ينتخبهم الأهلون، محتفظاً لنفسه برئاسة هذا المجلس مع حق نقض أي قرار لا يرضى عنه[1].

وكان من أبرز الشروط التي فرضها على هذا المجلس منعه من خوض أي موضوع يتعلق بمبدأ الإنتداب أو يعالج موضوع الوطن القومي اليهودي والهجرة اليهودية، وضع هذا الدستور بالتعاون مع اللجنة الصهيونية بهدف التعجيل في إقامة الوطن اليهودي والدولة اليهودية[2]. دخل "صموئيل" في الأدوار الصهيونية، بعد علمه بالأوضاع الفقيرة لليهود في فلسطين، فقدم مقترحاً للحكم البريطاني يمنح المنظمات اليهودية تسهيلات في شراء الأراضي وإيجاد مستعمرات وإنشاء معاهد تعلمية. وبعد خروجه من الوزارة استمر في دعم المشاريع الصهيونية، وتقديم الدعم المعنوي والنصائح.

وفي سنة (1918 – 1919م) دخل "صموئيل" في علاقات تعاون مع قادة الحركة الصهيونية، وترأس اللجنة الخاصة بصياغة الأماني الصهيونية لإرسالها إلى الحكومة البريطانية لكي تدرجها في جدول أعمالها حال إنعقاد الصلح، وتضمنت المذكرة الإعتراف بالحق التاريخ للشعب اليهودي في فلسطين، وحقهم في إعادة بناء وطنهم القومي[3]. وساعد على الإعتراف بالمؤسسات الصهيونية والإعتراف باللغة العبرية كإحدى اللغات المحلية في فلسطين، وتقديراً لإسهاماته في إقامة وطن لليهود في فلسطين وتشجيع

---

[1] انظر: حجـازي، عرفات، الأخطبوط، الانتداب البريطاني، سلسلة التوعية الفلسطينيـة، عـمـان، ط1، ص 49 – 50.

[2] المرجع نفسه، ص 50.

[3] الزعبي، أمجد أحمد سليمان (1993م). هربرت صموئيل وتأسيس إمارة شرق الأردن رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: ممدوح عارف الروسان، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ص 20 – 21.

الهجرة اليهودية إليها عدته بعض الجماعات اليهودية في فلسطين وخارجها أول حاكم يهودي على فلسطين منذ سقوط الهيكل[1].

7. جان بول سارتر (1905 – 1979م): يهودي فرنسي وأديب من فلاسفة القرن العشرين، اقترنت باسمه الفلسفة الوجودية الإلحادية المعاصرة، تربى في أحضان جده بعد أن مات أبوه بالحمى وهو في الثانية من عمره، ولم يكن سارتر مبرزاً في مادة الفلسفة بالذات وحصل فيها على تقدير مقبول، ورسب فيها عند التخرج، وأعاد السنة وكان في تلك المرة على رأس الخريجين، وبذلك صار مدرساً للفلسفة، نشرت الصحف أنه اشترك في مظاهرات يهودية صهيونية، وحملات تبرع لإسرائيل في الستينات[2].

استخدم الأدب لنشر أفكاره الوجودية الملحدة ومن مؤلفاته :الكينونة والعلم (1943م) وله روايات وقصص منها "الغثيان" (1938م)، و"سبل الحرية" (1948م).

وحين حضره الموت عام (1979م) سأله من كان عنده: ترى إلى أين قادك مذهبك؟ فأجاب في أسىً عميق ملؤه الندم: إلى هزيمة كاملة[3].

وسارتر هو عميد الوجوديين والمسؤول الأول عن كثير من اتجاهاتها في هذه الأيام، وهو الكاشف عن كثير من الأمور الشاذة التي عليها فلسفته، بل إنه يضع الإنسان في مواجهة الخالق فيعلن تجاهله لوجود الله، ويرمي إلى أن الأصل في الوجود هو اللا وجود. هو الفناء، ويتخبط "سارتر" في وجهة نظره هذه حتى يضل وينتهي بالرد على نفسه بما لا يحوجنا إلى تعليق فيقول: "إن الإنسان يستحيل عليه أن يحقق ذاته كما ينبغي فيظل هائماً وراء الوجود المثالي الذي يستحيل عليه تحقيقه" وذلك هو سر قلقه[4].

ومما ذهب إليه إلغاء حقيقة الخير والشر، وإبطال القيم الثابتة، فهو لا يؤمن بقيم ثابتة توجه سلوك الناس، وتضبطه، وإنما لكل إنسان أن يفعل ما

---

[1] (?) اليد الخفية، ص 69.

[2] (?) انظر: الحفني، عبد المنعم، معنى الوجودية، نشر وتوزيع مكتبة راديو، القاهرة، بدون تاريخ، ص 134.

[3] (?) انظر: الحمد، رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، ص 330.

[4] (?) انظر: البوهي، محمد لبيب، الوجودية والإسلام، دار المعارف، مصر، 1960م، ص 67.

يريد، وليس لأحد أن يفرض قيماً وأخلاقاً معينة على الآخرين. وجعل الشعور الإنساني التابع للهوى ونوازع النفس هو الذي يخلق الخير والشر، يقول سارتر: "إنك تستطيع أن تفعل ما تريد، وليس ثمة من له الحق في توجيه النصح لك، وليس في نظرك شر وخير إلا إذا خلقتهما"[1].

ومن أفكاره الدعوة إلى الإنفلات والحرية المطلقة دون تقبل أي توجيه يأتي إليه من الخارج، فالوجودي لا يريد أن يتلقى أمراً من أحد حتى ولو كان من الإله، والدين عنده قاصر عن تلبية الرغبات الوجودية في نظره، مدعياً أن الدين محدود بتعاليمه، أما الوجودية فانطلاق كامل إلى غير نهاية لأنها بلا تعاليم ولا وصايا ولا قيود[2].

8. هنري كيسنجر (1923 - ....): ولد في مقاطعة (بافاريا) في ألمانيا، ورحل مع أسرته إلى الولايات المتحدة فشب وترعرع فيها، درس التاريخ السياسي الحديث، وأتقن أساليب الدبلوماسية والتخطيط، إتصل ببعض رجال السياسة الأمريكيين ليقدم لهم الآراء والمشورة، وقد أعانته على البروز وسائل الإعلام التي يطغى عليها التأثير اليهودي، فقد حظي كيسنجر بتغطية دعائية قل أن يحظى بها موظف مهما علا وبرز في خدماته[3]. استطاع بذكائه ودهائه أن يسيطر على قلب السياسة الخارجية الأمريكية، فتولى منصب وزير الخارجية الأمريكية، وعمل مستشاراً لعدة رؤساء أمريكيين، وبانتهاء حرب فيتنام، وجه كيسنجر اهتمامه نحو الشرق الأوسط، وأراد أن تكون الولايات المتحدة قوية لها قواعد عسكرية هناك، وأن تبسط نفوذها عن طريق استخدام العدوان الإسرائيلي، فموقف كيسنجر من اليهود ليس يهوديته فحسب، بل حرصه على أن تكون إسرائيل حليفاً استراتيجياً للولايات المتحدة وسوطاً رادعاً في يدها[4].

ومن هنا رأيت من وجهة نظري أن لهؤلاء الأشخاص جانباً مهماً في الحرب اليهودية التي تخوضها ضد الديانات الأخرى، وإن كان بعض هذه

---

[1] معنى الوجودية، ص 152.
[2] انظر: الوجودية والإسلام، ص 81.
[3] انظر: الجمالي، محمد فاضل، الصهيونية الأمريكية والمأساة الفلسطينية، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 97 – 99.
[4] انظر: اليد الخفية، ص 72.

الشخصيات يعمل مفهوم المصالح اليهودية ويرتبط بها أكثر. إلا أن الحرب الخفية من وراء ذلك واضحة للعيان، فالمصالح اليهودية يرتبط بها مفهوم (المال اليهودي) وهي عبارة تفترض وجود ثروة ضخمة يمتلكها اليهود ويوظفونها بالطريقة التي تروق لهم في خدمة مصالحهم، بل إن هذا المال هو سر قوة اليهود، فهم يوظفونه في شراء النفوذ في ممارسة السلطة وفي تخريب الضمائر وإفساد الناس، كما أنهم تركزوا في كثير من القطاعات المشينة في المجتمعات الحديثة كالبغاء والمجلات الإباحية وغيرها. يقول رجا عبد الحميد عرابي: "لدى اليهود أقوى سلاحين في العالم" المال والصحافة" فبالمال اشتروا الذمم، وأنفقوا على معارك أعوانهم الإنتخابية، وبالصحافة سيطروا على الرأي العام، ووجهوه لخدمة مصالحهم وأهدافهم"[1].

لقد استطاع اليهود بهذين السلاحين (المال والصحافة)، ثم بانتشار الديمقراطية أن يصلوا إلى سدة الحكم ويغيروا كثيراً من معالم التاريخ في العالم الحديث، واستطاعوا السيطرة على الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق المستشارين اليهود مثل من ذكرناهم كدزرائيلي في بريطانيا، وهنري كيسنجر الذي كان رئيساً للأمن القومي الأمريكي، بالإضافة إلى الجمعيات والهيئات والمنظمات اليهودية في الولايات المتحدة وغيرها، وعندما قامت الثورة الشيوعية في روسيا ساندها اليهود بكل قواهم، للقضاء على القيصرية، وإضعاف الكنيسة المسيحية التي تكن لهم العداء الشديد[2].

ثم جاء دور السينما، فسيطروا عليها، ووجهوها ليفسدوا النشء بالأفلام المبتذلة الخليعة، التي تثير الغرائز، وتطلق الجنس من عقاله، فأدت بالتالي إلى تفكك العائلات، وخراب المجتمعات.

ومنذ أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أخذ اليهود يدعون إلى العودة إلى فلسطين، بعد أن اكتملت بأيديهم الوسائل التي تجعل العالم الغربي يؤيدهم ويقف معهم جنباً إلى جنب.

1[(?)] عرابي، سفر التاريخ اليهودي، ص 479.

2[(?)] المرجع نفسه، ص 480.

كل هذه الأسماء من شخصيات وفرق وحركات هدامة، تسمت في كثير من الأحيان بمسميات غير حقيقية، وكان لها دور بارز وأثر كبير في هدم الأديان والمبادئ الأخلاقية والاجتماعية.

الخاتمة

لقد توصَّــلتُ في نهاية هــذا البحث المتواضع إلى جملــةٍ من النتــائج والحقائق، وأهمُّ هذه النتائج ما يلي:

أولاً: إن عداء اليهود للأديان واضح أشد الوضوح من خلال ما ذكر في التلمود وبروتوكولات حكماء صهيون، بالإضافة إلى طرحهم المستمر للشخصيات التي كان لها أثر بارز في تحريف الأديان وهدم المبادئ والأخلاق الاجتماعية.

ثانياً: إن الشعب اليهودي يدعي الاصطفاء والاختيار وهذا الأمر يتناقض تماماً مع الواقع، فلو كان مختاراً حقاً، لعاش عيشة الاستقرار والهدوء والازدهار، ولم يعش عيش التيه والضياع، على مر العصور؟ ولو كان اليهود شعب الله المختار، لما تميزوا بالقلة على مر تاريخهم الطويل، حيث لا يزيد عددهم الآن عن 15 مليون نسمة أو أكثر بقليل؟ إن الشعب الذي يختاره الله يباركه ويزيده.

ثالثاً: إن بولس هو أول من نادى بالعقائد المنحرفة في الديانة النصرانية، كما فصل بين شريعة موسى عليه السلام وما جاء به عيسى عليه السلام بتحريمه العمل بالعهد القديم وإصدار فتوى الإباحة العامة بما في ذلك الغاء الختان وقوله بعموم رسالة المسيح عليه السلام.

رابعاً: إن المجامع النصرانية ثبتت الانحرافات التي دعا إليها بولس، بالإضافة إلى البيئة الوثنية المحيطة بالنصارى فقد ساهمت أيضاً في تحريف دين المسيح عليه السلام بل انطلقت منها دعوة بولس التي تبنت كثير من العقائد والشرائع ذات الأصول الوثنية والفلسفية المحضة.

خامساً: إن عبدالله بن سبأ شخصية يهودية حقيقية، إتفق على وجوده المؤرخون والمحدثون وأصحاب كتب الفرق والملل والنحل والطبقات والأدب والأنساب، ظهر في كتب أهل السنة كما ظهر في كتب الشيعة شخصية تاريخية حقيقة، وإن حاول البعض التشكيك في وجوده من الشيعة المتأخرين، والتقليل من شأنه في بث الفتنة وإثارتها وشق صف المسلمين.

سادساً: إن ابن سبأ لم يبتعد كثيراً فيما دعا إليه عن بولس فأدخل كثيراً من المعتقدات الفاسدة منها: تأليه علي بن أبي طالب، والقول بالوصية والولاية، والإمامة، والبداء والرجعة، وغير ذلك من المعتقدات التي أخذها واستقاها من أصوله اليهودية التي ينتمي إليها، الذي نتج عـنـه ـ فيما بعد ـ تعطيل للشريعة في كثير من أحكامها.

سابعاً: إن هناك كثيراً من القواسم المشتركة بن بولس وعبدالله بن سبأ التي تدل على حربهم للأديان وتحريفهم لها، منها: الأصول اليهودية التي ينتمي إليها كلاً منهما، ودعوى بولس ألوهية المسيح عليه السلام ودعوى عبدالله بن سبأ ألوهية علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ثامناً: إن هذه التحريفات امتدت إلى النصارى وغلاة الشيعة فكان هناك الكثير من الأمور المتشابهة بينهما، من الغلو وعدم الاعتدال في حبهم وتقديسهم، وكذلك عدد الحواريين الإثني عشر عند النصارى، هي نفس عدد الأئمة عند الشيعة الإمامية، وادعاء العصمة للبابا عند النصارى، وادعاء العصمة للإمام عند الشيعة، وغير ذلك الكثير.

تاسعاً: إن محاولات اليهود في إفساد الأديان الآخرى غير اليهودية لم تتوقف، بل استمر ذلك من خلال طرح شخصيات أخرى وحركات هدامة، تسمت في كثير من الأحيان بغير مسمياتها، القصد منه هدم الدين والمبادئ والأخلاق.

التّوصيــات

بعد الإنتهاء من هذا البحث هناك عدة إقتراحات أتمنّى أن تتحقّق وهي:

1. توجيه الدّراسات المتعلّقة بالأديـان والعقائد في الجامعـات إلى مثل هـذه الدراسات المقارنة بين شخصيات كان لها دور بـارز في تحريف الأديـان، وحركات هدامة ظهرت في الوقت الحديث.
2. أثبت هــذا النــوع من الدراســات الحاجة الملحّة إلى تســلُّح طلبة العلم الشرعي باللغة الإنجليزية وإتقانها لتكون وسـيلةً لقـراءة وفهم كـلّ نتـاجٍ فكريٍ جديدٍ يتعلق بمواضيع ذات صلة بالأديان اليهودية والمسيحية.

المراجع والمصادر

ابن الأثير، عز الدين علي بن مكرم (ت 630 هـ)، **الكامل في التاريخ**، ط 1، 17ج، دار المعرفة، بيروت، 2002م.

ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد (ت 655 هـ)، **شرح نهج البلاغة**، 20ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد (ت 235 هـ)، **المصنف في الحديث والآثار**، 16ج، (تحقيق: عبد الخالق الأفغاني)، الدار السلفية، بومباي، 1979م.

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ)، **مجموع الفتاوى**، 35ج، دار الرسالة، بيروت، 1978م.

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852 هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، ط2، 13م، دار الريان للتراث، القاهرة، 1988م.

ابن حجر، شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852 هـ)، **لسان الميزان**، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1912م.

ابن عبد ربه، أحمد بن محمد، **العقد الفريد**، 9ج، (تحقيق: مفيد قميحة)، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن (ت 571 هـ)، **تاريخ دمشق**، (تحقيق: سكينة الشهابي)، نشر المجلس العلمي، دمشق، 1984م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت 395 هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1999م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت 774 هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، ط1، 4ج، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، 2000م.

ابن كثير، عماد الدين إسماعيل (ت 774 هـ)، **البداية والنهاية**، ط2، 8ج، مكتبة المعارف، بيروت، 1974م.

ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711 هـ)، **لسان العرب**، ط 2، 13ج، التاريخ العربي، بيروت، 1993م.

أبو الروس، إيليا (1964م)، **اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية**، ط1، بيروت: منشورات دار الاتحاد.

أبو زهرة، محمد (2006م)، **محاضرات في النصرانية**، القاهرة: دار الفكر العربي.
أبو ستة، أيمن محمد علي (2003م)، نشاط المنظمة الصهيونية العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية (1897 – 1948م) رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: محمد عبد اللطيف عبد الكريم، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.

الإسفراييني، أبو المظفر شاهفور بن طاهر، **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرقة الهالكين**، (تحقيق: محمد زاهد الكوثري)، مكتبة المثنى، بغداد، 1955م.

الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 324 هـ)، **مقالات الإسلاميين**، ط2، (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1969م.

آغا، ماهر أحمد (2002م)، **اليهود فتنة التاريخ**، ط1، دمشق: دار الفكر.

الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت 1341 هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، ط1، 30ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

أمين، أحمد (1975م)، **فجر الإسلام**، ط16، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الأمين، عبدالله (1991م)، **دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة**، ط2، بيروت: دار الحقيقة.

البار، محمد علي (1990م)، **الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم**، ط1، دمشق: دار القلم.

البار، محمد علي (1990م)، **المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم**، ط1، دمشق: دار القلم.

البار، محمد علي (2006م)، **دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية**، ط1، دمشق: دار القلم.

بدوي، عبد الرحمن (1973م)، **مذاهب الإسلاميين**، ط1، بيروت: دار العلم للملايين.

برانايتس، الأب آي بي (2003م)، **فضح التلمود تعاليم الحاخامين السرية**، (إعداد: زهدي الفاتح)، ط5، بيروت: دار النفائس.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، **الفرق بين الفرق**، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1988م.

البكري، وهيب أحمد (1405 هـ)، **بولس وتأثيره في المسيحية**، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير غير منشورة، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض: المملكة العربية السعودية.

بوكاي، موريس (2004م)، **القرآن والتوراة والإنجيل والعلم دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة**، ط2، القاهرة: مكتبة مدبولي.

البوهي، محمد لبيب (1960م)، **الوجودية والإسلام**، مصر: دار المعارف.

البيجوري، إبراهيم بن محمد (2001م)، **تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد للشيخ برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.

تسيهر، جولد (1946م)، **العقيدة والشريعة في الإسلام**، القاهرة: دار الكتاب المصري.

التل، عبدالله (1971م)، **جذور البلاء**، ط1، بيروت: دار الإرشاد.

التونسي، محمد خليفة (2003م)، **الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون**، ط10، القاهرة: مكتبة دار التراث.

الجرجاني، أبو الحسن علي بن محمد (ت 816 هـ)، **التعريفات**، ط2، بيروت: دار الكتب العلمية، 2003م.

جرجس، صبري (1970م)، **التراث اليهودي الصهيوني والفكر الفرويدي أضواء على الأصول الصهيونية لفكر "سجمند فرويد"**، ط1، القاهرة: عالم الكتب.

جستنية، بسمة أحمد (2000م)، **تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ**، ط1، دمشق: دار القلم.

الجمالي، محمد فاضل (1984م)، **الصهيونية الأمريكية والمأساة الفلسطينية**، تونس: الدار العربية للكتاب.

الجميلي، عبدالله (1999م)، **بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود**، ط3، المدينة المنورة: المكتبة الأثرية.

الجندي، أنور (1981م)، **إطار إسلامي للفكر المعاصر**، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي.

الجندي، أنور (1988م)، **الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي**، القاهرة: دار الاعتصام.

جينير، شارل، **المسيحية نشأتها وتطورها**، (ترجمة: عبد الحليم محمود)، بيروت: منشورات الكتب العصرية.

الحاج، محمد أحمد (2002م)، **النصرانية من التوحيد إلى التثليث**، ط 2، دمشق: دار القلم.

حجازي، عرفات، **الأخطبوط الانتداب البريطاني**، ط1، عمان: سلسلة التوعية الفلسطينية.

حجازي، عرفات، **الصهيونية نشأتها وقيادتها ومنظماتها السرية**، ط 1، عمان: سلسلة التوعية الفلسطنية.

حسين، طه (1976م)، **الفتنة الكبرى (عثمان)**، ط9، القاهرة: دار المعارف.

حسين، طه (1978م)، **الفتنة الكبرى (علي وبنوه)**، ط9، القاهرة: دار المعارف.

الحفني، عبد المنعم، **معنى الوجودية**، القاهرة: نشر وتوزيع مكتبة راديو.

الحمد، محمد بن إبراهيم (2006م)، **رسائل في الأديان والفرق والمذاهب**، ط1، الرياض: دار ابن خزيمة.

الحوالي، سفر عبد الرحمن (1999م)، **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**، ط2، القاهرة: دار الطيب.

الحموي، ياقوت (1979م)، **معجم البلدان**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الخطيب، عبد الكريم (1976م)، **المسيح في القرآن و التوراة والإنجيل**، ط2، بيروت: دار المعرفة.

الخطيب، محمد أحمد (1996م)، **الفرق الإسلامية**، عمان: نشر جامعة القدس المفتوحة.

الخطيب، محمد أحمد (2008م)، **مقارنة الأديان**، ط1، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

الخلف، سعود بن عبد العزيز (2006م)، **دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية**، ط5، الرياض: أضواء السلف.

درادكة، صالح موسى (1992م)، **العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين**، ط1، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.

دراز، محمد عبدالله، **الدين**، الكويت: دار القلم.

دروزة، محمد عزت (1969م)، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم**، ط 2، القاهرة: المكتبة العصرية.

الدوري، قحطان عبد الرحمن، ورشدي عليان (1996م)، **أصول الدين الإسلامي**، ط1، عمان: دار الفكر.

الذهبي، محمد أحمد (ت 748 هـ)، **تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام**، 6ج، مكتبة القدس، القاهرة، 14948م.

الذهبي، محمد أحمد (ت 748 هـ)، **المغني في الضعفاء**، (تحقيق: نور الدين عمر)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1971م.

الذهبي، محمد أحمد (ت 748 هـ)، **دول الإسلام**، مطبعة جمعية دائرة المعارف، حيدر آباد، 1944م.

الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت 721 هـ)، **مختار الصحاح**، ط 4، وزارة المعارف المصرية، القاهرة.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت 606 هـ)، **التفسير الكبير**، ط4، دار إحياء التراث، بيروت.

الرازي، محمد بن عمر بن الحسين (ت 606 هـ)، **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، 1938م.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل (ت 502)، **المفردات في غريب القرآن**، مكتبة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1961م.

الزركلي، خير الدين (1986م)، **الأعلام**، ط7، بيروت: دار العلم للملايين.

الزعبي، أمجد أحمد سليمان (1993م)، هربرت صموئيل وتأسيس إمارة شرق الأردن رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف: ممدوح عارف الروسان، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

زقزوق، محمود حمدي (2002م)، **الاستشراق والخلفية الفكرية الصراع الحاضري**، القاهرة: دار الشروق.

زكي أحمد (1995م)، **انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح**، ط1، الرياض: مكتبة الشقري.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت 538 هـ)، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط2، 4ج، مطبعة الاستقامة، القاهرة.

السالوس، علي أحمد (1997م)، **مع الشيعة الإثني عشرية في الأصول والفروع،** القاهرة: دار التقوى.

السائح، أحمد عبد الرحيم (1991م)، **بحوث في مقارنة الأديان**، ط1، قطر: دار الثقافة.

الساموك، سعدون (1976م)، **الأديان دراسة تاريخية مقارنة**، ط1، بغداد.

الساموك، سعدون (2002م)، **موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة**، ط1، عمان: دار المناهج.

الساموك، سعدون (2004م)، **مقارنة الأديان**، ط1، عمان: دار وائل.

السحمراني، أسعد (2000م)، **من اليهودية إلى الصهيونية**، ط2، بيروت: دار النفائس.

السحمراني، أسعد (2000م)، **الإسلام بين المذاهب والأديان**، ط2، بيروت: دار النفائس.

السعدي، طارق خليل (2005م)، **مقارنة الأديان**، ط1، بيروت: دار العلوم العربية.

السعدي، غازي (1994م)، **الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود**، ط1، عمان: دار الجيل.

السفاريني، محمد بن أحمد (ت 1188 هـ)، **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**، ط2، المكتب الإسلامي، دمشق، 1985م.

السقاف، أبكار (1997م)، **إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة**، ط2، القاهرة: مكتبة مدبولي.

السمعاني، عبد الكريم محمد بن منصور (ت 562 هـ)، **الأنساب**، (تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي)، دار محمد أمين دمج، بيروت، 1980م.

سنقرط، داؤد عبد الغفور (1984م)، **جذور الفكر اليهودي**، ط2، عمان: دار الفرقان.

سوسة، أحمد، **العرب واليهود في التاريخ**، ط2، دمشق: العربي للإعلان والنشر والطباعة.

السيد صالح، سعد الدين (1416 هـ)، **العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية**، ط2، القاهرة: مكتبة التابعين.

الشرقاوي، محمد عبدالله (2001م)، **الكنز المرصود في فضائح التلمود**، القاهرة: دار الفكر العربي.

شلبي، أحمد (1997م)، **اليهودية**، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شلبي، أحمد (1997م)، **المسيحية**، ط4، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شلبي، أحمد (1984م)، **أديان الهند الكبرى**، ط11، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

شلبي، رؤوف (1981م)، **التضليل الماركسي دراسة مقارنة للسخيمة الشيوعية**، ط2، الكويت: دار القلم.

شلبي، متولي يوسف (1973م)، **أضواء على المسيحية**، ط2، الكويت: الدار الكويتية.

الشنطي، عماد الدين عبدالله (1997م)، **موقف بولس من تعاليم عيسى عليه السلام**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت 548 هـ)، **الملل والنحل**، ط7، 2ج، دار المعرفة، بيروت، 1998م.

الشيبي، كامل مصطفى (1969م)، **الصلة بين التصوف والتشيع**، ط2، القاهرة: دار المعارف.

الصديق، عمر يعقوب (2006م)، **مصطلحات العقيدة في مباحث الإلهيات بين علم الكلام وعلم اللاهوت**، ط1، القاهرة: المكتبة الأزهرية الأثرية.

الصلابي، علي بن محمد (2003م)، **أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته وعصره**، الإسكندرية: دار الإيمان.

الطبري، محمد بن جرير (ت 310 هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، ط3، 11ج، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد (ت 321 هـ)، **شرح العقيدة الطحاوية**، مكتبة دار البيان، دمشق، 1981م.

طرابيشي، جورج (1987م)، **معجم الفلاسفة**، ط1، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

طعيمة، صابر (2004م)، **الأصول العقدية للإمامية**، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي.

طنطاوي، محمد سيد (2000م)، **بنو إسرائيل في القرآن والسنة**، ط 2، القاهرة: دار الشروق.

ظاظا، حسن (1995م)، **الفكر الديني اليهودي**، ط3، دمشق: دار الفكر.

ظهير، إحسان إلهي (2005م)، **الشيعة والسنة**، لاهور: إدارة ترجمان السنة.

ظهير، إحسان إلهي (2005م)، **الشيعة والتشيع**، لاهور: إدارة ترجمان السنة.

ظهير، إحسان إلهي (2005م)، **الشيعة والقرآن**، لاهور: إدارة ترجمان السنة.

العامري، محمد أديب (1972)، **عروبة فلسطين في التاريخ**، ط1، بيروت: المكتبة العصرية.

العبادي، سارة أحمد (2003م)، **التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة**، ط1، مكة المكرمة: دار طيبة الخضراء.

العبادي، سارة أحمد (2006)، **موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله**، ط1، الرياض: مكتبة الرشد.

عبد الباري، فرج الله (2004م)، **اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري**، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية.

عبد الباري، فرج الله (2006م)، **يوم القيامة بين الإسلام والمسيحية واليهودية**، ط1، القاهرة: دار الآفاق العربية.

عبد الحميد، محسن (1969م)، **حقيقة البابية والبهائية**، ط1، عمان: منشورات المكتب الإسلامي.

عبد الرحمن، عائشة (1975م)، **الإسرائيليات في الغزو الفكري**، القاهرة: دار غريب للطباعة.

العبرة، نورا توفيق سلمان (2004م)، **عقيدة الخلاص في الديانة النصرانية (دراسة تحليلية)**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

عبد المنعم، نمر (2001م)، **النحلة اللقيطة في البابية والبهائية**، ط 1، القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي.

عرابي، رجا عبد الحميد (2004م)، **سفر التاريخ اليهودي**، ط1، دمشق: دار الأوائل.

العسكري، مرتضى (1972م)، **عبدالله بن سبأ وأساطير أخرى**، بيروت: دار الغدير.

العقيقي، نجيب (1964م)، **المستشرقون**، القاهرة: دار المعارف.

العقيلي، محمد ارشيد (1980م)، **اليهود في شبه الجزيرة العربية**، ط 1، عمان: المطبعة الوطنية.

عليان، محمد عبد الفتاح (1980م)، **أضواء على الاستشراق**، ط1، الكويت: دار البحوث.

عمارة، محمد (1997م)، **الخلافة ونشأة الأحزاب الإسلامية**، بيروت: المؤسسة للدراسات والنشر.

العمري، محمد نبيل والحاج، محمد أحمد (1998م)، **مقارنة الأديان**، ط1، عمان: نشر جامعة القدس المفتوحة.

العودة، سليمان بن حمد (2006م)، **عبدالله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، ط5، الرياض: دار طيبة.

غربال، محمد رشيد (1965م)، **الموسوعة العربية الميسرة**، القاهرة: دار القيم.

فان قولتن (1965م)، **السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن ومحمد زكي إبراهيم، ط2، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الفرحان، راشد عبدالله (1985م)، **الأديان المعاصرة**، ط2، طرابلس: جمعية الدعوة.

فؤاد، عبد المنعم (2002م)، **المسيحية بين التوحيد والتثليث وموقف الإسلام منها**، ط2، الرياض: مكتبة العبيكان.

الفياض، عبدالله (1975م)، **تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة**، بيروت: منشورات مؤسسة الأعلمي.

فيصل عباس (1996م)**، مؤسوعة الفلاسفة**، بيروت: دار الفكر العربي.

قاموس الكتاب المقدس (1994م)، ط9، القاهرة: دار الثقافة.

قاموس اكسفورد الحديث (2006م)، الرياض: مركز السعودي للكتاب.

القرطبي، محمد بن أحمد (ت 671 هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، ط1، بيروت: دار ابن حزم.

القفاري، ناصر بن عبدالله، **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، القاهرة: دار الرضا.

قصاب، عصام (2002م)، **البحث عن الحقيقة الكبرى**، ط3، دمشق: دار الفكر.

القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ)، **من لا يحضره الفقيه**، (تحقيق: حسن الموسوي)، دار الكتب الإسلامية، طهران.

القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ)، **أمالي الصدوق**، ط5، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، طهران.

القمي، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت 381 هـ)، **علل الشرائع**، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، 1966م.

القمي، أبو خلف سعد بن عبدالله، **المقالات والفرق**، (تحقيق: محمد جواد مشكور)، مؤسسة مطبوعاتي عطاني، طهران، 1963م.

الكتاب المقدس، ترجمة تفسيرية (1988م)، ط3، القاهرة: جي. سي. سنتر.

الكرماني، محمد بن يوسف بن علي، **الفرق الإسلامية (ذيل كتاب شرح المواقف)**، (تحقيق: سليمة عبد الرسول)، مطبعة الرشاد، بغداد، 1973م.

المامقاني، عبدالله بن محمد، **تنقيح المقال في أحوال الرجال**، المطبعة المرتضوية، النجف، 1933م.

المجلسي، محمد باقر (ت 1130 هـ)، **بحار الأنوار الجامعة لدور أخبار الأئمة الأطهار**، ط2، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م.

محزون، محمد (2005م)، **تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين**، ط1، القاهرة: دار السلام.

محمود محمد حمودة (2001م)، **التبيان في الفرق والأديان**، ط1، عمان: مؤسسة الوراق للنشر.

المسيري، عبد الوهاب (1999م)، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ط1، القاهرة: دار الشروق.

المسيري، عبد الوهاب (2002م)، **من هو اليهودي**، ط3، القاهرة: دار الشروق.

مصطفى، عبد العزيز، **قبل أن يهدم الأقصى**، القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمود (1996م)، **المسيحيون والمسلمون في تلمود اليهود غرائب وعجائب**، ط1، القاهرة: مكتبة وهبة.

مظهر، سليمان (1984م)، **قصة الديانات**، ط1، القاهرة: دار الرقي.

المعلم، محمد بن علي (1999م)، **عبدالله بن سبأ الحقيقة المجهولة**، ط1، بيروت: دار الهادي.

المغربي، السمؤال بن يحيى (1989م)، **بذل المجهود في إفحام اليهود**، ط1، دمشق: دار القلم.

المفيد، محمد بن محمد النعمان (ت 413 هـ)، **الإختصاص**، (تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري)، منشورات جماعة المدرسين بالحوزة العلمية، قم.

المفيد، محمد بن محمد النعمان (ت 413 هـ)، **أوائل المقالات في المذاهب المختارات**، دار الكتاب الإسلامي، بيروت، 1983م.

المقدسي، مطهر بن طاهر، **البدء والتاريخ**، ط1، مكتبة الأسدي، طهران، 1962م.

الملطي، محمد بن أحمد، **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، مكتبة المعارف، بيروت، 1968م.

ملكاوي، محمد أحمد (1992م)، **اليهودي شاول (بولس) الطرسوسي وأثره في العقائد الوثنية النصرانية**، الرياض: دار الإسراء.

الموحى، عبد الرزاق رحيم صلال (2001م)، **العبادات في الأديان السماوية (اليهودية ـ المسيحية ـ الإسلام)**، ط1، دمشق: دار الأوائل.

موريس، أديب جهشان (1992م)، **أعيادنا وإيماننا**، ط1، بيروت: المركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط.

الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (2002م)، **مكائد يهودية عبر التاريخ**، ط7، دمشق: دار القلم.

الناشئ الأكبر، أبو العباس عبدالله بن محمد الأنباري، **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات**، (تحقيق: يوسف فان إس)، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، 1971م.

النشار، علي سامي والشربيني، عباس أحمد (1972م)، **الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية**، الإسكندرية: منشأة المعارف.

النشار، علي سامي (1969م)، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط4، القاهرة.

نصر الله، يوسف حنا (1968م)، **الكنز المرصود في قواعد التلمود**، دار المعارف. (تحقيق: مصطفى أحمد الزرقاء)، ط2، بيروت: دار العلوم.

النعال، مختار فوزي (2003م)، **موسوعة الألفاظ القرآنية**، ط1، بيروت: اليمامة للطباعة والنشر.

النوبختي، الحسن بن موسى (ت 413 هـ)، **فرق الشيعة**، (تحقيق: عبد المنعم الحفني)، دار الرشاد، القاهرة، 1992م.

نويهض، عجاج (1984م)، **بروتوكولات حكماء صهيون**، ط1، عمان: دار الجليل.

هالسل، غريس (1990م)، **النبوءة والسياسة**، ط1، (ترجمة: محمد السماك)، ليبيا: جمعية الدعوة الإسلامية العالمية.

الهلابي، عبد العزيز (1987م)، عبدالله بن سبأ، **حوليات كلية الآداب**، جامعة الكويت، الكويت.

همو، عبد المجيد (2003م)، **أعوان اليهودية على تحقيق احتلال فلسطين**، ط1، بيروت: دار المحجة البيضاء.

الهندي، رحمة الله بن خليل الرحمن، **إظهار الحق**، القاهرة: المكتبة التوفيقية.

وافي، علي عبد الواحد، **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**، القاهرة: دار النهضة.

ول ديورانت، **قصة الحضارة**، (ترجمة: محمد بدران)، القاهرة: الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية.

اليماني، محمد بن الحسن الديلمي (1987م)، **قواعد عقائد آل محمد**، (تحقيق: محمد زاهد الكوثري)، اليمن: مكتبة اليمن الكبرى.

يوسف، محمد حسني (2006م)، **خرافات التوراة والإنجيل**، ط1، دمشق: دار الكتاب العربي.

يوليوس، فلهاوزن (1976م)، **الخوارج والشيعة**، ط2، (ترجمة: عبد الرحمن بدوي)، الكويت: وكالة المطبوعات.

مراجع شبكة الإنترنت

الإنجيلية www.wikipedia.com

كنفاني، عدنان، دراسة في الأدب الصهيوني، www.arabicstory.com

الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، www.nooran.org

THE JEOSHISM EFFECT ON DISTORTION IDEOLOGY THROUGH "PAUL AND ABDULLAH BIN SBA'A" MODEL

By

Hani Ali Aied ElBloe

Supervisor

Dr. Mohammad Nabeel AlOmari

ABSTRACT

Jews Hatred for the Religions is obvious, and their attempts to distort them is uncountable. In addition, the Jewish history is full of contempt for all of nations, countries, and religions, and based on the pursue to destroy them to have the world for themselves.

I'll demonstrate this for you through studying the first Model: "Paul" the Jew and how his mission ended, and by what Jesus called for. I will demonstrate how the basic Christian beliefs and rules are not set by Jesus him self ,but by Paul, to whom the laws and procedures followed in Church is referred to. There is no doubt that the hatred of Paul to Christianity is arising from his Jewish origins which make him pretend to enter the Christianity to continue his

war on it with a new weapon, the weapon of destruction from the inside, corrupt and distort its appearances.

Moreover, by studying the second model: Abdullah bin Sba'a, who was the start of the Muslims separation, and the emergence of the extremist cults and its embedded rules and disturbed thoughts. Starting from the concepts of guardianship, ward ship, and come back, by which he wanted to destroy the Islamic principles and plant dispute among Muslims, as the situation nowadays shows and their divided into Sunna and Shiaat.

After that, I made a comparison between Paul and Abdullah bin Sba'a, from many aspects, I mentioned a lot of commonalities between the two.

Finally, I mentioned several Jewish characters, sects, and movements. Called them selves with different names but they pursued one end, to destroy religions and moral and social values.